

R u b a Q a n d i l

# ازدواجية الزمن

ربا قنديل



مكتبة الرمحي أحمد ٩٥

رواية

# أزدي واجبة الزمن

ربا قنديل

مكتبة الرمحي أحمد ٩٥

المملكة الأردنية الهاشمية  
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية  
(٢٠١٤/٦٣٠٦٥)

ازدواجية الزمن

ربا حسن عبدالقادر قنديل

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تليجرام

الطبعة العربية الأولى - ٢٠١٥

(ردمك) ٢-٨٣-٥٦٨-٩٩٥٧-٩٧٨ ISBN

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر  
هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

شركة دار البيهوتي للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - شارع الملك - بناية رقم (٢٢)  
ص.ب. ١٨٢٢١٧ - عمان ١١١١٨ - الهاتف: ٠١١٢٢١٤١٠٠٠  
Email: beyouni\_publisher@gmail.com



تصميم وإخراج  
كمال قاسم

## إهداء

أهدي روايتي الأولى " ازدواجية الزمن " لأبي رجلٍ حياتي الأول، و  
لأمي ملكة الكون، ولعائلتي التي اهتمت بتعليمي..

لتلك الثرات العابرة التي أتقنت تثقيفي، ولجموح العبارات التي  
ألمت حروفي، واجترت تفاصيل بوحى.. تلك التي أرغمت أبجديتي على  
الكتابة.. على البوح.. والانحناء؛ إجلالا للسطر..

لأولئك الذين أتقنوا بجدارة معنى الحب؛ لأصحاب التراب الحي  
أبناء تلك الحدود المزخرفة بعطر الوطن..

ربا قنديل

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تليجرام



# ازدواجية الحب



"أن تشمل برفقة روحك، أفضل بكثير من الثمالة بالعراء.. وأظن  
أن أكناف الحب، أفضل بكثير من مقعد يحتوي فراغاً.."

ربا قنديل



كالعادة مدينتي كئيبة تعج بالضباب، شاعرة أنا لا تفضّل المطر..  
أعشق أجواء الظلام، والضباب الكثيف، الشمس الساطعة، والقمر  
المختبئ.. ربما استقى ثوبي المطرز بالكلمات منحني مختلفا، ونقش  
النجوم جواهر، واستاق الغيم منزلة لتخط بها انحناءاته.. بيوت  
شُعريّ غريبة فيها مقاه عائمة على وجه الماء، ومنازل من حضورها  
تخلق الحياة، وأوقات متعددة كزهور الصحراء..

مازال مقعدي المهترئ من كثرة الجلوس صامداً في محياي؛ وكأنه  
خلق لأجلي يرفض الجميع لأجلي، محكومة عليه ومحكوم لي.. وساعتي  
الذهبية ما زال نبضها يُشيك حروف معصمي، وتجبرني على احتوائها،  
وتجبر على التفاني..

صباحاً أنظر لمشهد الأشجار المتشابكة من بعيد، جسدي على عجلة،  
ومقلتي ترحفان على تضاريسه رويدا .. رويدا.. مازالت نكهة الشتاء  
تجبرني على اشتهاؤ شمس تلون الغيوم بالتراب.. ومازالت نكهة تلك  
الجلسة الأولى عالقة في ثناياي..

عدت مرة أخرى الى هناك.. شيء ما يجبرني هنا على الكتابة،  
يفوقني شعور يجبرني على الانحناء رغم سلطتي.. سعيدة بفصحة عاقر  
عن الولادة، طائفة بفصحة مقعد عن الحراك، هائمة بفصحة محروم من  
العشق، حرة بفصحة محكوم بالإعدام..

تلك الخيالات تجبرني على العيش بمزاجين: أحدهما لصالحي، والآخر  
ضدي بامتياز.. كتلك العصافير التي غفت بجناح مشتاق، كياسمينة ثمل  
على شفيتها العبير، كفنجان شاي حامض باحتواء رهيب..

بساتين اللوتس تزهو بربيع قلبي الدائم، ففي بلادي نفتقد أنواع  
الزهور.. ككفيين تخال لنا المشاهد من خلال الوصف.. الأجواء  
الضبابية تعني لي الكثير.. سقوط المطر.. تلك الرياح الممزوجة  
بالقسوة.. ذاك الحنان الذي يعتري زخات الثلج.. مزاجي متأكد  
كما المعادن؛ يجبرني على تحمل البرد، وكأنما سلطته واسعة النفوذ  
تستبيحني رغما عني..

باعتراف أذعن للكلمات، وكأنما روحي ماثلة في وجه القضاء تُنصف  
ما يخالجهما بتمعن غير مسبوق، تلك الروايات المتحققة في اليونان كانت  
لوحات ترسم في مرافئ خيالاتي تلون كعبير الموج المرصع بالمرجان..

ها قد تحققت أمنيّتي، واكتسى الغيم حلة مرملة لها بهجة صفراء  
باهتة، وطريق الربيع تلون للمرة الأولى بالعشب الاخضر.. وذاك  
الكناري الملجم ألفاه تحرر للمرة الأولى و أعلن الغناء..

صباحا كعادتي للمرة الأولى أجلس في تلك الناحية التي طالما تمنيت الجلوس فيها.. كعادتي للمرة الأولى تحررت حروفي، وبدأت أصابعي بنقش الكلمات، وايقاعاتي بالدق على الآت روعي؛ وكأنما اختلاف المجالس يثير في نواحي المشاعر، وكأنما الترادفات الجديدة تستقي بداخلي سجعاً بوزن غير مألوف..

مائلة في منتصف الربيع كشمعة تحتمل قسوة الهواء، ربما لا تحتمل اختيار الاشتعال المنطفي، الشبه معدوم؛ لكنها مجبرة على التصلب في تلك الناحية، وكأنما مشاعرها مطلية بالزجاج، وكأنما احتراقاتها مجرد وهم، وانبعاثات مصطنعة..

في تلك الثانية كنت ألتقط فنجاني الساخن المنعدم الحرارة بالنسبة لي والذي يحتوي قهوة عربية اكتستها يداي كطابع يليق بهما، وامتصّ جلدي الرقيق الملجم حرارته؛ ليصبح الفنجان دون حياة كجسد فاقد لعنى الخفقان.. كساعة مائلة دون نبض..

في تلك الثانية باح لي:

- ما زلت أروع!!

تشابك الذاكرة عام بي كأوراق الياسمين الطائفة على سطح بحرة دمشقية رقيقة منصفة بساحة خضراء يانعة، كخال بني مرصع بثغر شابة في ريعان الصبا يكتحل كلون سماء زينها القمر..

وسرعان ما حلقت بجناحيّ حتى هوى عقلي لواقعي المميت.. هو  
بالطبع هو يحدثي؟ تلك العلامات طريحة في منتصف طريق وجهه  
أشارت لي، وكأنما أسدل لي شيء من الدهشات..

وسرعان ما نبض قلبي ليرد اعجابه:

- أروع بكثير..

- أخبريني أيتها الملاك ما واقع ظروفك الآن؟

فأجبت مبتسمة:

- ما زلت أكتب يا أنت؟

- ألا تسمح لي بمشاركتك هذا المقعد المتصلب من الانجماد؟ كيف

تستطيعين الجلوس، ألا تشعرين بقسوة الهواء هنا؟

- بالبداية تفضل يمكنك الجلوس فهذا المقعد ليس ملكي، ولا

يمكنني فرض سلطتي بمنعك عنه.. يمكنني تحمل برودته لاشتعال

جسدي، وكفيّ بحرارة الفنجان..

يسدل كفه على كفي، ويصرخ:

- أوه.. بارد جدا! (ضحك باستهتار)، ما زلتُ أولدّ اشتعالات بنبضك

تجبرك على اللجوء للثلج كنوع من الراحة؟

- (ضحكة مشبعة بالاستهتار) . نبضي مشتعل بشيء لا يعني أحداً،  
وافقت على جلوسك، ولم أوافق على حُكمك يا أنت!

وكما يقول المثل الصيني: (ساعة واحدة من البرد سوف تمتص  
حرارة سبع سنوات).. و أظن أن الألم الذي خلفه أكبر بكثير من تلك  
السنوات التي امضيتها برفقته..

- ولم تنادينني : يا أنت؟ اسمي منحوت بداخلكِ، اطرحيه دليلاً لي!  
- اسمح لي بالذهاب لدي موعد، ولا يمكنني التأخر..

أسرعت في المسير، وكأنما الموج يطاردني، والجند تلاحقني، والنبض  
ينسل من شراييني تدريجياً.. وكأنما أردت التقاف كأس ماء سقطت  
على عجلة بحركة غير مقصودة.. تلك الخيالات التفت بي كريش  
طاووس استطاع إغشاء عيني لدرجة زاجرة..

لا أعلم أي صنف من أصناف الإحساس داهمني، شيء ما يحبس  
مجري أدمعي، وآخر يقفل روحي بزعامة.. متخبطة بين صحو وإغماء،  
بين مسيرٍ ورسوٍ، بين خيال وواقع، بين حضور وغياب، بين ازدحام  
وفراغ، بين غمٍ وارتياح..

هو ثكنة غادرت روحي منذ وقت بعيد، حضوره المفاجئ أعياني من  
جديد.. عدت الى منزلي دون حراك صامتة، وهذا أمر ليس معتاداً  
بالنسبة لي أصابتنى قشعريرة مشبعة ببرودة، زخمة بالارتعاش؛

استولت عليّ لتلقي بي بعدما حملتني بزوبعتها على تلك الأريكة الباهتة، لأول مرة أراها باهتة لحدود الموت، شاحبة كوجه صافح الحياة للمرة الأخيرة.. استلقت بجسدي وروحي ومشاعري وتلك الخيالات.. كمصابة بحمى، اعتراني ألمٌ في تفاصيل مفاصلي.. وأصبح بروز جلدي خافتاً لدرجة النعاس، بدأت خيالاتي تواترُ ذاك العقل الركيك الحضور..

عندما كنت في تلك الزاوية من بلادي الراحلة، كان العشق هائماً بروحي، وحملتني الحبّ للرحيل معه عكس التيار، أتذكر حجم الحب الذي كلل روحي.. و أهتقد ملمس عينيه اللتين حلقتا بي لسحاب ذي وميض خافت؛ رقيق برققة ليلة عشق اجتمعت على حائط الغرفة الحمراء، ورسمت قبلة شفاهي كخيال منعكس على الأبواب..

لم أعد أحتمل الابتعاد، وكأنه خلق من غزل أنسجتي، كنت مجبرة على التمسك به، وبهذه البلاد اجبرني ارتباطي بتلك الرقعة المطرزة بالسندس والزعفران على الالتصاق بها وكأنما نخلق لمجaraة الحياة لا للعيش فيها..

كنت كوردة ذابلة في ناحية من نواحي الخيال الملتخ بالشحوب، في صباي أحببته، كانت روحي منسوجة بسجع وتر حرفه، كان يسوق لي الخيال، ويبنى لي أحلاماً من ضباب يطارح ذاكرتي ويضاجع حريفي، ويثور بي لأعود بكبريائي إليه..

دام حبي له قبل ارتباطي به وقتنا طويلا لا أذكرها هو رقم مختلف  
عن كل الأرقام، حديث يختلف عن كل الأحاديث، وتقويم منفرد بفرابة  
فصول حضوره..

علمني أن أبقى هائمة حتى في حلمي، علمني بهيام الشوق أن أعزف  
حبا جمح إليه.. علمني بلطافة قلبه أن يتسلل نبض الحرف من لساني  
إلى قلبه.. علمني في العشق غراما؛ ليس بحب أو أحلام.. علمني في  
لحن حضوره أن أتخيل كل الكون ملامح تساب لقاوية حضورك..

علمني علما غربيا ليس بطابعه الأدبي، وحروفاً من الخط العربي؛  
لا تُشكّل بقوا في العربي.. علمني طربا وغناء؛ ليس بلحن أو كلمات أو  
حتى سلم موسيقى.. علمني حبا ورديا يشبه زهرات الجوري، يتلعثم  
فيه العشاق، ويتلاسن فيه الأطفال.. علمني من سحر الحرف؛ حرفا  
ليس كأبي حرف، يرقص إغواء للسطر، يسجد إجلالا للقدر..

علمني علما وعلوما، سراً دفين وحباً ظهر، ومسلة منحوتات حضرت  
بملامح تشرين.. علمني حبه علمني كيف أهيم بجبر عيونه،  
وتطوف تفاصيل خدودي حول سرب خدوده، وتموج شفتاي غرقاً بين  
عروقه.. علمني علمني يوماً..

في تتالي أيام حبي له أصبحت هائمة بعشق خرايف المنحنى يتقبل  
العزف على أوتار جنوني بإتقان، وكأنما وترى بري يتقبل هبات الريح..

في يوم من تلك الأيام الزائلة كان الربيع قد هاجر، والصيف  
رحل ولم يصل وجهته بعد، والخريف شد أمتعته واستعدّ للمسير؛ في  
صباح تشرين الحزين تبدل الحزن في زقاق روحي بفرحة ليس لها  
رجاء سوى رب السماء..

\*\*\*

رولين.. شاعرة هي، ثقافتها وعلمها أسهما بإبراز ملامحها  
الشخصية، وصبغ فكرها بلون يختلف عن ألوان الطيف المرئية.. أتمت  
دراستها العليا في جامعة أردنية بعمان، حصلت على شهادة بالتصميم  
الداخلي.. وبعد تخرجها عملت في إحدى شركات التصميم.. كان  
شغفها بالعمل يطارح جميع المشتقات، فهي أنثى قرمزية المزاج، ثورة  
فكرها شبيهة بمساقط السماء..

العشق بالنسبة لها شيء يستحيل تكراره، شيء محكوم بالقدر..  
لربما فتنت بتفاصيل مقلتيه الزرقاوين كلالئ البحر..

كانثى شاعرية؛ تمتلك كجميع النساء مشاعر وأحاسيس، لكن بزخم  
مكدر فهي شاعرة.. والشعراء يمتلكون من القمح ما يصلح للأكل  
والبذر.. هم يمتلكون فيضا من الأحاسيس يكفيهم، ويكفي عالماً مكدرساً  
بالقلوب.. بحكم أنها تمتلك ناصية الفؤاد تماما كما تمتلك ناصية  
الأبجدية، وتحترف رسم العبارات ونقش الغرام، وطى الأحلام على



جبهات العشق بانتظام.. كانت ترتاد ذلك المقرّ المخصص للشعراء.. حيث يجتمع أصحاب المعزوفات الغرامية، أولئك الذين يمتلكون الورق والحبر دوماً ويلقبون (بغنى القلوب وفقر الجيوب).

بالعادة تتخذ مقعداً منتصف المدرج الأحمر.. على بعد خمسة سطور من المقاعد المتصافة جبراً؛ فالمقاعد مسطرة رغماً عنها كسلالم الموسيقى، وكما يصفّ الشاعر الحروف على السطور.. تختار المنتصف دائماً لتقبل على الأبجدية من العمق.. نظرتها كانت تلمس شفاه المتحدثين عليها تلتقط من أفواههم نسقاً لغوياً مختلفاً يختلف عما وصل للسامعين.. اعتادت أن تلحن روحها تلك الكلمات المنفردة، ربما كان الشعراء أفضل من الجميع بانتقاء الكلمات وأظنهم كذلك؛ فهم يمتلكون قدرة تجعلهم يصفون كوناً من خيال كما لو أنّ لهم مجرة خاصة، والوهية مختلفة في كل شيء..

هي تمتلك من الجمال سحراً يفوق سحر حرفها اللعين... قادرة هي على صف التماعات عينيها، وهي تنفوه بتلك الكلمات؛ كما لو أنها تتحكم بالتفاصيل التي نظمت؛ لتتماشى بعفوية مع القدر..

في تلك الجلسة كانت ماثلة كجورية دافئة تتبع عشقاً، تصل رائحة نشوتها عنان السماء، وكأنها ثملة بنبيذ الحبّ لدرجة الهيام. التقطت أدراج المسرح، وكأنها تطوي الزمان طياً خلف أقدامها، وبدأت تحلق علواً على تلك الخشبة اللامعة، هي لا تعلم كمّ القلوب

والأرواح التي هوت ميّنةً على أدراج حضور حرفها، وكأنما المجازر  
حلت والأرواح أزهقت، والجثث هوت كجثامين ضحايا مهجرة في  
طيات ذاك المسرح. **مكتبة الرمحي أحمد ٩٥**

صعدت لقمة فرحها فهي تعشق الشعر لحد يجعلها تدمنه كما  
الشوكولاتة مع البن مع الفطور، أو كوجبة خفيفة تتناولها عصراً..  
وكانما الكلمات نسجت مع اللحم بداخلها. وعند وصول مبتغاها المراد  
رفعت جذعها الذي لطح بالحياء. وتناولت أوراقها كوجبة بصرية  
خفيفة، احتستها كأنها دخان موشح برائحة البن. في تلك اللحظة  
اشتعلت عيناها بملء إرادتها.

هي تحسن التصرف بلمعان مقلتيها وحركتهما .. وتحسن تفصيل  
بريق إثمدها.. وبلورة بؤبؤها، وكأنها تمتلك إرادة خاضعة لحكم قلبها  
قبل عقلها.

بدأت تشدو بسحر صوتها الذي اكتسى معزوفة ماثلة، كناية يعزف  
أعذب ألحانه المطربة. وفي أثناء تنقل مقلتيها تفحصت جسداً غريباً  
يحدق بها لدرجة الإرباك، يتفحص تفاصيلها رويداً رويداً كأنما  
يتفحص الأمانة (الزرقاء الممتازة)، التي تعد أندر أنواع الأمانس  
في العالم. سقط بصرها على رقيّ تلك النظرات، شاب وسيم ذي  
عينين مموجتين بلون البحر، وشعر أشقر يذوب على انوار خيوط  
الشمس..

ارتجلت أشعاراً في بحر الحب؛ الحب بحر ليس كأبي بحر، أمواجه  
هائجة، تبتلع أيّ مار في طريق نسيمه، يمتلك هبوب هواء جارف  
وأعاصير تمثل الأرواح، وتجتاح الأجساد برفق.

أنهت شعرها بعدما كانت قد خُدرت بحضوره لحدود الوخز (بعض  
الألم ينتج من مواد تسكنه).. عندما أفاقت لموعده رجوعها للمقعد؛  
حيث المستمعين وهي تحتله بنظراتها، أظنه ثمل أيضاً من جمال صوتها،  
ورنين بوح حرفها، أو من جمال جسدها ووهج عينيها، وتفاصيل غرام  
هدبيها. كانت أنثى مكتملة كليلة عشق اجتاحت صمت رجل أعزب لم  
يشتم رائحة النساء أبداً.

كانت كانهئات رقص مفتاح الصول على درجات السلم الموسيقي  
تنخفض من مدرجها. تعانق السماء بأبهة أنيقة، وتلتف بفراش الأرض  
الأحمر.. وكأن المسرح ليلة حب، أو سلّة عشق تفيض شوقاً، يلم دفناً لو  
وزع على السماء والأرض؛ لأثمل الأطفال والشيوخ عشقاً... هي الأضواء  
الحمراء خاطفة العيون التي تضي سحراً أنيقاً على الزوايا الباهتة  
كما ينتشر عبير تأثيرها على القلوب... ليس هنالك أجمل من قلب حلّ  
دوره بتجديد حجراته، وتلميع زجاجته، وطلاي جدرانها.

كانت مدة اللقاء ساعتين، مضى منهما ساعة، وبقيت أخرى. هي لم  
تستمع إلا بعشرين دقيقة من الشعر قبل أن تصطاده سهام عينيها.  
فالوقت المتبقي رهن فكرها بتفاصيله..

هوت استسلاماً لبريق مختلف لحضور اجتاح العوام، لرجل حرر  
مقلتها للهروب من إرادتها، استطاع السماح لنفسها باختراق تفاصيله  
غصباً عنها، فهي لم تعد أبداً إخراجها من منتصف قلبها؛ فهي  
عاجزة عن السير بشوارع الحياة، والسباحة في مدارات العشق، لم تعد  
السير دونها فهي رفيقتها دوماً، لكنها استطاعت التخلي عنها، وتركها  
في منتصف الطريق وحيدة.

\*\*\*

سهيل.. هو قبّل العشق، ولثمه لحدود الجنون، وأعرض صفحاً  
عن الجنون الذي طالما أحتبس بداخله، وقّع لأول مرة وكالة علنية  
تسمح للحبّ بالتحكم بقلبه وحجراته ومحتواه متى يشاء.. كان يقبع  
بالمقعد الذي يقع على الجانب الأيسر بالسطر الثالث.. أظن أن  
مقعداً ومقعداً وحدهما اللذين استمتعا بأول تفصيل من تفاصيل  
الإعجاب الذي تجاوز الإعجاب في نفسيهما. هكذا هي الأقدار تجتاح  
الأبصار في أغلب الأحيان... أغلب العشاق يعشقون من النظرة  
الأولى بصمت..

انتهى الوقت ببطء مميت، هو ينتظر ملياً أن ينتهي البوح المبهم..  
إذ لم يعد يعي الرقصات الشعرية التي أطربت عيون الحاضرين؛  
لانشغاله ببريق عينيها وأناقة حضورها. التفت سريعاً للوراء؛ ليستطيع  
الانقضاء والإمساك بها، فهو يفتنم كل لحظة للوصول إليها..

برقة نظرتها أدركت أنه علق بصنارتها. ابتسمت لتخبطه العارم، فهو لم يستطع أن يخفي نظراته وانجذابه لها.. تقدم إليها بلطف، وعلى ثغره ابتسامة تصنف من بنات العاشقين، تختلط بلحن السيمفونية التاسعة لبتهوفن؛ ابتسامة تجمع القوة بكبرياء لطيفة، وحنان يعم أرجاء الوجه.. حيّاها وسلّم عليها، ثم أردف:

- اسمي سهيل هاوٍ للشعر، لكنني لا أكتبه.. أتيت اليوم مصادفة لحاجتي لجرعة شعر تعيد دوزنة أوتار عود روحي.

- (ابتسمت له برقة).. أهلا بك، أدعى رولين، شاعرة منذ الطفولة. هذا المكان متنفس لروحي وفكري وقلبي.

- اجتاحت خيالي كلماتك، فأنت تمتلكين من اللفة، وفخامة الحضور ما يجعلك متميزة.

- أشكرك سهيل، هذا لطف منك.

- أتجلسين لنكمل حديثنا؟

- (أجبت بارتباك).. بالطبع، لنجلس.

كان نبضي خافقاً لحدود لم يستطع قلبي المرتجف تحمله. اختار الموقف الصحيح عندما طلب مني الجلوس. لقد كانت روحي مثقلة

من ألم ذلك النابض. هي لا تعلم أنّ العشق مؤلم، وأنه يأتي محملاً بالهدايا، وقبل رحيله يكدها بأثقال.

هي شرقية بطابع غربي زاجر. أنثى متمردة، ذات قوام متقن الصنع، تمتلك بسمه تستبيح الأجساد، وتجتاح العقول. وينبض قلبها تحكم رجال البشرية، براءتها تكتسي جسدها، ورونق روحها يطوف الكون.. نصف أحاسيسها تحكمها الأبجدية؛ فهي شاعرة متقنة البروز.. في تفاصيل مقدمتها يتوه العربان، ويفترب الأجنب في ذلك الحضور.

سألني ملاطفا:

- أظن أنك تملكين من الرقي ما يطفى على جمال حرفك، و يجتاحه

بإبهار؟

هولا يعلم أن الخيال يسجد تقديرا لكبرياتها؛ فهي بلا منازع تجتاح كل مألوف، وتثور على المستحدثات. تعجز المواقف عن النقر على أبواب طموحها المتعدد الأدرج. لربما هي مخلوقة من ضلع نرجس مكفن بالزجاج، يحوي رائحة ربيع أسطوري محلق من الجنان لم يستطع أحد من البشر اشتماحه سواه.

- برقة أجبته.. أعتبر هذه الكلمات مجاملة، أم أنك لم تلتمس من

بوحى سوى جمال التفاصيل؟

- بالطبع لا عزيزتي. بوحك ذو رقي باذخ. استطاع اجتياح أذني،  
وكأنها محاطة بخيط صنارة أرغمها للانسياق معه.

بابتسامة تملأ ثغري..

- ممممم ..... جميل، لك قدرة على استيقاق تشبيهات تثري  
إدراكي، وتجرّ نواحي عقلي لما وراء الواقع.

بعض المستمعين يستطيعون ترتيب الحرف، وتمييزه أكثر من الكتاب،  
وعلى الأغلب فإن المستمع الجيد الذي لا يمتلك ناصية الحرف؛ مبدع  
في الحركات الأدبية، والرقصات الشعرية، تماماً كهذا المحتال، بكلمتين  
استطاع جذب قلبها على ما يبدو.. (وليس خيالها كما قالت).

بعض الرجال محنكون تماماً كالأدباء، هم يستطيعون امتلاك الإناث  
بواسطة الكلمات كما استطاع تماماً جرّ قلبها خلف ناصيته وتكبيله  
بجبال مثقلات الحمل، تماماً كما تجتر هي الأبجدية بنظرة مغرية. هو  
لا يعلم كم الأبجديات المخزنة في أكواخ قلبها، وكأنما خلقت من رحم  
اللغة.

\*\*\*

استمر بالتردد هناك لذاك المسرح الذي شكّل على هيئة العشق..  
والذي أحاله الحبّ منزلاً جديداً يستعمله وقت الحاجة؛ فالحبّ يمتلك  
قلوباً كثيرة وعقولاً منيرة، ومشاعر غريقة.. في تلك الفترة كان جسده

يفتقر للعمل، كان يجلس في مجالس الأُنس لا يمتلك مرساة أو هيكلًا أو سفينة؛ وبحكم عمله البحري هو شبه مشلول، وربما يليق به تصنيف مقعد..

جلسا معاً ملياً، ثمان أو تسع مرات تصنف ضمن كتاب الحياة بالكثرة. وضمن كتاب العشق بالافتقار.. لم تستطع أن تبوح بثقل هديتها بالحب، وكأنما ولدت من رحم الحب، وصنفت ابنة للعشق، ونسي أبواها أن يعلمها الحديث! أطرق الغرام سهواً كمسكر اجتاح صمتها. فهي أنثى وبالطبع لن تبادر بالحديث، ولن تتعلم أبجدية الحب مستبقة ذكرها، ولن تستطيع البوح دون مفتاح مختوم يختم رجولي "فالإناث دوماً ملجعات في حضرة الرجال"

هو صامت دون أي حراك لافتقاره الجرأة، أو لخوفه من انفعال شرقية تائرة على نبض الحرف تستطيع تشكيل الذكور من الحروف.. وكما يقال: (سكن تسلم في جميع الحالات) خيار الموت قهراً أفضل بكثير من بوح يعقبه دماء لذا سكن بوجه.. وكما قيل: (إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب).

مضى شهر جديد، رولين بقائمة الحضور لتلك المجالس، وسهيل بقائمة الغياب. تتساءل صامته وتحدث المقعد الفارغ بجانبها؛ ليس هناك من يجيب؛ صمت مطبق. هذه حال العشاق يحضرون بسرعة



كشهاب في السماء يخطف الأبصار، وسرعان ما ينطفئ بمجرد اختراق طبقة مختلفة. مرّ شهر آخر وآخر وآخر... وهو لا يرتاد المنبر الأدبي. ربما لم أعجبه؟ سؤال يرتاد خيال أي فتاة، رغم اختلافها..

مملكة الحبّ ليست محددة فهي لا تمتلك سياجاً أو خريطة أو صورة محددة؛ تماماً كالشهاب.. يمتلك من الحكايات ما نعجز عن فهمه أو الإلمام بنواياه، يقال ان السماء تكلم بالحدود.. لكل طبقة برزخ بائن يسمح لسكانه بالطواف داخل إطار مملكته، وفي حال تجاوز احد ساكنيها عتبات الحياة هناك؛ يحكم بالموت قسراً.. فضمن تلك السماء الشاهقة قوانين و أنظمة تضبط الحراك، وسرعان ما يكون ذلك الجسم ملتهباً، وما أن سنّ لنفسه اختراق عتبات حدوده حتى تعم لعنة ألتهتها روحه فتضطرّ لقتله؛ فالعشاق يقتلون حباً كما تطفأ الأنوار، أ ليس إطفاء النور نوع من أنواع القتل؟ تماماً كما يَعدّ نوم الأجساد موتاً.

رولين سلمت ذلك العشق للقدر، تعلم تماماً أن القدر منصف للقلوب... في مخيلتها ذلك الوسيم عابر رحل، جاء ليروي ظمناً روحه ثم رحل، و أظن أن إعجابه أسدل كما تسدل الستائر ليلاً على جميع الشبابيك، سوى تلك المفطورة القلب التي تبقى شرفاتها مشرعة دون أنسدال.

سهيل مجرد معجب في القرن الحادي والعشرين وقد هوى. كما تهوي النوتات الموسيقية أدراجها من ارتفاع شاهق بهبوط ساحق.

\*\*\*

في تلك الأيام المتواترة كان سهيل يعمل على باخرة بحرية يونانية؛ لكسب المال، وتأمين حياة فضلى... كان يتقاضى في بحر الغرب نقوداً كثيرة كفيلة بجعله ملكاً يتعرش قلب أي فتاة عربية؛ لكنه يطمح بقلب رولين.

كان قلبه مشغولاً في حل تفاصيل أحجية روحي؛ فأنا صعبة لحدود يستعصي على أي بحر في حلّ حبر ورقي.

يتكئ على خشبة من جسد هيكل السفينة ويفرق في خياله... حضور ذاكرته يجبره على الوجود في طيات أمواج فكره، يمر الوقت سريعاً حتى في الخيال.. يقال إن الأحلام تنسج بسرعة البرق لسهوه الفكرة، وحالما تخر منكسرة لتترك خلفها زجاجاً متناثراً.. هو يستطيع احتلال ساعات من فكره بشوق ملهوف، تماماً كما تحتل هي وقتها بشدة لكتابة قصيدة أو مقطع شعري. وكما يستطيع هو جعل جسده ملكاً للعمل؛ فهو محكوم بالموث بتلك الباخرة لمدة سنة كاملة دونما أن تطأ قدمه اليابسة لدقيقة واحدة. يستطيع استدعاء ذاكرته طوعاً في أي وقت يشاء؛ فهي الوحيدة التي تمتلك صور تذكارية لرولين.

رولين اسم جميل ليتني استطعت أن أبوح لها بحبي أو إعجابي. ليتني تمكنت أن أقول لها أحبك، أو أن أغازلها أو آخذ رقم هاتفها. ليتني استطعت أن أخبرها أنني راحل طوعاً لمدة عام. تلك الكلمة تواترت في خياله؛ ليت وليت وليت.. ليت الأقدار تتركنا كما نشاء، إنها تحكم

الأيام؛ كما يحكم الوطن العربي رغم أنفه، وتقتل الأحلام كما تقتل الشعوب رغماً عنها، وتفتت الطموح كما يتفتت الجسد رغم عزمه. وتجتاح الحياة مخلفاً إثرها جثاً وضحايا كما يجتاح الرصاص الأجساد مخلفاً خلفه جثامين دون أرواح..

مضى على عمله في البحر أحد عشر شهراً؛ سهيل سيصبح حراً تماماً بعد ثمانية وعشرين يوماً، يعدّها بالدقائق شوقاً أو لهفة لا أدري. ها هي تمر بسرعة البرق فغداً ستحط قدماه على اليابسة، وسيعلن انتصاره على البحر.

يفكر بهدية تليق بها، فكره مشوش، وما زال مقيداً بالجنازير، غداً سيصبح حراً طليقاً، وسيتمكن من التفكير.. أن تبقى في منتصف الماء، شعور مشاطر لشعور السجن قسراً رغم حريرتك.. هو يمتلك شهرين من الحرية، وستة شهور أخرى من عبودية للبحر.. لذا يمضي ستة شهور من العمل، ثم يعود لوطنه لمدة ستة شهور أخرى.. سيعود وحالماً ييلتقيها سيبوح لها عن أرقه وحبّه.. وشوقه وهيامه اللامتناهي.. سينجح لا محالة بأخذ نمره هاتفاً ومحدثها، أو الارتباط معها على الشبكة الاجتماعية ومحدثها.. الفكر يطارده كذئب يلهث خلف الضحية.. يتمكن النعاس منه فيطرح تلك الذاكرة في الفراش منهكة؛ كي يتمكن من استباحة جسدها رغماً عنه، ثم يستسلم للنوم.

صباح الأربعاء استيقظ هائماً بعشق جديد؛ عشق الحرية.. لأول مرة من اثني عشر شهراً لا يرتدي بزته البحرية تلك، طرحها في حقيبة السفر، وارتدى ثيابه القديمة.. هي قديمة لكن كان لوقعها حضور جديد في صدى نفسه. يودع الطاقم البحري الصغير الذي انحل عنه، وعن تلك الباخرة طمعاً بملامسة اليابسة، وأن تطأ قدماه بعد طول انتظار التراب. فرحة اجتاحت مقلتيه وجسده. بدأ عزف البحر يتوارى عن المسمع، وعزف الشاطئ يقترب رويداً رويداً لكن الأصداف مازالت تعزف شوقاً لحبيبها البحر، فالعشاق لا يمتلكون السيطرة على قلوبهم، فهي تبض عشقاً لمن تهوى، وتطرب غناءً لمن تريد.

اصطحبه صديقه اليوناني (اليخاندرو) للسوق، وفي الطريق أخذ يفكر بماذا يحمل لها.. أ شجراً وبحراً وهواءً، أم بساتين خضراء؟ مرجاً وكرماً وعيون ماء؟ فهي شاعرة وتغريها هذه المناظر. أيحمل لها اليونان عن بكرة أبيها، أم يكتفي بسلسلة؟ وحالما وصلا للسوق شرع يبحث لها عما يليق بها. فخطر بباله أن يجمع لها عدة مؤلفات ويهديها حروفاً؛ فأجمل ما يقدم لأنثى صاحبة أبجدية هو الحرف.. أطرق قليلاً، وسرعان ما تبدل رأيه، فالنصوص مكتوبة باليونانية، وهي لا تجيد اليونانية؟! بالتأكيد لا تجيدها.. هو عائم في بحر فكره، وجسده عائم على اليابسة، ومقلته محلقتان بالهواء، سقط بصره على سلسلة جميلة تليق بجيدها الفاتن. اقتناها وعاد بسرعة البرق للأردن بعد أن ودع (اليخاندرو).

لم يمض الكثير من الوقت في البر... خمسة ايام تنقل فيها من دولة  
مجاورة لاخرى حتى صل لوطنه على أطلال الجبال السبع التي تكتنف  
عمان الأردن، عاد وكأنه مخلوق من فيض خصبها من جديد. انتظر  
بصبر ممتلئ يومين؛ ليقابل عشيقته الفاتنة، في تلك الجلسة التي  
ستعقد يوم الأربعاء..

\*\*\*

استيقظ صباح الأربعاء بحلة نشاط، استقبل الجميع بابتسامة،  
وكانما عرسه اليوم وكانما سيزف لجنان النعيم.. ذهب للحلاق ليجدد  
ملامحه الجميلة.. هو رغم كل شي فاتن بإغرائه، وشعره لائق رغم  
طوله..

معاذ الحلاق معجب بسهيل؛ كلما جاء سهيل ليحلق ذقته، أو يقص  
شعره يوبخه معاذ..

- كيف سأقص لك خيوط الذهب هذه؟

- قص شعري، و أنت صامت يا معاذ..

- لكنه يغريني لحدود تجعلني أخرج من رمية أرضاً!

- (ضحكة ساخرة).. قص يا معاذ، اليوم أريد أن أظهر بهيئة

مكتملة..

مكتبة الرمحي أحمد

- أعاشق يا بحار؟

- أنتتظر جواباً ينفي ما قلت؟

- سأجعلك تبدو أجمل من الشمس، وأرقّ من القمر..

سهيل شاب أنيق يلتف بعقد من بياض القمر، هيئته مكتملة من جميع الجوانب، فهو جميل ووسيم، ومستمتع جيد وهاوٍ للشعر، رجل مجدّ وعاشق ولهان..

تحت أنامل معاذ ابتداءً المقص بقص الشعر.. وبدأت الذاكرة بلصق الأحداث، وكأنما رولين ماثلة لأول مرة على المسرح؛ بدأ يسترجع ما استطاع جمعه من عاصفة حضورها واستعراضها كقصاصات تكلل ذاكرته.. عاد سهيل للمنزل ليكمل ما تبقى له من هيئته الجديدة.. ارتدى ملابسه بإتقان لم يعهده من قبل.. رشَّ بعضاً من عطره، هو يستعمل عطر (jevenchy) ساحر هو كحضورها وحالما جهز نفسه، استبق خطوات الطريق لاهثاً؛ توقفاً لرؤيتها..

الساعة السادسة موعده مع قدره.. كان المدرج الأحمر يفتقد العشق صامتاً بحلة مغرية؛ كجميلة تنتظر عشيقها في زاوية مظلمة من تلك الزوايا المأخوذة كمنزل للحب.. لم يحتو المدرج سواه وامرأتين ورجلين.. انتظر ليكتمل العدد، ورولين لم تأت.. بدأت الأمسية، ورولين لم يسطع ضوء حضورها..

العشاق يفتنون بسرعة الضوء، تبقى دقائق قلوبهم، ولمحات  
أبصارهم عالقة بعالم غير ملموس؛ وكأنهم أموات جالسون على  
عتبات الحياة بجثثهم، يتسكعون في شوارعها بأرواحهم.. انتظار  
يولد انتظاراً! وأمل يطوق أملاً! حتى كاد يبني برج حمام من قش  
الأمّل؛ وسرعان ما هبت عاصفة انتهاء الجلسة حتى هوى البرج  
محطماً أحلامه قبل آماله.. وكما يقال "ما كل ما يتمنى المرء  
يدركه"، وهذا ما حدث فعلاً، هو تمنى، والقدر غنى بإيقاع مخالف  
عن طرب حرفه، كتضارب البيانو مع الناي، تضاربت أحلامه مع  
آماله، وهوى كجثة هامدة موخزة مثقبة من شدة الحمى..

تناول طموحاته وبصره الذي كلل بالشوق، ولم حقائب انتظاره و  
آماله وركنها على ظهره، وجرّ روحه بحبال الشوق وعاد لمنزله.. لأول  
مرة في تاريخه استطاعت أنثى كرولين اقتحامه لمدة عام وبضعة شهور  
بشوق متسلسل، وكأنما استطاعت ربط قلبه بحبال الانتظار واللهفة،  
ورمت له بحبل شوق ليحزم فيه ما تبقى له من صفات تصلح لتلصق  
بهذه الحكاية..

بقي مستقلاً فراش ذاكرته، ومتكئاً على جموح قلبه؛ وهو يقرب تلك  
الذاكرة جيداً؛ ليكتشف حلاً لما حل به.. أيعقل أنّ لا تأتي في الجلسة  
المقبلة؟ ماذا لو كانت قد تزوجت وغادرت البلاد؟ أنا مفتون بها، فهي  
ليست مماثلة لأي أنثى عرفت بحياتي؟ حتى طرق فكره باب الإلهام،

وقرر أن يسأل رفيقتها التي تشاطرها الجلوس بالصف ذاته كل مرة..  
(في أحد اللقاءات رمقها تتحدث مع رولين)

مضى أسبوع جديد.. لأول مرة يشعر سهيل بطول الأسبوع.. وما إن حل الأربعاء بعد طول عناء.. حتى استعد بشوق مفرط؛ ليذهب لمجلس العشق.. الساعة السادسة تماما دخل المدرج الأحمر.. ذاك المدرج يقبع في حارة عتيقة مطرزة بشحوب، وكأنها أرملة مازالت ترتدي العزاء.. لا أعلم أيكتمل عشق ابداً بنقطة أمل تقنط في منتصف قلب الحداد؟

تلك الزاوية مشابهة تماما لما حل في منزلنا ذاك اليوم.. أختي لورا كانت جميلة، ولم أعهد منها سوى الجمال.. راقية معنقة تكتسي الرقي كزهرة توليب حمراء موشحه بالصفار، أذكر أنني لم اشتكي هي أو فرحي لأحد سواها، كانت تستوعب زلاتي وتتقبل هفواتي، كنا صفاراً، أنا في العاشرة، وهي في الثالثة عشرة فهي أختي الكبرى والوحيدة..

أذكر أننا قررنا أن نذهب صباح العيد لنلعب بتلك الألعاب الخشبية التي تنصب ليلة وقفة العيد؛ فهي جميلة مغرية رغم أنها باهتة.. تبدو لنا كأنها ملونة بتشكيلة ألوان منسوجة من واقع مغاير.. دائماً يخيلُ للأطفال مشاهد منسوجة من خيال فهم يستطيعون بناء قلاع على ورق، ونسج بساتين في الهواء.. يستطيعون بناء مملكة على السرير، وتشكيل حكاية من محض خيال مرسوم بضباب؛ وكأنما الواقع سهل مرن كعجين يمكن تشكيله بانفراد رهيب..



حالما وصلنا الى ساحة اللعب قررنا أن نلعب على أرجوحة مصنوعة من حبال صفراء معقودة بخشبة مستطيلة، أنا لم أجربها في حياتي أبداً.. كانت قاعدة ركوب الأرجوحة تقتضي أن نقف، ونتمسك بالحبل العريض، ثم يبدأ الرجل الضخم بهزها فتأرجح بسرعة، نحلق وكأننا أجسادنا محاكاة بجناحي عصفور هائمين في سماء حاملة.. اليوم سمحت لي لورا أن أمتطي ذاك الجناح.. لكنها اشترطت عليّ:

- رولين أنا سأركب أولاً، وأنتِ ستنظرين كيف أحلق في السماء، وأنا متمسكة بالحبل، ثم تركبين برفقتي، وانزل لأجعلك تركبي مرة أخرى وحدك..

أذكر أن صف الأطفال كان ممتلئاً لحد غير محتمل.. كنا متزاحمين تلتصق أجسادنا ببعضها بعضها؛ وكأننا سنابل قمح متراصة في حقل واحد.. وأخيراً جاء دور لورا.. صعدت أختي الجميلة لتلك الأرجوحة المطرزة بالألوان الغريبة، هذا ما خيل لي قبل صعودها..

- رولين ها أنا سأصعد انظري لي جيداً حبيبتي.

صعدت روحي ترفرف لأمل الصعود خلفها.. وها هي لورا تمدّ ساعديها ملتقطة الحبل الأصفر، ومستعدة كطائر نورس يبدأ بالتحليق..

بدأ الرجل الضخم بتحريك الحبال ببطء ببطء ثم أسرع وأسرّع وأسرع.. حتى حلقت للغيوم. السرعة مخيفة أذكر أن الهواء كان

يترامى بحضني بسرعة خاطفة.. و كانت لورا تراقص الهواء بسرعة رهيبة كانت رقصتها مشتعلة بعشق مختلف...عشق فريد من نوعه، و ابتسامة الفرحة المطرزة في وجهها مكللة ببعض الخوف المنقوش في تفاصيل ملامحها، وكأنها عاشقة ترقص (تانجو) برفقة شاب أسباني قوي..

وما إن بدأ الرجل بهزها بسرعة حتى خانها ساعداها، و ارتمت للأفق. في تلك اللحظة كنتُ شاهقة، ونظري بالمشهد؛ ارتمت بحضن السماء، و ارتطمت بالأرض.. بدأ الجوري يعتصر من كل جزء من جسدها.. اليوم جاء دورها لتعتصر بمعصرة الموت؛ دمها ملأ التراب والحجارة، ملأ ملابس الأطفال، وملأ دهشتي بما حصل..

أذكر أنني لم أقترب، اكتفيت بالنظر من بعيد حتى اني لم أبك، ولم أتحرك وجفناي لم يرفأ أبداً.. بدأ الرجال بالتوافد ثم حملوها للإسعاف، وذاك الضخم يضرب برأسه، ويصرخ:

- ماذا فعلتُ يا رباب، ماذا فعلتُ؟

اقترب رجل صغير السنّ مني، وسألني..

- أ أنتِ أختها؟

صمتُ ولم أجب.. عاود طرح السؤال بصيغة مختلفة..

- أ أنتِ تقريبيها بشيء؟

- صمتُ مرةً أخرى.. بدأ يهز جسدي ويصرخ:

- أجيبني.. أجيبني.. أجيبني..

كنت أوزع نظري على السنابل كانوا جميعاً مندهشين، بفرع رهيب يصرخون ويبيكون لما شاهدوا إلا أنا؛ كنت مكتفية بتوزيع بصري.. أيقنت ذلك الوقت أنني لن أستطيع ركوب تلك الأرجوحة أبداً، وأنها ستبقى ملوثة بالدم مدى العمر، وسيبقى مجرد تذكرها بذاك المشهد ملوثاً آخر لذاكرتي..

أذكر أن قدمي ساقطاني لطريق المنزل، الرجال يتبعون خطاي وأنا أسير بتأرجح غير معهود.. وصلت... وما أن هممت بقرع الجرس حتى فتح أخي أيمن الباب.. دخلت وأنا مرتشقة بالدم..

- أمي تصيح ما هذا... أين لورا؟!

الرجال يدخلون للمنزل دون استئذان..

- أين زوجك؟ (سؤال طرحه الشاب على أمي).

- (أمي بلهفة) ماذا حصل أخبرني أرجوك!

- (الرجل بأسى) أريد زوجك..

أبي جاء بمشهد مرعب.. تائهاً مستغرباً متفاجئاً..

- ماذا حصل؟ ماذا يجري؟

- يا سيد نريد أن نصحبك للمستشفى.. ابنتك وقعت عن الأرجوحة وكسرت يدها..

ذهب أبي على أمل أن تكون لورا كسرت فقط..

كانت أمي تجلس نادبة حظها، مؤنبة ضميرها لسماحها لنا بالذهاب..  
أذكر أنها سألتني ولم أجب هزنتي، وصفعتني بقوة ولم أجب..

بعد مضي ساعتين من الزمن جاء أبي وأيمن.. احتضن أمي، وقال لها:  
ادعي أن يتغمدنا الله برحمته هي بالعناية لأن رأسها اصطدم بالأرض..  
لم يستطع أبي في تلك اللحظة أن يخبر أمي أن لورا لاقت مصرعها،  
وحلقت روحها للسماء.. أذكر أنني لم أصدق أبي في ذلك الوقت.. أخذني  
وأمي وإخوتي برفقته.. ركبنا السيارة البيضاء، لكنني لم أرها بيضاء؛ فقد  
كنت أرى كل شيء أحمر.. البشر والحجر... حتى الهواء أحمر..

طلب أبي منا أن ندخل للغرفة.. أنا على يقين أنها ماتت. وأمي عندها  
أمل أنها مازالت حية. وما ان دخلنا حتى ركضت أمي نحوها..

- لورا.. لورا.. ماما أجيبني.. حبيبتي لورا.. ما بها يا أحمد! لم لا

تجيب؟

- (أبي يجيب): رحلت للسماء..

صرخت أمي حتى عم صوتها سماء الكون.. أذكر أنها انهارت  
صراخاً..

هكذا تحكم لنا الأقدار أن لا تدوم أفراحنا، أن تقص الجوريات  
عن الأشجار، أن تباع الأزهار، ولا تمتلك أمهاتها سوى صراخ لإسكان  
فقدتها.. كمشردين حرموا من أحضان أمهاتهم لبيعوا بالأسواق،  
حرمت لورا من حضن أمي، ولم تعد تزين شجرتنا.. رحلت أجمل زهرة  
من حياتنا..

"لورا أحمد" مازال أسمها عالق بيالي مع كل بيت شعري يرن  
مطارحاً ذاكرتي؛ كانت تهوى الشعر والقصائد، كانت قارئة متميزة  
رغم صغر سنها.. أذكر أنها أنهت قراءة جزء كبير من القصائد التي  
احتوتها موسوعة الشعر على الشبكة العنكبوتية.. مازلت أبتسم عندما  
تتقر الذاكرة بحضورها في كل بيت شعري، وكل مقطع نثري..

\*\*\*

اكتمل عدد الحضور، ورولين لم تحضر.. بدأت علامات اليأس تحيط  
بوجنتيه وبصره، وعقدت أحبال الشوق مطوقة جيد أمله.. كان الأديب  
يكلل أشواق المسرح يقرأ على مسامع الحضور قصيدة تحتك بنبض  
الحبّ..

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

- أعشقتها فاتتني الأولى..

هذا ما استطاع سهيل سماعه بعدما همستُ له:

- أنت هنا!

هو على وشك الانهيار يتفحص ملامحي بصورة غير معهودة قطّ..  
كأنما عاد له فقيد بعد الحرب. تجبرنا الحياة على أن نتفحص كل  
غائب عنا بشوق رهيب، وكأننا نتفحص آلة دقيقة، ونتأكد من أن كل  
القطع مركبة بصورة صحيحة..

- رولين! أنت هنا، كيف أتيت؟

- (ابتسامة لطيفة) سرقت مقعدي على ما يبدو؟

يشير الشاعر برأسه لنا لنصمت، من حركة شفاهنا يرتسم له  
الكلام..

- سهيل أصمت، هو رمقني ببصره لنصمت..

لأول مرة أحسست بجمال أن نلتقي شخصا انتابنا إعجابه.. لأول  
مرة أوقن بأني وقعت في شباك الحبّ.. كنت متلهفة إليه؛ لدرجة أنني  
أحسست أننا محاكان كزهرتين على جبل واحد يفصلنا فراغ صامت،  
ورائحة أشواقنا تفوح لحدود الكون.. يقال ان الخمر الحقيقي هو خمرة  
الحبّ، وتلك المشروبات الملونة ليست سوى مسكرات كحبة "البندول"

تسكر الجسد عن الإحساس بالألم لمدة معينة.. لكن العشق مسكن دائم يستطيع اسكار الأجساد والأرواح والكلمات بصمت مطبق، يسكر المجالس بقرص واحد، وما ان تتجرعه فلست بحاجة للتجديد أبداً.

أذكر أنني طاردت الوقت لأصافحه من جديد.. لمست كفي كفه مرة أخرى، أظن أن انتعاش الصيف عاد مرة أخرى، و أن حرارة شوقه استطاعت تجفيف برك الماء التي نتجت من شتائي، وكذلك جفت أراضي روحي وأجزائي.. استطعت أن أستعيد صيفاً فقدته منذ زمن..

تتواتر الفصول بسرعة الضوء، وتلك الأحاسيس التي تستطيع احتوائي يمكنها أن تتواتر بلمح البصر؛ لترمقه من قريب، أو لتشفي جروحها بلمس سحره.. تستطيع أن تخفض حرارة شوقي؛ لتلهب حرارة حبي من جديد..

- رولين كيف أصبحت غاليتي؟

- بخير الحمد لله.. ماذا عنك؟

- اشتقت لمجالسكم..

- أهلا بك.. اختفيت منذ زمن! لم أرك منذ وقت بعيد، أكنت تعاني

شيئاً؟

- لا غاليتي.. كنت مسافراً، أسمحين لي أن أدعوكِ لفنجان قهوة في المقهى القريب؛ لتحدث قليلاً

اتخذت قراري دون تفكير..

- يمكنك بالطبع

حملتني قدماي وكأني فراشة شفافة اللون، لا تمتلك ظلاً أو لون ظل.. في الطريق بدأ يحدثني عن غيابه..

- غبت عن المجالس الأدبية بسبب ظروف عملي، فأنا كما حدثتك سابقاً قبطان.. وأعمل بشركة يونانية، وهي عبارة عن سلسلة شركات فندقية تتخذ البحر منزلاً.. نقضي رحلتنا على متن باخرة كبيرة نتنقل فيها، ونجوب ما يحيط باليونان.. سبق لي أن أقمت في آخر إجازة لي عاماً كاملاً، وينبغي أن أعمل لمدة عام متواصل كشرط أساسي لأتم مدة عملي.. ثم سأعود لعملي التقليدي، أنا أعمل لمدة ستة أشهر متفرقة بالبحر.. وهكذا اضطررت للسفر دون أن أودعك، أو أن أنقل لك خبر سفري الذي جاء على عجل و انساني أن أخبرك.. بحثت عنك بالشبكة الاجتماعية وجميع مواقع التواصل، ولم أجد لك أثراً.. أيمكنني التواصل معك غاليتي؟

- بالطبع يمكنك.. سأكتب لك الإيميل الخاص بي لتواصل.. انتظر لنجلس وسأزودك بطرق الاتصال بي..



- بالمناسبة جئت الأربعاء الماضي للجلسة الأدبية، ولم أجدك؟

- كنت على وشك إنهاء مشروع كنت أعمل به، ولم أستطع أن آتي في الموعد المناسب للجلسة..

- أنا لا أعلم سرِّك، بماذا تعملين؟

- أعمل بالتصميم الداخلي والديكور... عملي ليس سرّاً..

- جميل، يتوارد بداخلي سرُّ أناقتك، وهندستك للعبارات.. أنت تمتلكين حرفية عالية بالحضور بجانب حرفية الحرف، فأنتِ تستطيعين احتراف كل شيء..

وصلنا للمقهى.. لم أستطع أن أذهب معه بالسيارة، كنت خائفة بعض الشيء ولا أريد أن يراني أحد وأنا بجانبه.. لذلك اخترت السير، فالمقهى قريب جداً من المسرح.. أفضل السير في المواقف التي يكتنفها التوتر.. المشي يريح الأرواح الساكنة..

جلسنا على شرفة تطل على عمان.. لأول مرة أرى عمان سعيدة مبتسمة لحدود العشق.. كانت المدينة ساخنة صاخبة بحلة جديدة تتزين في بصري.. وكأنها بكر ليلة فرحها.. وقت الغروب، عشقته منذ تلك الجلسة حيث الطرب والموسيقى... ضحكته التي مازالت تتوارد بحروفي، تجبرني على تذكر تلك الأحداث؛ سماع أغاني أم كلثوم وعبد

الحليم.. في تلك الجلسة سمعت أغنية ما زالت تتوارد بذهني، ولم أصدق حروفها (ياريت ياريت ياريت ياريت.. ياريتني ياريتني عمري ما حبيت) أن تكون عاشقاً فهذا يعني أن حروف العتب جميعها كاذبة، وأنتك الوحيد الصادق دوماً..

ما إنْ أنهينا جلستنا حتى أدركت الحرقة التي كللت كلمات الحبّ.. الحبّ يجبرنا على الألم والأسف معاً.. العاشق لا يمكنه الابتعاد أبداً، ولا يمكنه التخلي عن سطر في رواية حبه.. طالما كرهت قراءة الروايات فهي بنظري مملة وكبيرة الحجم.. تستطيع طرح ذاكرتي وهزيمتها لكثرة الأسماء والأحداث التي تتواتر.. لكن رواية عشقه كانت مختلفة؛ وكأنها أغنية معزوفة، أو فيلم مدبلج..

استمرت لقاءاتنا لمدة شهر وأسبوعين كنا نلتقي، ونجلس بسطرننا الخامس بالمنتصف.. نسترق النظرات باختلاس، أليس الاختلاس أجمل ما في العشق؟ أنا أنثى أعشق السرقة؛ سرقة البسمات والنظرات والكلمات.. ولا تغريني أنصاف الأشياء؛ نصف حبّ، نصف اهتمام، نصف لقاء.. كنا نكمل لقاءنا دوماً في ذاك المقهى نتناول القهوة معاً.. أعشق البن المر، وهو يعشق البن الحلو.. متناقضان نحن لكننا نجتمع معاً بفنجان ورائحة تتساوى في الطرفين..

في آخر لقاء لنا قبل أن يحزم أمتعته للسفر ودعني، فهو ينوي العودة لليونان لإتمام عمله في البحر. أذكر أنه لمح لي برقم هاتفي ممازحاً..

- منبر الأدب، جميلة الحرف رقيقة المغنى.. كيف سنتواصل وأنا مسافر؟ أنكتفي بالإيميل فقط؟

- أجب: على الشبكة الاجتماعية أيها القبطان..

- ابتسم بخيبة: بالتأكيد يا رقيقة..

ودعني وحمل روحي مع متاعه.. لقاء اتنا بسيطة لكن العشق تمكن من أن يطمئن شاطئنا بمرساته الضخمة.. ذهب سهيل مودعاً وهو بأئس النظر.. يرمقني من خلف الطريق ويتبع خطاي من بعيد، وأنا أترنج في الطريق متخبطة بذاتي.. حزني حائر؛ أيصنف ضمن موسوعة الحب أم يكتفي بالإعجاب؟ وللمرة الخمسمائة بعد الألف أعتقد أنني عاشقة، وأني سكرت بنبيذ الحب.. بعدما سافر سهيل مستقلاً البحر بخمسة أيام، وصلتني أول رسالة منه.. لأول مرة أتلقى رسالة من عاشق بتصنيفي.. وكثيراً ما تلقيت رسائل إعجاب، أما عن الحب فهذه أول رسالة ألقاها..

مرحباً جميلتي.. رولين اشتقت لك غاليتي..

يا أنتى استطاعت اغتيال نبضي.. سأزف شوقي محملاً إليك.. افتقدت رمال روحك، وأمواج نبضك، وسماء عينيك.. أنا اليوم ركبت ظهر الموج.. لأمد يدي للمبهم المبيت.. وأنا على شوق لأعود لبلادتي بعد أسبوع وستة أشهر.. أتمنى أن نتحدث معا يا جميلتي..

أكون متصلاً وقت الغداء في تمام الساعة الرابعة، والساعة الثانية عشرة مساءً، والساعة الثامنة صباحاً بتوقيت ساعتك.. أتمنى أن أجد نبض اتصالك الأخضر؛ لأستطيع أن أتخيل وجودك بتلك الجلسات التي تحتوي حرفك غاليتي..

أعشق حرفك يا رائعة الأبجدية.. أتمنى أن تكوني بخير..

سهيل..

تلقيت فرحتي، ها هي قد عادت من جديد.. بقيت على شغف لحديثه يوماً تلو يوم كنا نتحدث في تلك الأوقات دائماً.. أذكر أنني لم أتمكن من التحكم بأشواقي فلم اترك أيّ موعد سوى مواعيد الساعة الرابعة التي تتعارض أحياناً مع وقت عملي.. كنت أنهي أعمالي في تمام الساعة الثالثة لكن تجاوزات المشاريع اضطرني لأن أتأخر أحياناً لما بعد الرابعة بقليل.. أنهكني التواصل معه بهذه الأوقات لكنني استمررت.. شيء ما استطاع جذبني له، وتمكن من غرس أنياب انتظاره بجلدي حتى اني لم أتمكن من الفرار منه رغم تعبني وإرهاقي.. في ذلك اليوم وبعد مرور الشهور الست تلقيت هذه الرسالة

عن طريق هاتفي المحمول.. مكتبة الرمحي أحمد

رولين حبيبتي.. نبض قلبي.. وشوق سنيني، ودمع عيني، وفرحة وجنتي..

سأعود حبيبتي في غضون يومين لأراضي المملكة.. وسأذهب  
للسوق لأشتري لك هدية، وأمكث في الفندق لأستريح لمدة يومين  
وأعود مستقلاً الطائرة.. كوني بخير لأجلي جميلتي.. سأتي يوم  
الأربعاء للقاء كالمعتاد..

أحبك يا عظيمة.. سيدة قلبي أحبك..

سهيل..

عمت البسمة أرجاء روحي وتلون الكون بألوان الطفولة التي  
فقدت منذ وفاة لورا.. في ذلك اليوم قررت أن أبعث للورا رسالة مع  
الأرواح الراحلة، وأن أحدثها عن حبيبي الأول.. بدموع المقل بدأت  
أكتب:

لورا حبيبة قلبي اشتقتك لحدود الموت.. مازلت ساكنة فكري  
وأشواقي.. مازال قلبي ينبض بحبك.. أحبك يا أختي.. افتقدت  
وجودك.. لم أرك منذ زمن، لم ترتادي حلمي! أود أن أزف لك خبراً  
لن تصدقيه.. كم تمنيت وجودك بجانبني.. أختك الصغيرة أحبت لأول  
مرة، حبيبها شاب وسيم يدعى سهيل.. جميل وفاتن لحدود مغرية..  
أعتقد لو أنك بجواري لن أريك إياه فأنا أغار عليه..

لا، يا أختي لا تخافي كنت سأعرفك به حتما فقد كنت أمارحك فقط..  
هو فاتن لحدود جعلتني أفتن بالكون لمجرد وجوده فيه.. أختي أتمنى أن

تكوني بخير.. نحن مشتاقون لك جميعاً.. أمي تبعث لك قبلات تملأ  
السماء، وكذلك أبي وأيمن وفادي.. أحبك يا نبض روحي..

أختك المحبة رولين..

أذكر أنني مزقت الرسالة، ونثرتها بالهواء على أمل أن تصل الحروف  
لك.. بين فترة وأخرى كنت أكتب لأختي أخبارنا وأزف لها شوقي بورق  
معطر بعطري.. لا أعلم إن كان الأموات يستطيعون رؤية الأحياء، أو  
تصلهم رسائلنا.. إن كانوا يستطيعون فأظن أنهم محظوظون.. نحن لا  
يمكننا أن نرى أحببتنا في أي وقت.. ولا يمكننا محادثة من نحب في أي زمن  
شئنا.. إذا كان باستطاعة الأموات رؤيتنا فهم بألف نعمة بالمقارنة معنا..

\*\*\*

سهيل تائه للمرة الثانية على التوالي.. في زقاق الأسواق المعتقة  
بالطحالب.. أجمل ما في مدن البحر؛ رائحة الضباب المنسوجة بنسيم  
البحر، وبعض بخار الماء.. وجانب متوج بطحالب رقيقة.. هذه المرة  
(اليخاندرو) ليس برفقة سهيل المهمة صعبة جداً..

تجول في تلك الشوارع الممتدة.. وقرر أن يذهب لمحل الذهب كالعادة.  
هذا التراث من الممكن أن لا يعجب رولين، فالأردن تختلف تماماً عن  
اليونان.. ما إن اقترب من المحل ونظر عبر "البترينا" حتى أعجبه  
خاتم يتوسطه حجر لامع رقيق.. اقتناه.. وعاد للفندق.

حزم متاعه وأخذ جواز سفره وعاد مع الهواء ليسقط كياسمينه في  
رحاب مطار الملكة علياء.. اليوم الثلاثاء، ومن حسن حظه أنه سيرها  
يوم غدٍ فقرر أن يحادثها لكن هاتفها مغلق، فبعث لها رسالة على  
هاتفها المحمول..

حبيبتي.. ها أنا قد عدت للبلاد أتمنى أن تكوني بخير.. سأراك غداً  
لكني لن أراك بمجلس الأدب، سنلتقي في المقهى الذي اعتدناه على المقعد  
الخشبي الغربي من حديقة المقهى.. أنتظر الوقت المناسب لك.. أنا بانتظار  
ردك جميلتي.

حبيبك سهيل..

\*\*\*

صباح الأربعاء ذهبت للمقهى، جلست على الكرسي الخشبي  
وانتظرت..

- صباح الخير يا قمري!

- أهلاً بك يا ناسج الدرب.. هل لي بفلكك درب أستقر به هذه الليلة،  
اشتقت لك بحجم الكون؟

- (ابتسم برقي، وقال): لك كل أطياف الروح، لم السؤال؟ (عاودني  
برد قائلاً): اقتربي يا جميلتي لجانبي أريد إخبارك بأمر سيصنع لك  
فيه الحب من البحر فلماً محاكاً بقصب زبدي هائم،

اتضور شوقاً.. جلست وبد اخلي نبض تتفتق منه حجرات القلب لتعلن انهزامها، وباضلعي تتراقص تلك العظمت التي استعدت كجنود لتهب مطارحة تلك الهجمات.. و أنا تائهة في بصري نحو ملامحه أترقب تلك الكلمات.. تدور في بعض ملامح فكري أفكار مفادها: يا ترى ماذا سيروح لي، وعن ماذا سيهمس لي؟ منصتة دون إنصات أنتظر انتهائه من تفحص ملامحي، اعتدت تفحصه قبل أن نبدأ أي نقاش؟

- ثم انتفضت متساءلة.. ماذا تريد أن تقول؟

- بصفاء عينيه البريئتين.. موعدي في بيتكم ليلة غد، سأقدم لعائلتك مدني وأفلاكي، جواهري ومطرزاتي التي صنعت... هل لي برقم والدتك حتى تحدثها أمي يا جميلة؟

- (بلهفة واستغراب) أنت تقصد ما تقول؟

- (هو بصمت مرتبك) بالتأكيد..

أذكر أنني احتسيت برفقته كأساً من عصير التفاح، في تلك الجلسة عانقني بتلك اللففة، وحالاً استعد ليفادر المكان ومعه رقم والدتي. عدت مسرعة للعمل، وما ان انتهيت حتى عدت للمنزل.. أمي سعيدة في تفاصيل ثغرها حكاية مختلفة بعض الشيء هي من زمن لم تعدت الابتسامة كانت عابسة من قسوة ظروف الحياة، قبلتها، وسألت عن سر البسمة؟



نظرت لي بغمرة من الفرح، وهي تائهة بين حروف اللغة ودموع الهدب، لاتستطيع تجميع الكلمات لتخط بها سطرأً واحداً يحتمل جملة بسيطة.. غمر الدمع مقلتيها، وارتعش صوتها وهي تبوح لي قائلة: سيأتي غدا شاب يعمل بالبحر لخطبتك جميلتي أظنه جيداً، سعيدة لاجلك فقد اصبحت بعمر الزواج يا صغيرتي..

قلت بابتسامة: أعلم يا أمي اليوم أخبرني، ثم حدثها عما بيننا..  
في الصباح:

جلست أتزين، شي ما أجبرني على عشق المرأة، بدأت بإظهار جمال ملامحي ساعات وساعات.. استخدمت مئات المستحضرات أحمر أصفر أخضر عنابي خمري برتقالي.. في النهاية خططت كحلي البني المعتاد فهو يليق لإظهار جمال عيني.. ارتديت فستاني العسلي ذاك الذي تشابكت أقمشته.. وبدأت مفاتن روعي بالبروز ليصبح نبضي أجمل وأكثر رقياً.. "حتى الألوان تتقننا بنغم ساحر"

وما ان انتهيت؛ حتى قرع الجرس قد جاء حبيبي.. لم أتوقع أن يتحقق حلمي البسيط فجميع صديقاتي لم يتزوجن ممن أحبن، كانت حكاياتهن متشابهة، وكأنما ألفها كاتب واحد، في البداية عشق وفي النهاية سجان غريب.. لا أعلم هل ستكمل حكايتي ام سأحكم مثلهم، لكني لو حكمت كحكمهم سيبقى المؤلف مختلفاً؛ فحكايتي معه مختلفة عن كل الحكايات..

وفي ثنايا قلب الفكر الذي هام بي جاء أبي..

- جميلتي ألم تنته بعد؟

- (صمت بحياء) أبي أحبك..

غمرني بسهولة الحبّ الذي جمعنا على أكتاف تلك الرقعة، وهمس لي:

- أتمنى أن تكوني أجمل عروس!!!

تعثر الحديد بحنجرتي ... شيء ما يجبر الحرف على خنقي، وقوة  
ترهب عظامي تسحبني للأسفل، يكتحل إثمدي بالدموع المتساقطة  
كأنها زخات مطر.. هو يضمني إليه بشدة.. يدرك أنني لذاك الشاب؛  
أظن أنه أعجب به.. يمسح دموعي ويأخذ بي الي الباب.. أخي فادي  
هناك مستعد؛ يحمل كؤوس العصير المتراقصة بطرب على سطح  
الصينية الفضية، لون العصير أحمر .. فرحة جديدة تخط بمقلتي..  
حملت الصينية وتوجهت لتلك الغرفة.

ازدحمت خطواتي حتى أحسست أن قوة الجاذبية تشدني لبؤرة غير  
معتادة.. تتأقل رهيب يجبرني على التوقف، ونبض يفزع روحي، خفقان  
يخلق أنفاسي من الفرحة والرهبة المجتمعين.. كان هذا اليوم أسعد  
أيام حياتي لا أعلم لم.. ربما لأنني سأقترن بذاك الذي عشقته تفاصيلي  
مجتمعة..

دخلت.. للمرة الأولى أجده أجمل بكثير.. لعينيه بريق يجذبني يحمل  
أنظاري، وكأنما سافرت بسرعة البرق إليه.. جلست بعد أن أتممت  
الضيافة.. وسرحت بجماله، شعره... عينيه وجنتيه شفثيه.. هو  
رهيب لحد انه استطاع تخديري..

بعد قليل من الوقت وخزنتي أمي لأخرج من المجلس.. الوقت قصير  
جداً، ولم أتكمن من النظر اليه ملياً.. وبعدهما تحادثت العائلتان.. دخل  
أبي لي طرح عليّ سؤالاً..

- هل توافقين على الزواج منه؟

بفرحة تغمر مقلتي وخجل يجبر هدبي على الانحناء، صمتُ.. أنا  
أنثى متحررة لدرجة لا تقاس لا أعلم سرَّ صمتي.. لست معتادة على  
عبارة (الصمت يعني الرضا) ومع ذلك صمتُ..

- أبي يلوح لي بيده، ويقول: لا أحد يجبرك يا ابنتي..

- (بفرحة أجابت أبجديتي) أنا موافقة..

يرسم أبي ابتسامة.. يقبل جبيني.. يعود للمجلس.. ويودع عائلة  
سهيل..

بعد مرور يومين جاءت عائلة سهيل، جلس الجميع يتحادثون وبعد  
مضي ساعة من الوقت قرئت فاتحتي ودخلت المجلس، أحداث متزاحمة

لدرجة أنني لم أعد أحتمل تداخل التفاصيل، عقلي أصيب بهذيان،  
وخيالي يجبرني على رسم الابتسامة رغماً عني..

هذا ما يدعى بالنصيب.. حضرت تفاصيل يومي مسرعة للفراش، لم  
أتمكن تلك الليلة من النوم؛ بسبب الشوق الذي غمرني بالبقاء بجانب  
سهيل..

في الصباح استقبلت الشمس، وارتشفنا معاً فنجان قهوة.. وحلوى  
لذيذة صنعتها أمي لعائلة حبيبي ليلة أمس..

مرّ الوقت، العقارب تحتك مرتين كل ساعة؛ الأولى في تمام الساعة،  
والثانية مع تلاقي الثانية برقم الساعة.. العاشرة وعشر دقائق احتكت،  
أظن أنه ينتظرني على المقعد الذي يقع في الناحية الغربية من المقهى..  
لن أذهب إليه.. رغبتني بالذهاب تقاومني كنوع من الثقل، أو الشوق لا  
أعلم، لن أذهب..

في المساء جاء وبروحه لهفة، أو حزن لا أعلم.. جلس على المقعد  
المنفرد ينتظرني بلهفة احتكاك العقارب مع بعضها بعضاً و دخلت  
للمجلس براحة تعم السماء.. ابتسمت سلمت عليه كفي التصق بكفه،  
وروحى التصقت بروحه دون ملامسة.. أدركت أنه ملكي وأنا ملكه..

- سألتني: كيف حالك؟

- أجبت: بخير (مع بسمه حياء)..

جلست على كنية تحتوي مقعداً متصلاً بآخر.. المقعد بجانبى فارغ،  
كم تمنيت لو أنه جلس بجانبى

وما هي سوى ثوان حتى دق الباب..

المأذون جاء.. يريد تسميتى باسمه.. جلس بجانبى ليفسح مكاناً  
للشيخ.. ابتسمت بفرحة.. وكُتِبَ الكتاب.. سهرت عائلته معنا لوقت  
قصير ثم غادر الجميع وبقي هو..

للمرة الأولى يعانقنى.. شعور طاف بي للخيال.. حبي له لم يعد  
مقترناً بشرق المدينة أو بغربها بمقهاها أو مدرجها، بل أصبح يسير  
دون بوصلة أو أي طريق معبد..

جلس بجانبى والتفتت بيديه.. كان ذلك اليوم من أجمل الأيام التي  
مررت بها.. تحدثنا معاً ساعات وساعات إلى أن وصلنا لتمام الساعة،  
طلب منى الرحيل يريد أن يذهب لبيته، فالوقت تأخر..

غادر وروحي مشتبكة بجسده مع كل ارتطام لقدمه تهتز تفاصيلي..  
لا أعلم كيف مضى الليل.. كنا نتحدث بالهاتف حتى الصباح.. للمرة  
الثانية على التوالي أشعر بألم فقدان، هو لم يغادر للأبد، غادر لليلة  
واحدة فقط، لكن تذكاري مغيبه هذه الليلة سيرافقني مجدداً بعد مضي  
خمسة شهور؛ هو يمضي إجازته بالبلاد لكن سرعان ما سيعود لعمله

لستة شهور متتالية.. ما يقهر الأنثى هو غياب حبيبها عنها.. نحن نجسد الألم ليلتصق بتفاصيل حياتنا.. بعض الإناث يمتن قهراً لمجرد التفكير بالرحيل، فكيف إذا كان هذا الرحيل أمراً لا بد منه وسيقع..

في الصباح جاء.. وعدني أن يأتي كل يوم لاصطحابي للتحضير لحفل الخطوبة وسيبقى يصطحبني لنستمتع معاً بالوقت قبل رحيله لليونان.. بدأت أكتشف عظمة شخصية هذا الشاب الذي يسمى زوجي الآن.. هو زوجي لكن زواجنا غير مكتمل بحكم الخطوبة.. طلب مني أن نسرع بالزواج، لكنني رفضت تحسباً من الوقوع بورطة زواج فاشل فقررت أن يتعرف بعضنا البعض لمدة عام..

أليس حق لكلينا؟

النساء متسرعات بالحب لحدود الرهبة منه.. عندما تقدم إحداها على علاقة عاطفية تضع شموع الخوف في مهد طريقها كنور يضيء لها الدرب، هنّ لا يعلمن أن هذه الشموع هي ما يسهم في إذابة جدران الحبّ المطلية بالعشق.. نصهر شوقنا باسم الخوف، وندمر أملنا بحجج باهتة..

\*\*\*

في ذلك اليوم قررنا أن نختار خاتم اقتراننا.. أذكر أن قدمي تورمتا ونحن نجول الأسواق لنختار خاتماً يعجبني.. كان طموحي يتعدى

ارتداء خاتم عادي كأني أنتى يصطحبها خطيبها وتشتري خاتم زفافها من أول علبة تراها وأول محل تدخله وأول شارع تدوسه قدماها.. هن يقتنين أي خاتم بحكم العادات، ويبرعن بتبديله بحكم الموضة.. كنت مختلفة عن الجميع..

ألمته قدماه على ما يبدو لي، أذكر أنه أوقف السيارة بجانب الطريق، وقال:

- رولين.. يكفي حبيبتي ألم يعجبك أي خاتم!

بذلك الوقت فتح جيب السيارة وأخرج لي هديتين.. الأولى كانت القلادة التي اقتناها لي في أول مرة تحط قدماه أسواق اليونان.. خاف أن يعطيني إياها تحسبا لأي ردة فعل غير مدروسة تصدرها فتاة مقابل تصرف شخص ليس لها أدنى خبرة معه.. أعجبتني كانت مصنوعة من الذهب الأبيض تحتوي مفتاح صول يتراقص من العشق، أظنها كما عيناي في ذلك الوقت كنا نصعد ونهوي على السلم الموسيقي معا مقلتاي والنوتة؛ نراقص الحروف ونحادث الكلمات.. كانت روعي تتراقص مع أغنية تنبعث من مسجل السيارة (سامعة.. سامعة يا ماما الناس بترقص على شاني. شايفه.. شايفه يا ماما طويل اقوي فستاني. رقص ومزامير..) كانت الأغنية مصممة لذلك المقطع تماما وكأنما الملحن والكاتب اختارا الأغنية لتلائم ذلك المقطع من روايتي معه.. أذكر أنني نسيت الهدية الثانية فرحاً بالأولى.. لأول مرة يهديني شخص

من خارج اطار العائلة هدية، و أظن أنني لم أهدى من شخص غريب  
فهو الآن من عائلتي..

أشار لي بالعبلة الحمراء.. إشارة جديدة تخبرني أن السعادة  
مازالت ترفدني بالحبّ فتحت العبلة واذ بخاتم مطلي بالسحر.. لأول  
مرة يسرق حجر بصري بصورة مذهلة، إنه جميل جداً ربما جماله  
يكمن بأنه اقتناه لي.. أعتقد لو أنني رأيت الخاتم في أحد المحال التي  
دخلت لما اقتنيته.. لكنه أقنعني دون أن يأخذ رأيي.. أيستطيع الحبّ  
حجر اجتياح فكرنا، ورمي أحلامنا من أعلى البناء؟ أم أنه أجبرني  
على إلتحاف الجمال لأكلل به الخاتم.. كان بسيطاً جداً؛ طوق فضي  
لامع يحتوي حجراً الماسياً متوسط الحجم لامعا لحدود تخترق البصر  
والأحلام معاً..

ابتسمت له وقلت:

- سهيل حبيبي.. لم لم تختصر رحلتنا منذ البداية؟

أجاب بإسهاب..

- أردت أن تختاري أنتِ التفاصيل.

- أعتقد أن خاتماً كهذا يقتنى للكماليات بالنسبة للجميع، أمّا عني

فهو تفصيل رئيسّ في حياتي.



- بالطبع جميلتي اختياريك للتفاصيل الرئيسية بحياتي أمر بغاية الأهمية.

اذكر أنني ابتسمت واكتفيت بعناقه وغرس قبلة على خده.. كان يجمع بعقلي لحدود تجعلني أصمت لاعتلاء أبجديته.. رغم قوتي على تصفيف الحرف إلا أن أبجديتي تتحني غنجاً عند رؤية محياه..

اصطحبني للفداء.. غداء متأخر يمكن تسميته عشاء.. جلسنا على طاولة جميلة أظن أنها تصنف من النساء المراهقات، لقد رأيت فرحتها وهي تضمنا إليها هي استطاعت أن تلمس الحب في داخلنا.. أظنها لم تحظ بجلسة عشق كهذه طوال حياتها..

- سألني: ماذا تريدان أن نأكل؟

لأول مرة أجلس لعشاء مع رجل ليس من قوائم رجال حياتي؛ فهو ليس أبي أو فادي أو أيمن أو أحد أعمامي وأبنائهم.. شعور الاستغراب الذي يجب أن أعتاد عليه جعلني اتخذ قائمة الطعام مخبأً لبصري.. لا أعلم لم أشعر بالحياء، لم استح منه ونحن بمرحلة الحب السري.. لم الآن وأنا خطيبته..

نظرت له نظرة أعتقد أنه فهم منها أنني تائهة.. فابتسم، وقال:

- أسمح لي سيدتي أن أختار الطعام على ذوقي؟

إحساس جذبني لحدود بعيدة.. وأخيراً أنقذني من موقف الاختيار،  
عقلي الآن في ملاذ العشق ملقى بشواطئ الحب، لا طاقة له على التفكير  
والاختيار..

- بالطبع سأكل على ذوقك، لنرى رقي ذوقك.

- سيعجبك بالتأكيد، هل لك بأن تجيبي هذا السؤال لتسهلي على  
الاختيار؟

- تفضل.

- أ تحبين المأكولات البحرية؟

- بالطبع أحبها.. أوليس البحر أباً للحياة؟

- سنتفق باليونان إذا..

- لم؟

- سأطعمك سمك وسمك وسمك..

ضحكنا معا.. أمسك يدي وقبلها وطلب الطعام، اكتفى بإغلاق ال  
(menu) وبدأ يسرد كلمات غريبة ومصطلحات لم أسمعها من قبل، نحن  
في بلد تفتقر البحر سوى طرف أصبع الخليج.. ليست لدينا أية خبرة بأنواع  
الأسماك ومأكولات البحر.. أذكر أنني لم أعلم أي طبق أختار سوى طبق  
السلطة (سلطة الليمون) هي التي أعشق من مقبلات مع مأكولات البحر..

بدأ يلطف ضبابي بالكلمات..

- أتعلمين ماذا نأكل باليونان؟

- لا، ماذا تأكلون؟

- نأكل سمكاً شائكاً ذا شكل فظيع، وآخر يمتلك برجاً فوق رأسه، صراصير بحر كما تدعون والكثير الكثير... كان يسرد بقهقهة يضحك بشهيق لم أعتده، هو يعمد ليخيفني أو ليُعَيِّ شهيتي.. وبالطبع نجح..

- بادرته قائله: سهيل أرجوك، والا لن أكل شيئاً.. وسأخرج لن أعطيك فرصة جلوسي أيضاً..

- (ابتسم باحمرار) أتعنين ما تقولين؟

- نعم أعني ما أقول، أنا صارمة وسأنفذ..

- (تاه بجوابي له ثم قال:) هذا يعني أنك عصبية..

- بالطبع أنا عصبية جداً..

- ليكن.. أحب النساء العصبيات

ابتسمت حينها لعلمي أنه أدرك أنني لا أمتلك من العصبية سوى الانهيار أمام صخب تفاصيله.. كان يجذبني لحدود مسكرة أعتقد أنني سأفتقد أبجديتي بجواره.. ليس اعتقاداً، حتماً أنا متأكدة..

جاء الطعام.. أصناف أسماك كثيرة.. قصير وطويل.. صغير  
وضخم.. طويل وغريب.. احتوت الطاولة أفخاذ ضفادع.. وسلطعوناً  
برتقالياً.. جمبري بشارب.. قواقع بحرية.. كانت طاولة كبيرة، لو  
دعاني مع عائلتي لما استطعنا أكلها.. وما ان بدأ النادل بسكب العصير  
والماء حتى جاء آخر بطبق؛ يلتحفه إخطبوط متوسط الحجم ذو أقدام  
طويلة تحتوي فقاقيع مقرفة..

- سهيل ما هذا أرجوك يكفي؟ أنا أحب مأكولات البحر، ولا أحب  
"مقرفات" البحر!

- (ضحك لحدود نزول دمه) بعدما تفحص ملامحي.. أنت جادة؟  
هذا أكلنا باليونان ستأكلين حتى تعتادي.. عندما نتزوج سأحضر لك  
واحداً حياً.. أتعلمين كيف يموت هذا؟

- أأجمني لبعض الوقت ثم أجبت: كيف بالله عليك؟

- بالطرق سأحضره حي وتقومين بطرقه على رأسه حتى يموت..

كانت صاعقتي تصديق حديثه، وهو يسرد لي بأن السلطعون يسلق  
بالماء وهو حي يقتل بالحرق.. و أن المحار تشوى وهي حية وتصدر  
أصواتا عذابا وهي على موقد الشواء.. و أن بلح البحر حي وإن لم  
نمضغه جيداً سيتمكن من الخروج من المعدة تسلقاً.. أخذ يروي  
تفاصيل حازمة؛ لدرجة أنني صدقت حديثه.. بدأ يقطع ويقص ويأكل

مكتبة الـرمحي أحمد ٩٥

ويضع أمامي الطعام لأقوى على الأكل.. أنا حتما لن أتمكن، فلا مجال حتى لأكل كسرة خبز واحدة..

وعندما ادرك ملامحي ترك الطعام وبدأ يصرح لي بمزاحه، لكنني شعرت وقتها أن القيء يتلقف شهيتي..

- سهيل كل أنت وبعدهما تنهي طعامك أرجو أن تطلب منهم إزالة هذه الأشكال، واترك لي السمك فقط..

- كما تريد حبيبتي..

أنهى طعامه على عجلة لم أرها من قبل.. أظن أنني استطعت أن أرد مكره بعرقلته عن الأكل.. لم أكن أعلم أنه يستمتع، ويتلذذ بالأكل البطيء؛ الآن حلّ وقت الانتقام.. لكنني أعترف أنه انتقام غير مقصود، فأنا لا أعلم عنه سوى القليل..

يقال إن العشق لا يحترف الانتقام.. هؤلاء المنتقمون ليسوا عاشقين هم مجرد أناس متعلقين؛ والمتعلق يعشق الانتقام.. كطفل اعتاد الرضاعة، وعند الفطام تعذب، حيث قرر أن يضرب أمه انتقاما لجوعه ولذاته.. أي هو ينتقم لحاجة وتعلق..

والحاجة والتعلق أعظم من الحبّ بالنسبة للبشر.. نحن خلقنا بمبدأ الحاجة قبل مبدأ الحبّ.. وكما يقال: (قتل قابيل هابيل لمجرد حاجته

لأنثى تبقى بجانبه ولمجرد تعلقه بها) ، ونسي الحبّ ورابط الأخوة الذي جمعهما لمجرد حاجته لأنثى..

والإناث بحاجة للرجال تماماً كما الرجال بحاجة للإناث.. لكن حاجة الرجل أكبر بكثير من حاجة المرأة.. يقال ان بداية أي اقتران لزوجين يكون بدافع الشهوة وتلبية الرغبات، هذا ما يقال على لسان الرجال.. لكن الحاجة تكون بدافع الحبّ والعشق من وجهة نظر الإناث..

أليس العشق حدّاً من حدود الخيال.. وعلى الأغلب فإن خيال الحبّ يزول بمجرد اجتيازك شهر العسل، هذا ما تعارف عليه الناس في أي بقعة من بقاع الأرض.. وكما تروي الحكايات فإن جميع من عشق اختار الرحيل من عالم الخيال، وإنهاء حياة الحبّ.. الموت طوق خيال يجنح له البشر رغماً عنهم؛ فهو عالم لا يتمثل على مدى البصر إلا برحيل الروح من إطار الجسد.. وكلما كان الحدث متوارياً كان مدى الخيال متاحاً، والموت متاحاً والبعد متاحاً..

وبينما كنت أتناول الطعام خيلٌ إلي أنه يتلقف حركاتي؛ ليدونها في مذكراته.. أحسست معه أنني محكومة بالمراقبة هو يدوّن أنفاسي بمذكراته، ويدوّن ضحكاتي ولساتي... ويدوّن حتى فكري..

فكري.. هو معجب به، أذكر أنه حدثني يوماً عما يكتنف فكري من رقي..

- رولين.. أنت أنثى راقية الفكر أشعر أن دماغك يحتوي معجماً  
مختلفاً لم أر ببراعة إتقانه مثيلاً، تراكيبك منفردة كما هي لفتك  
الشعرية.. ففكرك السياسي يستبجح أعلام روعي.. لديك مقدرة  
منفردة في إقناعي.. أنثى حاذقة، ومفكرة سياسية ناجحة.. تصلحين  
بأن تكوني إعلامية على إحدى القنوات الإخبارية العريقة.. اختياراتك  
لامعة، تنتقي جملاً و طروحاً تغريني تبدين لي إعلامية متبرجة  
بالأحداث، أو باحثة سياسية أو ناشطة اجتماعية بارعة بانتقاء زلات  
الحديث، وكشف الغموض.. تبدو لفتك ضليعة باستنتاج ثغرات الأحداث  
بمجرد نظرة.. أعجبه في كل شيء.. فمن يختار شخصاً بقناعة تعجبه  
اختياراته دوماً.. وهو اختارني بقناعة..

اصطحبني لنرى بدلة للخطوبة.. مجرد اطلاع قبل أن نأخذ والدتي؛  
فالأعراف تقتضي أن نشترى البدلة معاً.. وبينما كنا نتجول في السوق  
ونشرب العصير لفت نظري فستان يعتره سحر رهيب توقفت لأنظر،  
أظنه أعجبه أيضاً.. إنه ساحر.. بسيط.. لامع.. مفر..

جذبني.. رغماً عني دخلت غرفة القياس لأرتديه و أريه إياه، كان  
أقرب لفستان سهرة يختلف عن تلك الفساتين التي اعتادتها حفلاتنا،  
فهو يرتدين فساتين كبيرة ومنتفشة كريش دجاجة تحاول أن تقلل  
بردها.. جميعهن يرتدين فساتين بطراز واحد وألوان متعددة.. لونه  
مشمشي أقرب للوردي يليق لبشرتي، فالجميع يمدح هذا اللون علي

رغم أنني لم أفتن سوى ثوب واحدٍ طوال حياتي تكحل بهذا اللون..  
ارتديته كنت أبدو كالأميرات هذا ما قاله لي..

- رولين ما اعظمك! (قالها بتفاصيل ملامح الدهشة من جمالي).

الفيستان مشدود، ضيق يلتف حول جسدي ويتوسطه دانتييل أفتح من  
لونه بقليل، كنت أشبه حورية البحر.. رائعة كحورية تلتحف الشاطئ  
وهي مبتلة بالماء.. اقتنيته رغبة به فالرغبة اجتاحت مقلتي بذاك  
الوقت، واجتاحته وعقله بعدما رأني..

خرجنا من المحل وهو يحتضني بيد، ويحتضن الفيستان بالأخرى  
والحبّ يحتضننا معاً.. كان سعيداً جداً؛ هو سعيد بالفيستان أكثر مني..  
في ذاك الوقت التفت إليه قائلة..

- حبيبي.. كيف سنوضح الأمر لوالدتك، أنا سأتمكن من توضيحه  
لأمي، فهي لن تنزعج أنا أعرفها.. لكن أمك؟

- أمي.. سأوضح لها بأنني من أعجبني الفيستان و اقتنيته.

لم يعجبني رده أبدا.. لم أعتد أن أجبر على شيء.. هو سيوضح الأمر  
بحكاية إجبار أنا ضحيتها.. وهم سيدركون أن سلطته تفوق رأبي.. لم أناقشه؛  
وقتها لأننا ارتكبنا خطأ جسيماً بحق الأعراف.. وارتكبنا أخطاء كثيرة تفوق  
خطأ الفيستان.. أحببنا سرّاً.. والتقينا جهراً مختبئين.. أجبرنا على العشق،  
لكننا لم نتجاوز حدود الحبّ المحتشم كما يقال..



عدت برفقته للمنزل.. كانت العائلة مجتمعة؛ أبي وإخوتي وأمي وخالتي وأخوالي جميعهم هنا فالיום اجتماع العائلة في بيتنا.. نحن معتادون أن نجتمع معاً أسبوعياً؛ على أن يكون الاجتماع ببيت أحدهم.. منذ مدة لم يعقد الاجتماع بسبب الانشغال بخطبتي، الآن ركزت الأمور ولم يبق سوى القليل.. مضى على خطبتنا شهر تقريباً، سنتمكن من إنجاز كل شيء قبل عودة سهيل للبحر..

بعض نساء العائلة لم يرينه أبداً.. اليوم صعقت نصف صبايا العائلة من جماله.. أنا جميلة أيضاً لدي عينان عسلتان واسعتان مطوقتان بالأخضر، حنطية اللون وشعري كستنائي مخصل بالربيع.. ذات قوام ممشوق وهامة ناعمة.. وجهي كالبلور.. يكفي أنني راقية الحضور..

جلسنا في المجلس كل منا على مقعد، منذ خطبتنا ونحن نجلس إلى جانب بعضنا بعضاً؛ لكن اليوم الحدث مختلف فالمجلس ممتلئ ولا يوجد مقعدان متلاصقان لأجلس بجانبه.. الاعتیاد صعب.. لا أعلم كيف تتفصل النساء عن أزواجهن بوجود أطفال أظن أن تعلق الأنثى بمنزلها فائق فكيف يكون التعلق بوجود الأطفال.. لا أظن أنني سأقوى ليلة واحدة على مفارقتة.. كنت أنزع احتمال سفره على أمل أن يلغى العقد، وأؤنب ضميري على قرار تمديد الخطبة لسنة؛ الآن لا يليق بي التراجع.. هو خيار طائش، وأنا أنثى عاقلة.. كما ان سهيل لم يجهز نفسه لنرحل معاً.. هنالك أمور كثيرة لم تنتهي منها.. نحن لم ننته من شيء بعد..

\*\*\*

عقدنا خطبتنا كنت أميرة ممسكة بذاك البحار القوي.. أكتافه  
تعجبني؛ أكثر ما كنت أتمناه برجل حياتي أكتاف ضخمة وعينان  
زرقاوان... حلمي تحقق اليوم.. استطاع القدر أن يحقق لي حزمه  
من أحلامي.. الحظ لم يفدر بي سوى مرة واحدة عندما لم يسمح لي  
بركوب الأرجوحة، وحرمني من أختي.. ومن ذاك اليوم وعدني بأن لا  
يحرم قلبي من أي شيء أريده، فنحن لا سلطة لنا على القلب تماما كما  
لا سلطة لنا على العقل...

كنا نخرج معاً كثيراً، خمسة شهور برفقته كانت من أجمل أيام  
حياتي.. كنا نشرب الشوكلاته الساخنة رغم أنني لا أحبها لكن حبي له  
أجبرني على أن أعتاد على ما يجب.. كنا نذهب لأماكن غريبة كغرابية  
شخصيته فهو منفرد، وطالما تمنيت أن أقترن برجل منفرد..

ذات مرة اصطحبني لعالم المرايا لم يكن ذاك المكان رائجاً.. أذكر  
أننا ضحكنا للثمالة.. كل مرة أمضيها برفقته كنت ثمة بالحب  
والعشق، بالإعجاب والانخراط، بالانجذاب والإذعان.. كان يغريني  
بحضوره دوماً..

برفقته أصبح لي جناح لم يجرب الطيران بعد، وروح ليست  
من ضمن أرواح البشر.. و أصبح ربيعي ينبت دون حقول، وروحي  
تتمل دون كؤوس.. اجتاح تفاصيل قائمتي بسرعة البرق؛ تلك التي  
فصلت فيها كل ما يعجبني برجل.. طموحاتي مرتفعة لحدود تفوق

طموحات السيدات الصغيرات.. فأنا سيدة صغيرة بنضوج أنثى  
عظيمة..

برفقته أرى أنني أضاهي الملكة (اليزابيث) عظمة.. وأفوق (المونوليزا)  
جمالاً.. دائماً ما تحظى النساء الغربيات بالإعجاب والعظمة؛ اليوم  
ولأول مرة أحظى بهذه الصفات كأول امرأة عربية تصنف من ضمن  
أعظم نساء الوطن العربي..

اصطحبني لنلعب بالماء.. ومرة أخرى لنادي الجليد.. ولنلعب  
(البلياردو).. ولنتسلق بنادي التسلق.. وذهبنا رحلة اكتشاف لمحمية..  
ولنلعب (البولنج).. كان يختار الأماكن المرهقة.. أرهقني بالمشاوير و  
بالابتسامة وبالحب.. ومن هذه الاختيارات أيقنت أنه مرهق على ما يبدو..  
كان لطيفاً معي، علمني تفاصيل لم يحتوها معجمي، وضحكات لم  
يعتد ثغري عليها.. لم يكن مملاً أبداً، بحضورته كنت صامتةً بانبهار..  
أنا أنثى متقلبة المزاج لا أعلم كيف يتمكن من التحكم بي طوعاً، أجبرني  
على كل شيء لم أكن مجبرة عليه.. حتى المأكولات الغريبة أصبحت  
أتناولها بشهية مفرطة..

\*\*\*

أهداني صندوق هدايا، كان الصندوق ممتلئاً ينبئ برحيله..  
اصطحبتي عائلته معهم للمطار، اليوم سيفادر سهيل البلاد عائداً

لعمله في أئينا.. أهداني صندوقاً صغيراً هو آخر هدية تشغل المساحة  
الفارغة في صندوقي الضخم.. وقال لي:

- أمل يا حبيبتي أن يكون هذا الصندوق الصغير بداية لتبديل حياتي  
وحياتك، افتحيه ما إن أصعد الطائرة، وتصلين أنت البيت..

ودعته وعيناي تشهقان دمعاً، كنت أبكي كمفطورة الروح.. في المرة  
السابقة سافر وأنا حبيبته.. لكني لم أتألم كسفره الآن، كنت منهزمة  
مطروحة كمن فقدت حبها للتو.. لا أعلم أصحیحة تلك المقولة التي  
قالت: (عندما نبتعد عن الحبّ يصبح أقرب لقلبنا، وأجمل في  
نفسنا).. كنت أقرب من الموت، وقلبي أقرب للانقطاع من شرايينه،  
وتلك اللحظة كانت من أبشع لحظات التاريخ التي راودتني..

عدت برفقة فادي وملابس شوقي ممزقة وروحي عارية.. سافر اليوم  
ولن يعود إلا بعد مضي ثلاثة ايام وستة شهور.. تتنازع الأحداث لدرجة  
يصعب على فكرنا اقتناؤها أو تعليقها كنوتة موسيقية لمفتاح قلوبنا..  
أبجديتي هي المسعفة دائماً، كتبت وكتبت وأنا منهكة باستراق النظر  
لصندوقي الخشبي الذي لم أجرؤ على فتحه أبداً..

كتبت لنفسي وله قبلها:

هاجس اعتناقك يطوف بي لحروف أبجدية مستحدثة، لا تشبه جميع  
الأبجديات، وتختلف تماماً عن نطق أبجديتك..

ربما حكمنا البعد، وطاقف سمائي بهجرأ أعواماً طوالاً.. ربما  
استكانت عقارب المكوث بعدما انتهى النبض عن الولادة من جديد..

أدرأ جيداً أنك تستطيع تفسير نقاط الحنين المختبئ خلف كل حلة  
سوداء تحاك بالجفون.. وأعلم أن شعرك ونبض حرفك ساكن لي قبل  
أن يثور..

لا تخف سيدي فنكران الحديث شيمة العلة قبل أن توزن بالمعلول..  
وتوجس الحنين أصبح طائفاً بالبلاد سواء كان نائراً أم مقتولاً..

وكاف الخطاب تحضر بتلك السطور المعلولة ذات السطح المكسور..  
لا تخف فمنابت حنجرتي أصابها الجفاف بعد ذاك الثوران المأثور..

لم استطع أن أرسلها له؛ ليس عجزاً؛ بل لعدم مقدرتي عن البوح بسر  
حبي، واشتياقي لرجل جديد ولعاشق فريد. فالرجال يتعالون بمجرد  
الإحساس بالعشق كما يقال: (أعط قصيدة حب، ولا تذرف شطر  
شوق) .. سياسة النساء المحترفات للألم تسلحت بها مجبرة.. وصلتني  
مكالمة بعد مضي ساعتين ونصف الساعة من سفره..

- مرحباً حبيبتي..

- أهلا بك

- وصلت المطار الآن

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

- الحمد لله على سلامتک حبيبي

- انتهيت من أمور التفتيش ومعاملات القدوم، سأرتاح قليلا بالفندق،  
وغداً سأنضم عبر القارب للباخرة..

- سأشتاق لك.. سأترك الآن لترتاح، تذكر أن تهاتفني أريد أن  
أطمئن عليك..

- أمرك يا ملاكي، وأنا سأشتاق لك.. رولين انتظري

- نعم

- أحبك.. انتظري لدقيقة

- ما بك حبيبي

- هل فتحتي الصندوق؟

- في الحقيقة لا، لم افتحه.. لا أعلم ماذا حصل لي منذ أن غادرت  
وضعت الصندوق بجانبني ولهذا الوقت أنظر له بخوف..

- (ضحك بصوت رقيق).. حبيبتي لم أكتب لك رسالة انفصال لا  
تخافين يا عمري

- لا حبيبي لست متشبثة بمعتقد كهذا، لكنه شعور، ولا أعلم حقيقته..

- عندما تفتحي الصندوق أرسلني رسالة قصيرة، ربما أكون نائماً

- حبيبي.. سأبعث لك رسالة..

- انتظري أيضاً هنالك شي آخر..

- ماذا هناك حبيبي؟

- أحبك.. أنت حبيبتي وروحي وعمري وحياتي.. قمري وشمسي..  
أيامي وأحلامي.. أنت عشقي.. أحبك كثيراً..

في ذلك الوقت تبادلنا الغرام على السماعه التي كانت مخدرة من  
العشق إلى أن وصل إلى الفندق.. ودعني بإطناب مبهراً.. وأغلقتنا  
الخط.. جعلني أشتعل شوقاً ورحل.. هم الرجال دائماً يبرعون بطبخ  
النساء على الشمع.. وكما يقال: (الطبخ على النار الهادئة يجعل نكهة  
الطعام أطيب)..

لمست الصندوق بيديّ اشتيمته؛ رائحة سهيل مشبّعة على جدران  
الخشب.. أعتقد أنه رش زجاجة العطر كاملة.. التمسست القفل وأخذت  
المفتاح من حقيبتي.. كنت أرتعش و أنا أفتح به.. وإذا برسائل ملونة  
تملاً الصندوق.. الرسائل منتفخة الظروف تحتوي شيئاً ما يختلف عن  
الورق.. شرعت أفتح أول ظرف..

زهرة نرجس جافة مع بطاقة تقول.. نرجسة عمري (يا أنثى لها حق  
تملكي بأنانية).. الرسالة الثانية تحتوي جورية حمراء جافة مع بطاقة  
تقول.. جورية حياتي (أنثاي الحلوة، لك من ربيع قلبي باقات حب)..

الرسالة الثالثة زهرة توليب جافة مع بطاقة تقول.. توليب لياي (خفاء  
باطنك يستثير رجولتي في العشق).. ورسائل كثيرة بدأت في قراءتها  
واحدة تلو الأخرى.. بعدما انتهى من واحدة أرجعها لظرفها و أغلقه  
وأبدأ بأخرى، أوشكت على الانتهاء؛ انها الرسالة الأخيرة.. ظرف كبير  
لا يحتوي شيئاً سوى ورقة فيها قصيدة شعرية.. أنا لم أعهد تصريحاً  
رسمياً من سهيل بأنه يكتب الشعر، قال لي إنه هاوٍ ولم يقل إنه شاعر..

(لسيدتي البعيدة..)

ليالي المعهودة..

تنتصف فيها الأضواء..

أنثاي الشرقية..

تتمايل حدّ الإغراء..

طافت أضواء حكايتنا،

مسرح أحلام قد رحل..

طافت آمال روايتنا،

صُحف الأحبارِ مجردة..

بليالي الشوق بدا الحبُّ،



يتمايل حدّ الإذعان..  
حُكِمَت أقدار روايتنا،  
أن أنفى حدّ الإبعاد..  
لا أعلم أيّ الرقصات،  
تتناسب مع ذاك الجسدِ..  
لا أعلم أيّ القُبلات،  
أهديها لامرأة مثلك..  
سيدتي قد ملّ البحر،  
صمت يخلوه العشاق..  
قد صمت كلّ الكلمات،  
تتلو معجزة تبترق..  
قد زينني حبّ امرأة،  
تمتلك قواميس الكلمات..  
تتغنّى بحُروف السحر،  
وتعانق لثم الكلمات..

لا أعلم بالحقيقة، أي مقطع أهديه فقد أجم أبجديتي.. هوناسج  
بارع.. ومقتحم فنان.. عباراتي المتقطعة، وصمتي الرهيب جعل  
الصمت يجسد تلك الأمسية والدموع تتسكب اغتصاباً من المقل..  
هو صاحب أبجدية منفردة.. استحق حرفة الصمت بالفعل، الصمت  
أجمل ما يهدي لحضرة الإبداع.. والحبّ أجمل ما يهدي لحضرتة..

\*\*\*

ذاك اليوم أتت والدة حبيبي لزيارتنا.. ودار نقاش بيننا لإقامة حفل  
الزفاف..

- رولين حبيبتي.. سنقيم حفل زفاف يليق بكما..

- بالطبع خالتي، أنا متشوقة لحدث لم يحدث من قبل.. أريد حفلاً  
يتحدث به جميع الناس..

- بالطبع يا جميلتي.. (كم رولين وسهيل عندي.. الله يسعدكم  
حبايبي)..

- وأين سنقيم الحفل؟

- في أي مكان تختارين..

- إن تركت لي مجال الاختيار؛ سأختار المزرعة بالطبع..

- المزرعة!

- نعم، بالطبع..

- أنت تعلمين أن المزرعة مكان عادي.. وهي ليست مؤهلة..

- اسمحي لي أن أناقشكِ بترتيباتي وأنا واثقة بأنها ستعجبكِ..

- غالبتي رأيك صائب دوماً.. جهزي لي طلباتك، وسنتمكن من

تلبيةها بإذن الله..

مضى اليوم بمشقة تتكبل فكراً مزدوجاً، حائراً بين إرضاء ذاتي،  
وتلبية ما أريد.. مساءً جاء وقت هاتف اليونان، سهيل يكلمني في  
المساء.. لا أعلم ما سرّ تعلقه بالبحر؛ يعشقه كما أعشق أنا الحروف،  
وكما أعشق الحديث إليه..

وأنا هائمة بفكري.. رن هاتفي.. سهيل بالطبع..

- حبيبتي

مكتبة الرمحى أحمد

- حبيبي أهلاً

- كيف حال قمري اليوم؟

- مشتاقة لفلك ناسج الدرب..

- أنتِ ناسجة دربي.. كيف كان يومك؟

- جميل.. بزيارة والدتك..

صمت سهيل لتذكره أنه غفل عن محادثة والدته منذ يومين..

- أمي اشتقت لها..

- حبيبي تناقشنا اليوم بمراسم زفافنا..

- أ حقا ما تقولين؟

- بالطبع حبيبي..

- وكيف اختارت أميرتي مراسم تتويجنا..

- (ضحكت بحياء) تتويج.. أعجبنى اللقب..

- أكملني أريد الاستماع

- أولاً حفلة العرس بالمزرعة..

- المزرعة!

- بالطبع المزرعة حبيبي، لماذا الجميع يستنكر الفكرة..

- ولم؟ لم تجدي ما هو أصلح من الشجر والتراب الذي في مزرعتنا..

- حبيبي المزرعة جميلة، وطالما حطمت بأن أزف وأتوج بالعراء..

حديقة وتراب، أشجار وسماء، أماكن واسعة تسع فرحتنا..

- طرت بي للخيال.. وماذا أيضا؟

استمر حديثنا بالتواتر حتى اننا نسينا وقت انتهاء استراحتة.. وإذا بهم يسرقونه من الحبّ ومني.. أليس الحبّ السارق المحترف دائماً، لكن ألعاب القدر دوماً ما تعاكس الجميع، يقال إن العشق محتال رهيب مجند بمدارس العنف، ومدرب عسكرياً بفنون الاجتياح والإذعان والانسحاق.. الحبّ ماهر بالإمام والإيلام.. غادر نبض الهاتف معه؛ فجميع الأشياء تنبض به من الآن فصاعداً..

بدأت تحضيرات حفل زفافنا.. قمنا بتنظيف المزرعة وتقليم الأشجار وزراعة النجيل وتهميد المرتفعات.. فصلنا الأغصية للطاولات وحجزنا الورد المناسب لهذه الأمسية.. وحضرنا الطعام الذي يليق بمسائنا.. كل شيء جاهز لم يبق سوى بطاقات الدعوة، والبدلة البيضاء.. كنا نختار معاً؛ أريه الأشياء عبر شاشة الحاسوب، ونختار.. لم يففل عن أي تفصيل.. حتى اختيار المأكولات..

اتخذت قراراً ألا أفتني بدلة الزفاف إلا برفقته.. رغم أنه سيعود من السفر قبل موعد زفافنا بأسبوع واحد.. أمي لم يعجبها قراري، نفضت غبار الماضي لتشوه فيه اختياري، بحكم أن بدلة الزفاف سرية، ولا يجب ان يراها العريس فكيف نختارها معاً..

- لا يمكنه أن يرى فستان زفافكما.. مجنونه أنت، هذا فال شؤم

- أمي أرجوكِ دعكِ من الخزعبلات القديمة

- خزعبلات في قاموسك يا سيدة! هذا الكلام صحيح ومجرب  
القدماء لم يكذبوا باي كلمة.

- انتهى الأمر يا أمي أريد أن أختار فستان زفا في معه عندما يعود من  
اليونان، هو فستان زفا في له ويعينني وإياه.. إذا عارضتني سأقسم ألا  
أزف ألا بفستان الخطوبة..

- هذا إخضاع لأمر واقع، أتقصدين هذا؟

- أمي اسمحي لي.. هذا ما سيحصل، وإن اعترضت.. فهذا خيارى  
أرجوك تقبله

أذكر أن النقاش انتهى وأمي مستاءة.. لا أعلم ما هذه العقد  
التي تتحلّى بها نساء مجتمعنا.. ربما اكتنفت بعض الحكايات  
شيء من الصدق لكن لا علاقة لبدة الزفاف البيضاء بالشؤم..  
لم نختار بدلة الخطوبة معاً، والزفاف تختارها العروس دون  
عريسها..

حادثتى سهيل من السوق يريد منى أن أوصي بشيء يقتنيه لي.. لم  
يخطر ببالي شيء آنذاك، إلا أنني لم أود أن أزعجه فقلت له اقتن ما  
تريد..

\*\*\*

وبعد محادثتنا بيومين قرع جرس منزلنا.. كنت على لهفة لأن أراه،  
فقد وصل ليلاً، وحادثني عبر الهاتف.. وعدني بأن يزور بيتنا صباح  
اليوم..

قرع الجرس ركضت مسرعة لأراه.. أوه ما هذا ليس سهيل..

عامل النظافة الوسيم.. شاب وسيم يعمل بحارتنا.. لا تليق به تسمية  
عامل نظافة! يمتلك هامة تصلح أن يلصق بها لقب (موديل) عارض  
أزياء، هذه الصورة التي تخيل لي.. جسده وابتسامته تصلح بأن يكون  
رجلا محاطا بالكاميرات والأضواء.. هو لطيف..

قال باستغراب

- صباح الخير أيتها الشاعرة.. ما بك مبهمة الملامح، كيف خطيبك؟  
دوما كان كثير الطرح لربما سرعته في استلال تفاصيل البوح لم  
توسع له أبواب الحياة.. فالحياة بحاجة لصبر وتأن.. بحاجة لتفكير..  
لم يعلم أنني صعقت بذلك الوقت، اعتقدت أنه سهيل جاء ليراني..  
خابت آمالي من الصباح..

- بخير.. خطيبي عاد وهو بخير.. ماذا تريد يا خليل؟

- أريد القمامة..

- انتظر قليلاً..

رحل خليل الذي حطم آمالي منذ الصباح.. بعض الصدف تهوى  
تحطيم الآمال.. دوما ما خذلت برنة الجرس التي تصدر من فعل  
أصبعه، هو يقتحم الأجواء الضبابية، ويجعلها تتلاشى.. دوما ما كان  
فكري يجنح للضباب، لدي متسع خيالي كما للأطفال.. أعتقد أن  
موهبتى الشعرية التهبّت من ضخامة فكري وعلو خيالي..

لم أستطع أن أبادر بطابعي الأنثوي اكتفيت بالمكوث بجانب هاتفي الذي  
لم يتفوه بأي رنين أو صدى لرنين.. الساعة الآن السادسة والنصف احتكت  
عقارب الساعة، ولم يتذكر حبيبته المنتظرة، التي هوت من ألم اشتياقه..  
أصبر أنثى على عشيق لا يبعده عنها سوى مقدار رنه هاتف؟

منذ تلك اللحظة أيقنت أنه سيستطيع تحطيم قلبي.. هو استطاع  
امتلاك جميع تفاصيل حياتي.. أتذكر أن الوقت مضى ببطء.. في  
الحادية عشرة وخمس دقائق رن هاتفي هو، سهيل.. كبرياء أنوثتي  
أجبرني على تجاهل المكالمة كما تجاهلني هو يوماً بأكمله.. لم يكتف  
برنه ولا اثنتين واستمر بالاتصال حتى سئم أو ربما نام..

هو أيقن أنني غاضبة منه وبأثرة.. فهذا يومه الثاني ولم يأت ليراني..  
صباحاً ارتديت ثيابي بكسل.. أشعر أنني مرهقة، ولا أريد الذهاب للعمل  
لم يبق على زفافي سوى ستة أيام، ولم أقتنِ بدلة بيضاء بعد.. سادتي  
تعاسة تتفوه بنبرة حادة لن تتمكني من ارتداء البدلة! لا أعلم أي أنواع  
العذاب ذاك الذي يراودنا في أوقات عصية على الهضم كهذه..



في هذا الوقت كان كل شيء عصبياً على الهضم.. واليوم هو يومي الأخير في العمل؛ علي إنجاز أوراقي لأتمكن من الانحلال عن هيكلي الفضي.. أجد نفسي بالتصميم.. عملي برع باختراق جسدي كما الأمراض الفتاكة تجتاح الأعضاء.. ماذا لو لم نتزوج؟ أعتقد بأنه لا يريدني؟ لم لم يأت البارحة، لم لم يحدثني؟ ضروب من الأسئلة تجبرني على الانخزال والأسى والاكتئاب..

ارتديت ملابس طمعاً بفكر خاطئ، ولم أضع أي مسحوق على بشرتي هذا ما استطاعت أُمي أن تحرمثني إياه بدعوى (بهجة العروس ما بدها مكياج، وأنتِ بتمكيجي كل يوم ما بصير هيك لازم تريحي بشرتك).. أخذت حقيبتني وهاتفني المحمول.. فتحت الباب، وأغلقتة خلفي متجهة لعملي..

هو.. سهيل مع باقة جورني.. لم أرَ بجمالها.. حزني رحل بمجرد رؤيته.. هو ساحر، ألم أقل إنه سيجتاحني..

- (الحلوة زعلانة.. مين يراضيهها..)

دندن لي بأغنية قديمة.. كنت عابسة رغم فرحي.. وشيء ما يجبرني على احتضانه حتى هم بالتقاي في وضمي لضلوع صدره.. حنان صدره مختلف..

لنبض سكون ضلوعي لصدرك عزف سحري كما الكمان.. ولرقصة صدري بنصف ضلوعك نغم رنين كعصا الكمان على الوترين.. وبنبض

صقيع جمود حنينك ذاب الحزن على تلال مدينة الكبرياء، فصقل  
الحزن بدمع الورق كحبر خطّ على الجدران..

- لم تركنتي أشتكى كطفلة تركتها أمها وحيدة بالمنزل؟

كنت غريقة بالدموع.. أكثر ما يزعجني دموعي؛ هي الوحيدة التي  
تثور على تحكمي.. تنهمر دون إرادتي رغماً عني..

- حبيبتي.. رغماً عني.. أتى الجميع للسلام علي حتى إنني لم أتمكن  
من الاتصال بك.. أخوالي وأعمامي.. عماتي وخالاتي.. وأصحابي.. ما  
إن أفرغ من أحدهم حتى يجيء آخر، رغماً عني أقسم لك..

أقسم لك؛ الكلمة الوحيدة التي لا أصدقها.. مجرد انتقاء كلمة  
القسم فهذا يعني السلوك بمشروع كذب فاشل.. غالباً ما يكون المقسم  
كاذباً في أغلب الأحيان.. إن أجبرت ذاتي على تصديقه فننسى ترفض  
التصديق.. عائلته بجواره أعتقد أنه لن يتمكن من الكذب.. لو أعتذر  
قليلاً من الأقارب وحادثني دقيقة لما غضبت؟ لا أعلم لم اتخذ خيار  
المكوث معهم وتركني؟ من الأجدر أن يكلمني أنا، دقيقة واحدة لن  
تؤذيه هذا حجة فقط، هم زائلون وأنا الوحيدة التي سأبقى بجانبه  
بعد زفافنا. لا أعلم سر تفكير الرجال وخلوتهم بفكرهم.. ربما لديهم  
معتقدات خاصة، أو ربما يعشقون إيلام النساء العاشقات؟

- لي الورد الأحمر..

- جوري يليق بفخامة جورية قلبي..

- أنا لم أنزعج لأجلي، انزعجت من الأسئلة التي طرحها الجميع في طريقي أمس.. أين خطيبك؟ لم لم يأت؟ أ أنتما متخاصمان؟

- أعتذر حبيبتي.. رغماً عني.. لا بأس سأعوضك اليوم..

- أعتذر اليوم آخر اليوم سأنهاي أوراقى بالعمل.. هو ليس دواماً كاملاً، أنتظرني لأنهي معاملاتى..

- سأنتظر لتنتهي من كل شيء.. ثم نتناول الغداء معاً.. ونقتني بدلة بيضاء لك.. و بدلة سوداء لى.. أنت منحتني حق اختيار ما سترتدي، وأنا سأمنحك الخيار ذاته..

- ابتسمت برقة.. بالطبع حبيبي..

ترجلت من السيارة ومعى باقة الورد الحمراء متجهة لإنهاء عقد عملى، ورسم خطوط عقد حياة جديدة أوقعه معه.. أنهيت أوراقى وودعت زملائي بعد الانتهاء من جمع ما وضعته فى مكتبي من حاجيات لم تعد تلزمنى فقد حضرت حقائبي وصنادوقي الخشبي (جهازي)، عرائسنا لا يأخذن معهن شيئاً قديماً لبيوت الزوجية سوى الجسد والذكريات، وأعتقد أن الذكريات أسوأ ما نحمله يقول فولتير: إن: "الملوك مع الوزراء كالأزواج المخدوعين مع نسائهم لا يعرفون أبدا ما يجري" .. وأظن أن معظم الملوك مخدوعين بوزرائهم وشعوبهم كما إن الأزواج مخدوعون سواء كانوا نساءً أم رجالاً..

حمل توفيق المراسل صناديقي، ونزلنا معاً للسيارة. سهيل أوقف  
سيارته بجانب الطريق، وانتظرني بملل..

- حبيبي هل من الممكن أن تفتح صندوق السيارة؟ توفيق سيضع  
صناديقي..

- بالتأكيد حبيبيتي..

- هل تأخرت عليك؟

- لا أبدا لم تتأخري..

- والآن أين سنذهب؟

- شكراً لك توفيق.. (عاد ملتفتاً ليحجب عن سؤالي) أريد أن أخذك  
لعالم السحر.

- لم تقل لي أين سنمضي شهر العسل؟

- أنا أسافر لأماكن كثيرة، لن أحتار باختيار مكان شهر العسل؟

- اخبرني أين سنذهب

- لا، مفاجأة..

- (أجبت بملامح حبّ) حسنا يا لئيم

أخذني لتتناول الفطور، مكان ساحر آخر، مشع بالضياء نوافير ماء  
وشلالات.. تأخذني ضخامة خياراته دائماً.. هو جذاب بانتقاء كل  
شيء، ولا يعجبه أي شيء.. تناولنا الفطور ثم اصطحبني للسوق لنختار  
فستان زفافي.. أذكر أنني ارتديت أكثر من ثلاثين فستاناً ولم يعجبني  
أحدها..

- حبيبي.. لم يعجبني أياً منها!!

- لا تكثرني حبيبتي، وأنا لم يعجبني أي منها، سنذهب لسوق آخر

- أوافقك الرأي.. لكن اليوم سننهي حكاية الفستان

- لنذهب الوقت يداهمنا

ذهبنا لسوق آخر وبمجرد دخولي لمحل أزياء أعجبني فستان أبيض  
ناصع مع شاحط طويل عندما ارتديته كنت كالملكة.. أوقن أنني رزقت  
بعرش الملكة الذي طالما حلمت به.. لم يتبقَّ على تتويجي شيء، أخذنا  
البدلة وبدأنا نبحث عن بدلة له.. أذكر أننا عدنا محمليين بثياب وبعض  
الحاجيات، وكثير من الحبِّ والتقرب..

في تلك الأيام كان يرتاد منزلنا يومياً مخالفاً للتقاليد؛ لأن التقليد  
يقضي بأن لا يزور العريس العروس قبل عشرة أيام من الزفاف. نحن  
الاثنين تجاوزنا كل شيء حتى الراحة فقد كنا لا ننام سوى بضع ساعات  
فقط كنا نقضي معظم الليل على الهاتف..

لم يبق على الزفاف سوى يوم واحد.. كنت نائمة واستيقظت على صوت أمي وهي تقول..

- رولين استيقظي جاء خطيبك العنيد.. هو لليوم مصرّ على أن يراك..

- أمي قلت لك: إننا لن نلتزم بتلك العادات المهترئة..

- (بضجر) هيا استيقظي بسرعة..

اتجهت لغرفة الاستقبال جاء بياقة ورد حمراء كالعادة اعتدت الجوري الذي يقابلني به دائماً.. هو يدل على جمال قلبه ورقيه.. أحمر بلون حبه ومخملي بدفء عينيه..

- صباح الخير حبيبي

- صباح الورد..

جلسنا معاً.. احتكت عقارب الساعة، الساعة الآن الثانية عشرة تماماً.. أخذنا الحديث حتى الساعة السادسة مساءً حين جاء فادي أخي الكبير..

فادي.. رجل عظيم طلته كالأمرء فهو رجل جذاب.. أحبّ فتاة كانت تشاركه مقعد الدراسة بالجامعة، أحبها بإخلاص لم أعهده.. كانت رفيقة دربه، عيناه عكستا إطلالتها كانت جميلة ولبقة، لا أعلم ما الذي

قايض فكرها بشيء آخر عدا الفكر، حتى تزوجت آخر وتركت فادي..  
أذكر أنه تألم واشتدّ ألمه لدرجة مكوته بالبيت كأرملة..

لم يعد يذهب للعمل، ولم يعد يحلق ذقنه وأصبح بائساً معدوماً من كل إمكانات الحياة سوى الفكر؛ فهو الوحيد الذي يشقّ عمله عليه.. كان محكوماً بالأشغال الشاقة كضريبة حبّ لم يرتكب إثمها فالقلب يعشق، والعقل يأرق..

استمرت حاله عاماً، أذكر أنني كنت أتألم لأجله وأبكي حظّه.. إلى أن قرر ذات يوم تبديل حياته.. لا أعلم ما سرّ قراره لكنني أظن أنه اتخذ القرار الصائب.. ومنذ ذلك اليوم ودّع الشقاء، واستعد ليرتبط بأنثى جميلة تدعى نيرمين..

نيرمين.. ستحرم مثلي من النوم بجانب زوجها كل ليلة ففادي يعمل طياراً بإحدى شركات الطيران الأردنية مثله كممثل سهيل، أحدهم في البحر و الآخر في الجو وزوجتيهما خائضتين في تفاصيل الألم.. أنا لم أجرب لكنني أقتربت من التجربة، ونيرمين ستجرب مثلي أيضاً..

ليس هنالك متسع ليشغل فكري، الآن تبدّل نظام عمل سهيل سيستقيل من البحر لمدة شهرين ثم يمضي معي شهرين آخرين وعلى هذا المنوال.. ستة شهور من البعد لن أستطيع عليها صبراً..

فادي يدخل المجلس..

- صهري.. أهلا بك

- أهلا فادي

- سنفتقدكما بعد أيام

- ونحن أيضا

- كم من الوقت ستقيمان معنا بعد الزفاف

- أسبوع واحد

- مبارك لكما سلفاً

- بارك الله أيامك يا عريس

- (ضحك فادي بشوق) إن شاء الله.. ومبارك عليك يا عريس سأترككما

الآن..

غادر سهيل متفقاً معي على أن ننام لنرتاح؛ لأننا منذ أسبوع لم ننم  
براحة.. ودّعته وذهبت للفراش.. ألقيت بجسدي في منتصف طريق  
النوم وغرقت بعمق في الراحة.. ثماني عشرة ساعة غريقة بالنوم، أي  
عروس تلك التي يتمكن النوم من الاستيلاء عليها ليلة زفافها..

استيقظت على صوت أمي..

- يا عروس.. استيقظي يا جميلتي..



- صباح الخير أمي

- صباح الجمال حبيبتي

- كم الساعة؟

- الحادية عشرة صباحاً

- نمتُ من الأمس حتى هذه الساعة؟

- نعم... نعم

- هل اتصل سهيل بي؟

- لا أعلم.. لم أسمع صوت رنين هاتفك

ارتجلت الفراش وتناولت فطوري وأنا متعلقة بشاشة هاتفي، لم أود  
إزعاجه وإيقاظه من نومه.. وهو أيضاً كان منتظراً هاتفي بشوق..  
الساعة الواحدة قرع الجرس.. (الكوافيرة) جاءت لتجهزني.. رن  
هاتفي، حبيبتي على الهاتف

- زوجتي

احتلني بهذه الكلمة.. (زوجتي) يا لها من كلمة جميلة خمسة حروف  
تصدع بالنبض..

- لم الصمت يا زوجتي؟

- حبيبي

- لا، لا زوجي!

- زوجي

- أمرك يا عينيّ

- كنت سأتصل بك لكني لا أريد إيقاظك من النوم.. أنا مستيقظ من

الساعة العاشرة

- وأنا من الحادية عشرة بانتظارك

- ظننتك نائمة؛ لذلك انتظرت موعد (الكوافيرة)

- ممممم.. كيف حالك اليوم؟

- طائر في سماء العشق..

- يا لك من مخادع.. لكني أحبك!

- وأنا مغرم بك يا حلوتي أريدك أجمل من أي جميلة

- اسمعني لا تخفف شعرك كثيراً..

- بأمرك

- واحلق كل ذقنك

- حاضر

- أين وجبة فطوري؟

- هل احضر لك فطور.. ماذا تقصدين؟

- لا وجبة فطور من الحبّ..

- كيف هذه؟

- قل لي لي أحبكِ

- أ تعلمين أنني لم أصادف في حياتي أنثى تطلب كلمة أحبكِ بلسانها

مني؟

- كم أنثى أحببت قبلي؟

- (ضحك بتهمة) مئة خالصة

- سهيل..

- قلنا زوجي.. إلا إذا كنتِ ستتركينني الآن.

- لا، زوجي لن أتركك حتى لو كنت قد عشقت نساء الكون أجمع

يقولون إن حبّ الرجال كالكتابة على الماء، وإخلاصهم كالكتابة على الرمال "أي أنثى هائمة من المؤكد أن لا تصدق أي حرف من تلك الحروف.. أغلقت الهاتف بعد حديثنا الذي استمر نصف ساعة

متناسية في أثنائه أُمي والمرأة المنتظرة.. ثم خرجت وبدأت السيدة بتجهيزي.. كنت كثيرة الانتقادات لمعظم ما تضعه (الكوافيرة)، وعندما أنهينا الماكياج كنت أبدو كالقمر "أعجبتني أنا" كنت جميلة.. لأول مرة أرى أنني من بنات الملائكة..

ارتديت فستان زفاي، وبدأت تشكل لي شعري.. الساعة الخامسة تماماً بدأ أقاربي بالتوافد لمنزلنا.. الساعة الخامسة والنصف سيأتي سهيل و أقاربه ليصطحبونا لمكان الزفاف الذي أجهدت في إعداده، إذ كنت مشرفة على جميع تفاصيل المزرعة.. كل شيء هناك بقافية منتظمة، وعلى بحوره مضبوطة..

خرجت على نظر الجميع.. أيقنت أنني ملكة بأناقتي، من نظراتهم كانوا مبهورين بي.. أخذت باقة الورد وجلست.. المزامير تعزف في سماء حارتنا.. جاءوا جميعاً، وما إن دخل سهيل حتى رأيت لهفته إلي قبل يدي والتقطني إليه وخرجنا.. عانق خصري لأول مرة أحس بأنه الوحيد الذي يحتويني..

كان زفافنا جميلاً.. أظنه أسطورياً.. كنت أراه أسطورياً.. كان كل شيء كما أردت لذلك استمتعت بالنظر لكل التفاصيل.. هو مطبوع بذاكرتي.. أنا لست ككل النساء جميعهن لا يعلمن أي تفصيل شاهدوا بعد انتهاء الزفاف سواي، كنت أعلم كل ما جرى وأتذكر جميع الأحداث.. نزلنا بفندق، بعيد قليلاً عن أماكن الضجيج في عمان..

عمان مدينة عاشقة.. يخال لي عشقها بقدم الحجارة المستحدثة..  
هي ليست قديمة كجميع المدن لكنها متأصلة بالحب.. هي أول بلد  
جمعت شعبين وكأنهما روح وجسد.. أجد العشق بتفاصيل بيوتها  
العشوائية مدرجها الروماني وأسواق البلد المضيئة وجبالها المتراقصة،  
تلك الراية الملتفة على التلة، وأضواء قلوب الزقاق.. هي مدينة تحتضن  
المستحدث والأصيل معاً.. تتلاصق أبنيتها الجديد بالقديم لتشكل  
فلولكلوراً نابضاً مغتزلاً بنبض قوس قزح..

أمضينا الأسبوع الأول لنا معا في طيات أجنحة أحببتنا، اليوم اعتلينا  
الطائرة معا.. من اليوم سنذهب لليونان معاً ونعود للأردن معاً.. كانت  
عيناى منهكتين من الدمع، وقلبي مشطوراً من وداع عائلتي، تذكرت  
لورا التي لم تودعنا، ليتها أنت لتودعني الآن، ليتها حية لتسد رحيلي،  
وتملأه!!!

أغلب الوحيدات يسافرن.. الحياة قاسية تحكم الجميع قسراً،  
تستثيرها الانفرادات لتلقي بها بعيداً.. الحياة جميلة وقبيحة معاً،  
كأنثى رقيقة ترتدي ثوباً بالياً تجدها قبيحة عندما تنظرها من رأسها  
لقدميها، وجميلة عندما تنظر وجهها فقط..

وصلنا اليونان حيث سنقيم بالفندق يومين ثم نذهب للبحر هذا ما  
قاله سهيل:

- حبيبتي

- نعم حبيبي

- سنقيم بالفندق يومين، ثم نذهب للبحر

- للبحر معك

- نعم سبتين بجانبني في البحر عاماً كاملاً؛ لأعلمك اللغة ثم نأخذ بيتاً بمدينة أثينا..

- أحببت الفكرة حبيبي.. وهكذا سأتفرغ للكتابة ولك

- تقصدين لي وللكتابة؟

دوما ما كنت أضع أعمالي ومهامي بمقدمة علاقتي به رغم أنني أعشقه، لكنني لا أعلم سبب عشقي للكتابة الذي تأصل واستبق عشقه.. الكتابة واللغة عشق متفرد عن أي عشق.. الكتابة بالنسبة لي نبض مختلف؛ هي اللغة الوحيدة القادرة على فهم الإناث.. فالرجال لا يتمتعون بمعرفة متطلبات النساء كما اللغة..

وصلنا لفندق ضخم مصفح بالزجاج، ومحاط بجنائن لم أرها حتى في أحلامي نحن نفتقر للخضرة والحدائق بيلادي. أدركت سرّ تعلق سهيل باليونان من يرى هذا الجمال يستحيل ألا يعود إليه مرة أخرى.. باب الغرفة يفتح ببصمة اليد قبل، صعودنا أخذوا بصمتي وبصمته، ثم صعودنا للغرفة وهو مطوق خصري.. رقم باب الغرفة ٤٦٠ دخلنا

مكتبة الريحى أحمد ٩٥

لجناح أبيض ممزوج بلون الذهب كان شكل الغرفة مغريباً للنظر..  
سأجهز منزلي بأسلوب يوازي فخامة الغرفة، فأنا أصمم الديكورات  
ولن أعجز عن تصميم منزلي.. ما رأيت في هذا الجناح كان شيئاً  
فاخراً بالتصميم والإتقان وذا رقي عالٍ جداً..

استرحنا قليلاً.. وفي المساء اصطحبني للسوق كنت شاردة النظر  
كطفلة مشردة طرحت عليها موائد من السماء؛ أخذني إغراء  
الطبيعة.. من أفضل خيارات القدر لي أن سافرت لليونان، أعتقد أن  
طموحات خيالي أصبحت إسقاط في واقع غريب، وكأنما رُشّت بغبار  
الخيال.. تاهت بي تلك المناظر، فازدادت خفقات قلبي واضطرابات  
روحي..

أسواق اليونان جميلة، مسقوفة عالية وحارات قديمة وتراث يليق بتلك  
الطبيعة.. معظم الدول الخضراء صاحبة تراث قديم.. تراثها نسيج  
من تلاقي الأمم فالجميع يرغب بالطبيعة والمياه.. تلك الحجارة المعتقة  
تغري بصري.. وفكري يجنح لكل مشهد تراثي لاح أمام بصري.. كنت  
مأخوذة كطفلة أغراها جمال الدمى والعرائس.. هنالك أجساد يفريها  
زخم الشاعر، وتتحرك أحاسيسها بمجرد التعرض للروحانيات،  
فالأشجار والتراث روحانيات خالصة تريح النفس..

اشتريت أثواباً جميلة يقال انها تحمل حكايات قديمة.. وقليلاً من  
المنسوجات ومطرزات واقتنيت أواني للطبخ مصنوعة من الأصداف

والنباتات البحرية.. كانت المقتنيات جميلة ومتعددة لم أعهد مثلها في أسواق عمان..

أثينا مدينة من أكبر مدن اليونان وهي عاصمتها.. نحن نقيم الآن في مدينة بيرايوس بالقرب من الميناء على البحر الأبيض المتوسط.. حيث سنتمكن بعد غد من الانضمام عبر قارب صغير للباخرة التي يعمل فيها زوجي..

في تلك المدينة تعوم بعض المنازل فوق الماء، ويتنقل ساكنوها بقوارب كما البندقية في ايطاليا تماماً.. معظم المدن البحرية فيها منازل عائمة على الماء.. تستببح روعي تلك المشاهد، يفريني النظر لضخامة تلك الحضارات وروعة تلك الأبنية.. هنا مزيج يجمع الروح والعقل والقلب معا.. يهوي صاحب البصر رهيناً لعظمة الإبداع في حضرة تلك المدن العريقة..

كل منا يرجو أن يتجسد الإبداع بروحه كما يتجسد في اليونان.. بشموخ قلاعها وعظمة شواطئها وسحر أبنيتها.. وهذا ما رجته روعي الآن؛ أن أصل في مراتب الأدب لدرجة العظمة.. أنا على أتم الاستعداد للاستمتاع بتلك الطبيعة وإيحاءاتها وأن أزيل الأصباغ القديمة عن قواليبي، لأجد نفسي كتلك الورقة البيضاء التي كفلتني بطفولتي..

احتوتني المشاهد لدرجة نسيت فيها الحديث مع أهلي وطمأنتهم.. أخذت هاتف سهيل بحكم خطه الدولي..



- حبيبي أريد أن أحادث عائلتي، هل أعطيتني الهاتف من فضلك؟

- تفضلي حبيبتي

وضعت الرقم مبتدئة بالشيفرة الدولية.. وها هو الخط بدأ بالصفير

- (سؤال طرحته أمي) ألو مرحبا، من معي سهيل؟

- أنا رولين، كيف حالك يا عمري؟

- أهلا حبيبتي اشتقت لك.. كيف أحوالك؟

- بخير أمي الحمد لله.. اشتقت لك كثيراً

انهرت من البكاء لا أعلم سرّ بكائي.. عندما سمعت صوت أمي و أبي انتابني إحساس المفارق.. أيقنت أنني تسببت بجرح آخر في نفسيهما.. أبي يعترف لي بأنه لم يكن بوعيه عندما قرر أن يزوجني سهيل.. لم يكن بحسبان أنه سيخضع لامتحان الفراق مرة ثانية لكن بأسلوب مختلف؛ فهذه المرة الاختبار صعب.. فرولين حيّة مقابل لورا الميتة، لذلك ألم فراق رولين معلق بين الجنة والنار.. رولين تربت لمدة طويلة، بينما لورا لم تعش كما رولين.. وهنا يكمن الألم، أن تفقد طفلاً أهوّن بكثير من فقدان شاب..

نجبر دائماً على التخلي، تضعنا متاهات الحياة في خيارين كلاهما صعب؛ الموت والفراق.. أحمد الله أنني اقترنت بحبيبي.. لكن حجم

فاجعة الفراق ستؤذيني، أنا لن أحرم من حبيبي سأحرم من عائلتي وأصدقائي وعملي.. زوجي سيتمكن من سدّ تلك الثغرات بوجوده بجانبني الآن، فكيف إذا غاب هو أيضاً، تلك الأفكار تراودني، طالما تمنيت لو كنت أنا التي ارتمت بحضن السماء، وارتطمت بالأرض، سأرتاح بالتأكيد !

لكن من منّا لا يحبّ الحياة.. أملي معلق بالله، ومثلي بالحياة " يخلق الله ما لا تعلمون "

أذكر أن بكائي استمر ساعتين أو ثلاث لا أذكر، عينايا كانتا ممنتفختين ومحمرتين كالجمر، ووجنتي وشفتي ايضاً عدنا للفندق، وأنا سائلة الدمع .. ظل سهيل يهون علي غربتي. هو لطيف لحد بعيد ذلك الرجل يستطيع استلال نبضي، وقلب مشاعري رأساً على عقب.. احتواني في وقت لم أكن فيه بحاجة لشيء قدر حاجتي لاحتوائه.. أوقن أن أبي صاحب اختيار صائب.. استطاع أن يهديني لأب آخر..

يهديني.. هو مصطلح من ضمن المصطلحات التي لا تليق بأنثى مثقفة.. لكن الزواج في الغالب إهداء، ولو استطعنا تبديل مصطلحاته واللعب بتراكيبه.. الأب يهدي ابنته لرجل.. الرجل يحكم قلبها قسراً بسلطة الشاعر، أو سلطة التملك، كلاهما سلطتان وحاكمتان، لكن الاختلاف يكمن بخفقان القلب أو سكونه.. الأب يبيع ابنته مقابل ما يسمى بالمهر.. تعامل النساء كالإماء لكن المصطلح مختلف، هل

تستطيع أن تأخذ تلك المرأة حرية التنقل والاستقلال في كنف والدها؟ هل تملك حق التمرد والعصيان في بيت زوجها؟ إذا هي أمة بمصطلح زوجة..

لست ضد الزواج، فمن منا تستطيع العيش في منزل وحيدة دون زوج يساندها وطفل تكحل عينيها بمرآه.. الرجل جسد والمرأة، ظلّ وكلاهما يفقد توازنه دون الآخر.. دائماً ما تكون العظمة والضخامة للرجال.. بالمقابل فإن مقعد الضعف وضمور البنيان يلصق بالنساء. رغم تعدد مصطلحات تساوي المرأة بالرجل وحقوق المرأة وتلك المعاهدات الزائفة إلا أن الجميع ليس مقتنعاً بتلك الفكرة.. وأبسط دليل على ذلك الذي يتجسد عندما تثور الزوجة على زوجها فيلصق بها صفة (أنتِ رجل).. هي ستبقى رهينة البكاء ليالٍ، وستقرر أن تنتقم باستعادة أنوثتها.. لا أعلم ما سرّ قوة المرأة وضعفها.. هل الخلل بمجتمعاتنا؟ أم بتركيبة نساتنا؟ أم أن الخلل ببعض الأفكار المتدحرجة؟

المرأة تفضل التمسك بالقوة وضخامة الحضور، وسرعان ما تلجأ للدلع والفنج، والاحتماء تعبيراً عن ضعفها.. حكاية مضحكة؛ كذلك المرأة المحدبة والمقعرة، إحداها تضخم الجسد بتجميعه، والأخرى تقلصه بثشيبته.. لكن شتات عقولنا نابع من شتات مجتمعاتنا.. يقول أينشتين: " لكل قاعدة شواذ " .. والشاذ في تلك القاعدة هو أن قوة المرأة المنحدرة للرجولة نابعة من فقدان الرجال؛ والحكاية نابعة من

ظروف الحرب؛ بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية بالتحديد حيث  
فُقد كثير من رجال العالم في الحرب ولم يبق سوى فيض من النساء..  
لذلك قررن أن يتساوين مع الرجال؛ ليستطعن التعايش لأن المُساندة  
الرجولية فقدت بموت الرجال في الحرب..

نحن نسيء وضع الشمع الذائب في قوالب البلاستيك بسبب العجلة..  
وعندما تتصهر القوالب نعلم أنّ تسرعنا كان خاطئاً، وأن سلامتنا  
تكمن في اختيار قالب معدني لذلك الصهير.. وكذلك النساء لا  
تستطيع إحداهن أن تتشبه بالرجل، وتمارس ما يمارسه من أعمال  
وكبت مشاعر وقوة شخصية، فينصهر قالبها تماماً كالبلاستيك، ثم  
تدرك حجم الخطأ الذي وقعت فيه..

استيقظت صباحاً كنت متكئة على صدره.. حجم ضغط جسدي  
على قلبه جعل نفسه متحسراً.. لا يكاد يستطيع التنفس.. انسحبت  
بيضاء وخفة لئلا أوقظه.. جلست في الشرفة الواسعة على كرسي خشبي  
مقابل البحر.. لم الفنادق كبيرة الحجم؟ بالمقابل بعض المنازل تساوي  
حجم الشرفة وحدها هو اختار أفخم فندق على الشاطئ لنقيم فيه،  
رغم أننا لن نمكث فيه سوى يومين سنبقى جائلين بالسوق!

البشر يعانون من الازدواجية الغريبة..

أيقنت بتلك اللحظة أنه اختارني لفخامة حضوري فأنا شاعرة، ولي  
كتب مشهورة.. واجريت مقابلات تلفزيونية، أنشر بأكبر الجرائد

والصحف ولي مطبوعات.. أيعقل أنه أحبّ مركزي، ومكانتي كما أحبّ  
مركز الفندق ومكانته؟

- لا لا.. هو يحبني

بدأ يتحرك.. استيقظ على الصوت اللاإرادي الذي تفوهت به..  
غالباً نترزعج من ضخامة الأحاديث الروحية فنشهو بصوت يستطيع  
تكسير تلك الأحاديث..

- حبيبتي صباح الخير

جلست بجانبه صامته.

- ما بك حبيبتي.. أحصل شيء؟

- سهيل أريد أن أطرح عليك سؤالاً، لكن أجبني بصدق؟

- سؤال.. تفضلي حبيبتي سأجيبك بصدق؟ هاتي سؤالك..

- أتحبني حقاً؟

- صمت باندهاش.. أي سؤال هذا الذي طرحته، رولين ما بك، ما

الذي حصل؟

- لا شيء.. أجبني فقط..

- هل يمكن ان يقترن أحدهم بأنثى لا يطيق العيش معها؟

- بنبرة استفزاز.. أنا لم أقل انك لا تطيق العيش معي! وجهت لك  
سؤالاً واضحاً.. أتحبني؟

غضب.. لأول مرة أراه غاضباً منذ عرفته..

- لا أعلم.. إذا رأيت بتفاصيلي ما هو مخالف للحبّ فأنت أصدق مني  
لا أعلم ماذا سأجيبه.. أجمني.. هل أنا مخطئة أم أن فكري هو  
الذي أخطأ هذه المرة؟

تركني صامتة مبهمة الملامح، وارتدى ملابسه وخرج.. أسرع  
للنافذة، لكن نافذتنا مطلة على البحر! وهو سيخرج من الطريق  
الرئيسية.. بدأت أبكي..

دائماً الرجال يخفقون باحتواء النساء، لا سلطة لي على ذاتي،  
اغتربت فجأة.. لم أعتد الاغتراب من قبل.. أظن أن المشاكل الزوجية  
قد بدأت..

طالما تمنيت أن أعيش برفقة زوجي دون مشاكل.. كنت دوماً أخطط  
لحياة سعيدة.. أيعقل أن سؤالاً كهذا سينهي علاقة الحبّ الكبيرة؟  
محال.. أيعقل أن يهدم أول جسر يقرب بيننا؟ لا أعلم لكن من السهل  
أن يهدم.. جلست محتارة، أريد طريقة تجعل الجسر قائماً من جديد،  
أو تستطيع ترميمه.. ربما أفكار هي التي تجنح لازعاجي دوماً، هي  
التي تخلق المشاكل وبؤر النزاع والعتب..

مضى على غيابه وقت طويل أربع ساعات من تلك التي تلقب  
بالفانيات، ربما أخذت اللقب لمجرد انعدام فائدتها.. كنت شاردة البال  
مكسورة خاطر منهكة الفكر جاثبة في بحور فكري المعوج وسرعان ما  
قرع الباب..

- من؟

Room Service -

فتحت الباب.. وإذا بموظف خدمة الغرف يحمل لي باقة ورد، وكأس  
عصير برتقال.. لم اتمكن من سؤاله؛ فقد غادر بسرعة من طلب  
العصير والورد أيعقل أنه سهيل؟

بطاقة معلقة بالباقة.. مكتوب عليها

أجدير بمجنون يهيم عشقاً أن يفارقك.. أحبك لثلاثمائة عام لم  
تزين التقويم بعد.. انتظرك يا من فتنني قلبي وحررتي نبضي من  
الوريد.. متضوراً من الجوع بانتظار وجبة حبّ دسمه..

ملاحظة أنتظرك بالاستقبال..

- (أذكر أن الفرح جعلني أقمز كالمجنونة) يعشقني.. هذا عشق..

قبّلت البطاقة، وارتديت فستاناً خمرياً قصيراً (Sport check)  
يليق بأنثى شرقية مغتربة، ويليق بمساء مكلل بالحبّ.. قليل من

(Eyeliner) على العيون.. أحمر شفاه مخملي.. والآن أصبحت أنثى  
مكتملة كالقمر..

الساعة الثالثة عصراً .. وصلت صالة الاستقبال.. وجدته يشرب كوب  
عصير برتقال وطالما قال لي إنه يحب البرتقال، من فرحتي نسيت كأس  
البرتقال على الطاولة ولم أشربه.. على غفلة قبلت وجنته.. فالتفت إلي  
بدهشة..

- (قال مبتسماً) ما أروعكِ!

- أعجبك فستاني؟

- لا.. أنت التي أعجبتني

- (بخجل) عيناك قالتا لي

- متيم بحبك.. هذا جواب السؤال الذي طرحتي صباحاً

- وصلني جوابك بالبطاقة..

- أنتِ ملكة قلبي.. سنخرج الآن، أ مستعد أنت؟

- بالطبع حبيبتي.. رهن إشارتك..

أخذ سيارة سياحية وخرجنا لنكتشف اليونان.. أنا لا أعلم أي شيء  
عن أكالات اليونان.. لم أتذوق أي طبق يوناني سوى السلطة اليونانية



بالجبن.. جلسنا في أحد المطاعم الخارجية.. هنالك جلسات جميلة بالطبيعة.. عندما تنظر لإحدى الطاولات المزروعة بين طيات الخضار والنجيل، والبحر ملقى على رافدها.. مشهد رائع وكأنما فتان صنع تلك المشاهد..

أعطاني (menu) باليونانية.. لا أفهم أي حرف بتلك اللفة.. ابتسمت سهيل بهدوء، ثم قال..

- حبيبتي اختاري؟

- (ضحكت) ماذا تقصد؟

- لا شيء.. انتظر اختيارك

- حبيبي..

- أمرك أمرك أمازحك فقط.. سأترجم لك المكتوب عليك الاختيار

اتفقنا

- اتفقنا حبيبي

- الطبخة الأولى قالها باليونانية كانت باذنجان محشي بالخضار..

- حبيبي تحدث بالعربية لا ترهق نفسك بقراءة الكلمات باليونانية

- أمرك سيدتي

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

أكلات طرحها على مسمعي أغلبها باذنجان و بطاطا وكفته و أسماك.. لم يعجبني شيء، لا أعرف اي شيء بخصوص هذه الأكلات أسلم خيار السمك، هو الوحيد الذي أعرفه.

- (مقاطعة لحديثه) حبيبي سمك !

- سمك حبيبيتي.. كل هذه الأكلات، واخترت السمك !

- نعم سمك.

لم أعترف له بأني لا أريد تجريب مأكولات لا أعرفها خوفاً من أن لا تناسب مزاجي، فمزاجي باختيار المأكولات غريب بعض الشيء.. أنا لا أحب الطماطم، الكوسا، الذرة، المعكرونة، البييتزا.. ففضلت اختيار السمك..

- حاضر حبيبي.. لكنني سأطلب مأكولات أخرى سوى السمك لي..

أعتقد بأنه أيقن أنني لا أريد اختيار شيء لا أعرفه فقرر أن يختار هو.. تحدثنا وشاهدنا النوارس العائمة على الماء، والتي تحلق كالمطائرات وتهوي هابطةً على سطح الماء، لأعلى وأعلى ثم تسقط للسطح دون غرق.. جاء الطعام كانت الأكلات منسقة بصورة جميلة.. وسرعان ما جاء النادل بفخاره حمراء اللون مغلقة من الأعلى وكسرها..

- سهيل.. ما هذا؟

- الآن ستتذوقين -

- آه.. لكن ما هو؟

- طبخه بفخار

- آه

لا يجيب، بل يترك الإجابة لي دائما.. لحم بالخضار مطبوخ بالفخار..

لحظات وجاء الطبق الثاني.. طبق أبيض منتفخ..

- سهيل ما هذا أيضا؟

- الآن سترين ما هو!

دجاج بملح البحر.. أطباق غريبة نحن لا نستخدم تلك التقنيات في الطبخ.. شيء مختلف.. أكلت من جميع الأطباق، ولم أقترب من السمك.. أغرتني النكهات المشبعة إنها مذاقات رائعة.. الشعب اليوناني يتقن الطهو..

وبعد ان انهينا الطعام ذهبنا في رحلة قصيرة عبر القطار.. في اليونان هنالك سكك ومحطات كثيرة.. هنالك شبكات قطار أرضية للنقل.. وأخرى سطحية للسياحة تنقلت بنا المقطورة في السهول والتلال لمدة ثلاث ساعات.. في الأردن لا توجد لدينا شبكة نقل متسلسلة كما هنا.. لدينا قطار قديم كان ينشئ رحلات في عيد الأم فقط هذا ما

أذكر.. كانت ضحاياه كثيرة؛ فهو غير آمن وبطيئ جداً وصيانتته كانت شبه معدومة.. نحن لا نهتم بوسائل نقل كهذه رغم جمالها..

قطارنا صغير مقاعده خشبية وجدرانه حديدية مصفحة، صوت صفارته مزعج لكني أحب هذا الصوت كثيراً.. في كل رحلة كنا نذهبها عبر القطار كنت أعود بتعب شديد وفرحة موازية لمقدار ذاك التعب..

هنالك لحظات من مخيلة الطفولة تبقى عالقة.. كان مشهد الجبال الرملية جميلاً في ذلك الوقت، وبقي جميلاً رغم خلوه من ملامح الجمال.. الحنّون الأحمر كان يزين التراب والفؤاد معا، حتى الذاكرة استطاع أن يزينها لأعوام وأعوام.. وتلك المقطورات الملونة مازالت عالقة هنا في تفاصيل عقلي مازلت أرى وقوفها العشوائي و انتظامها الغريب في آن معاً..

نحن لا نمتلك من الحياة سوى تلك الذكريات التي تعد الكنز الأكبر لأحدنا.. دوماً تسعفنا ذكرياتنا الجميلة في لحظات الفرح، لكن إسعافها يكون وجيزاً ويزيد مقدار الفرح، وهذا ما يخالف شؤم الذكريات فهو يسعفنا بوفرة وقت الحزن.. لكن لا يهم مازال لدينا صندوق قديم يحتوي تلك الذكريات.. أو بعض الأوراق الممتلئة و المهترئة التي خطت في أذهانتنا؛ فهناك بشر لا يملكون حتى نقطة حبر من الذكرى..

في رحلة اليونان شاهدنا أشياء جميلة؛ أرانب وحيوانات زاحفة.. ثم عدنا إلى حيث أتينا فترجلنا القطار حيث أخذني سهيل لنركب

(التلفريك) هو عالٍ جداً وجميل.. لم يسبق لي أن صعدت على متن  
(التلفريك).. وقت الغروب رائع في الأعلى.. تموج البحر بالحمرة  
راقٍ.. نزلنا وقت المساء كان الليل قد ساد السماء عشقا الساعة  
الثامنة بتوقيت اليونان..

- رولين حبيبي هل أنت مرهقة، أم تريدان الذهاب للسوق لنشتري  
ثياب؟

- لست مرهقة.. لنذهب

- حسناً.. لنذهب..

عدنا للفندق بعد يوم متعب جداً وبعدما اقتنينا مشتريات كثيرة جداً،  
سيسجل هذا اليوم من أجمل أيام عمري.. ما إن استحمت حتى هويت  
ببحر النوم كقارب تائه وسط الماء..

- رولين حبيبي استيقظي

- حبيبي.. ماذا حصل؟

- حبيبي هي نريد اللحاق بالقارب، الوقت تأخر..

- حاضر سنذهب انتظر قليلاً

وصلنا الشاطئ الساعة العاشرة تماماً.. القارب ينتظرنا.. هنالك  
بحارة كثر، معظم اليونانيين جميلين.. أكاد أجزم أن حبيبي يوناني..

فهو يشبههم لحد كبير.. بدأ سهيل يعرف أصدقائه بي.. لم أدرك من حديثه وتعاييره سوى صدق ابتسامته عندما ينظر إلي فقد كان يتكلم اليونانية وأنا حتما لا أتقنها.. اصطحبني لناحية أخرى..

- حبيبتي هيا لنبدل مقعدنا

- لم؟

- ذاك المقعد أفضل

- هذا المقعد جميل..

- هيا انهضي الرجال ينظرون اليك بشكل ملفت، لا تعجبني هذه النظرات.

- حبيبي حكايات الإعجاب والنظرات لدينا بالشرق، نحن الآن بأوروبا

- أنا لا يمكنني ترك أنثاي مباحة لنظرهم.. أنت لي ولن ينظرك أحد

سواي. ومن قال لك إن هذه الحكايات بالشرق فقط؟

أدركت مدى حبه الآن؛ فهو رجل شرقي ببراءة وعاشق نائر باتقان..  
دوما ما تجذب النساء للرجال بمواقف كهذه، يقال إن الفيرة (أم الحب)،  
أو الطلقة الأولى التي تشعل نيران الحب.. أليست الفيرة والرصاص،  
الحقيقتين الوحيدتين اللتين تشعلان نيراناً في قلوب الرجال..

\*\*\*

وصلنا للباخرة.. الباخرة بعيدة جداً كان الوقت متأخراً أظن ان الساعة السابعة أو الثامنة لا أعلم ليس بحوزتي ساعة، وغفلت أن اسأل سهيل أيضاً.. سعدنا عبر الدرج الحديدي على ظهر الباخرة.. كانت كبيرة الحجم.. مزينة باللونين الأبيض والعسلي إنها ألوان مريحة للنفس..

أول من جاء في استقبالنا البحارين والربان، الجميع تحلق حولنا وكأننا تمثال من الجليد غريب المظهر.. شاهدت تجمهراً كهذا بالتلفاز.. كانت المنحوتة مغرية للبصر فيها انعكاسات الطيف والجميع محلقون حولها ينظرون بانبهار، كان تمثالاً ضخماً وجميلاً مصنوعاً من الجليد المصقول..

سلم رجل كبير السن علي.. وقال عبارة باليونانية

- حبيبي ماذا يقول؟

- يقول أهلا بك

- قل له: أشكر لطفك سيدي

ترجم له سهيل ما قلت.. ثم شكره لاستقباله.. قال الربان عبارة أخرى

- يقول: مرحباً بكم على متن باخرتنا..

اللغة اليونانية صعبة جداً.. اصطحبنا الرجل الكبير لجناحنا في  
الباخرة.. الغرفة جميلة.. تحتوي لوحات زيتيه راقية.. فراشا خمريا..  
ستائر مخملية.. سجادا مفزولا برقي.. كل شيء هنا يحتوي لمسة فن..  
آوه.. هنالك مكتبة ضخمة تحتوي كتباً.. ذهبت مسرعة والتقطت كتاباً  
- الربآن: هذه الكتب لك يا ابنتي، وضعتها هنا في مكتبتك لعلمي أنك  
شاعرة !

- رولين: جميل.. شكراً لك حضرة الربآن

- الربآن: على الرحب والسعة.. أظن أنكما متعبان، سأترككما  
لترتاحا

كان سهيل الوسيط المترجم لي وللجميع.. كنت تائهة لا أعلم  
شيئاً.. هذه الألفاظ صعبة للغاية.. هي عميقة ولفظتها شائكة..  
كنت أتفحص موجودات الغرفة بإتقان.. نحاس لامع.. فولكلوريات  
راقية.. مفارش مطرزة.. خزفيات فسيفسائية.. خشب مصدّف..  
مشغولات محترفة الصنع.. الغرفة مجهزة بطابعي.. ستائر شيفون  
وقماش مخمل.. ألوان دافئة.. شموع.. مرايا.. وبسط مشغولة بفن..  
تلك الغرفة جزء من مقتنيات الجنة..

- حبيبي ألم تنتهي من النظر بعد؟

- لا حبيبي قليلاً



- هيا أقبلي لجانبى، أصابني الملل من النظر لك، أعتقد أنك أنثى  
لا تمل.

- قليلاً فقط وانتهى.

أخذني الإرهاق لسبات عميق.. بداخلي شوق يتوق للتعرف الى أرجاء  
الباخرة.. سهيل سيبقى معي شهرين دون عمل.. وسنقضي وقتاً مشوقاً  
في الباخرة.. أنتظر الصباح بشوق استلني الإرهاق للنفوس.. ورحت حاملة  
بمهد الإرهاق.. دوما يحملنا إرهاب الجسد لمهد أحلام مؤذٍ يرهق  
الروح، تجد نفسك متخبطاً في طيات أحلام مصنعة من ملح مؤجج..  
لكني في تلك الليلة ورغم الإرهاق لم يسدني سوى نوم مقعم بالسواد..  
عندما تحجب عنك الأحلام، ويتغشى فكرك سواد حالك العتمة؛ عندئذ  
فقط تستمتع بطعم النوم، وتستطيع استغلال جلّ وقته..

أسوأ صباح تفتح فيه عيناك هو صباح تستقبل فيه الشمس للتو؛ هي  
مؤذية في وقت الصباح لم أعتد ضوء الشمس، هو أسوأ ما يقظني..  
كيف سأتمكن من إكمال وقتي بالاستيقاظ على نور حبال الشمس باكراً..  
حرارة السطوع صباحاً تفريني، لكن الضوء يزعجني.. أجمل المشاهد  
التي تمتع روعي هي تلك العتمة لا أفضل الصباح، لو خيرت بكون  
مضيء وآخر معتم لاخترت المعتم.. يقال ان الليل مأوى العشاق.. لذا  
أعشقه، فأنا عاشقة منذ الطفولة.. أليس العشق جميلاً؟ هو لا يقتصر  
على الحب فقط، العشق يتجاوز كل شيء..

لذلك استيقظت بعشق شبه مفطور.. جلست صامتةً وبحنجرتي زخم  
بكاء، على شرفات عينيّ يتفتق الدمع.. مؤذٍ هو الحرمان.. أن تحرم  
من فراش اعتدته، ظلام عشقته، سقف وجدان غزل بصرك فيهما  
ستجزم أنك تخلقت منهما، وعائلة طالما ترعرعت بالقرب منها.. لكل  
هذه الأحداث وحشة.. مرهبة تلك الجلسات الدافئة الأحضان، تبدلت  
بأخرى دفئها بصري فقط.. السقف والجدران أصبحا من الخشب..  
وحتى العائلة أصبحت مكونة من شريك واحد فقط.. والظلام تبدل بضوء  
يستبيح النوم غصباً..

تحرمتنا الحياة من تأشيرة الإقامة.. وأنا بالوقت الراهن سحبت  
تأشيرة الإقامة الخاصة بي من ذلك المنزل لتصنع لي تأشيرة جديدة  
ببيلد آخر وإقامة مفتوحة بدعوى التشردد.. حيث لا منزل ولا فراش  
دائماً..

أن تخرج بشيء دائم أفضل من لاشيء.. فأنا أحمد الله أن حظيت  
بسهيل زوجاً..

- رولين.. لم الدموع من الصباح؟

بدأت بمسح دموعي التي انهمرت طوعاً للمشاعر..

- لاشيء حبيبي.. تذكرت فراشي

- فراشك؟

- نعم.. (مجرد ذكر الاسم يثير غريزة البكاء)

- ما بك يا أميرتي.. أتبكي أنثى بمكانتكِ على فراش؟

- أنت لا تعلم ماذا يعني لي؟

- (احتضنني ضاحكاً ثم قال) وماذا يعني لكِ، قولي؟

- هو جزء من تفاصيلي.. هو روحي.. ومن أفضل الأشياء المريحة

لي.. أنت تعلم أنّ غرفتي هي أفضل مكان ألجأ إليه..

- وأنا؟

- ما بك أنت؟

- أ لست ملجأً لكِ؟

- أنت ملجأً لكنك جديد لم أعتدك بعد..

- رولين، لا تثيري غضبي أنا أعرفكِ منذ سنتين، ألم تعتادي علي

بعد؟

- (قبلته بحبّ) لقد اعتدت ذلك ، ألا تريد أن تريني باخرتك الآن؟

- (بابتسامة) باخرتي أنا! أنا بأمركِ.. سأريكِ باخرتي.. هيا أرندي

ملا بسك لنخرج..

غالباً لا أستطيع التحكم بانفعالاتي البكائية، كثيراً ما أثير غضبه بتجاهله، لكني سرعان ما استدرِك فأبدل الموقف.. بدأنا نتجول في تلك الممرات التي تصل أبواب الغرف ببعضها بعضاً.

- هذا الجناح الأول يتكون من ثلاثة طوابق، وباب المدخل مرصع بخمس نجوم.. هذا الجناح الثاني مكون من أربعة طوابق وعلى باب المدخل أربع نجوم.. الجناح الثالث مكون من خمسة طوابق وعلى باب المدخل ثلاث نجوم.. النجوم تدل على درجة فخامة الجناح.. رولين سأريك المسرح هيا..

- أيجاد مسرح هنا؟

- بالطبع جميلتي.. مسرح جميل..

- أرني إياه..

- سنسير مسافة قليلة، ثم نصل..

صعدنا على متن المصعد الكهربائي، ساكن تلك الباخرة لا يعلم إطلاقاً أنه قاطن بالبحر فهنا يتوافر كل ما يتوافر ببناء على اليابسة.. عظمة الكون تتمثل في أي تفصيل من التفاصيل المطروحة هنا، سبحان الله علم الإنسان ما لم يعلم.. شيء عظيم أن يستطيع البشر صنع باخرة حديدية تطفو على سطح بحر، وكأنما الوهم تائه في عمق بحر من واقع.. يخال لي بكل تفصيل أعيشه الآن أني بوهمي غارقة، أو أني

مائلة بالقرن العشرين في عهد صناعة أضخم بواخر العالم (التايتك) وهذه الباخرة بمثابة تلك الباخرة بنظري، لم أر باخرة كهذه بحكم أننا لا نملك جزءاً وافياً من البحر، فنحن لا نمتلك سوى أصغر بحر في العالم، وأكثرها ملوحة .. البحر الميت، ولا نملك من تلك البحار الحية سوى جزء صغير من خليج البحر الأحمر..

كان المسرح مدهشاً نيلّي اللون مرصعاً بالذهبي.. يحتوي خشبة تتلألاً لمعاناً.. ذات بروز لم أره بأي فيلم عرض على التلفاز.. انتفضت من رهبة ما رأيت.. بصري أصبح يتنقل بسرعة مبهرة.. أريد التقاط أدق التفاصيل..

- واوووو  
مكتبة الرمحي أحمد ٩٥

- ماذا حصل حبيبتي؟

- جميل رائع، يا له من مسرح ساحر..

- أعجبك؟

- كثيراً

كان سهيل مأخوذاً بانبهاري، يبتسم بدفء لكل ما يصدر من انفعالاتي.. لم أكن أتمالك لساني .. كان الانبهار ضخماً؛ لدرجة يعجز صمتي عن كتمانها فتفيض روحي بالأبجدية، وينطق لساني حروفاً

مكنونة بروحه.. كأولئك المعرضين للعذاب الذين تضطر أرواحهم  
للصراخ بفزع، هم بكل الأوقات يجبرون على الصراخ صمتاً.. بوحاً..  
سراً.. جهراً.. وأنا الآن مجبرة على البوح بفيض علني..

قضينا ذلك اليوم متجولين في تلك الطوابق، عرفني على السوق  
ومتجر الطعام.. وبعض المطاعم التي لم يسبق لي أن رايتها.. النادي  
الرياضي.. وغرفة العلاج الطبيعي والجاكوزي.. السينما.. والعديد  
العديد من المرافق..

صباحاً استيقظت مبكراً من سطوع الشمس القوي، أنا لست معتادة  
على انبعاث الضوء في أثناء نومي، أنام بالعمامة دوماً.. ارتديت فستاني  
الوردي وجاكيتاً قصيراً لونه بيج.. غادرت الغرفة طمعاً بالتعرف الى  
أماكن جديدة.. أعشق المغامرات، أن أكتشف، أجرب، أبحث، لذا  
خرجت دون صحبة زوجي..

بينما كنت شاردة البصر في روعة التصاميم والنقوش، ومنظر  
البحر والشاطئ البعيد البعيد، شاطئ أثينا شبه مختفٍ عن النظر،  
نحن نقيم بباخرة قريبة نوعاً ما من الشاطئ نحتاج للإبحار بالقرب  
الصغير سبع أو ثماني ساعات لنصل للباخرة العظيمة.. وبالقارب  
السريع ساعتين أو ثلاث..

مشهد شاطئ أثينا شبيه جداً بمشهد إيلات (ام الرشراش) المرسمة  
على شاطئ البحر الأحمر.. أعشق منظر تلك المدينة التي احتلها العدو

الصهيوني عام ١٩٤٨، اعشق منظرها وهو يلوح بعيداً، لا أعلم سرّ  
الدفء الذي يعتريني.. أرنو ببصري نحوها، ينتابني شعور بالدفء،  
أرى فيها إحساس الأمومة رغم الاحتلال الصهيوني.. رابط عجيب في  
طيات مشاعرنا يجذبنا لفلسطين..

كنت غارقة في تلك المشاعر، التي كانت تفيض بي كما يفيض الموج  
حول القوارب، وإذا بصوت يوناني يحدثني.. نظرت بانبهار فأنا  
لا أتحدث اليونانية أبداً، ولا أجيد أية كلمة.. أنثى حسناء ذات شعر  
أشقر، وعينان خضراوان، تتحدث بابتسامة وصوت عال..

موقف كهذا يصعب علي التعامل معه، فاخترت الحل الأسلم، وهو  
التحدث بالإنجليزية.. خاطبتها بالإنجليزية قائلة:

- أنا لا أتقن اليونانية، هل تتكلمين الإنجليزية؟

- بالطبع، كيف حالك سيدتي؟

- بخير الحمد لله.. وأنتِ؟

- بخير..

- أنا أدعى (إستيلا)..

- (إستيلا) جميل هو اسمك.. تشرفت بكِ

- وأنتِ؟

- رولين

- آه رولين اسم جميل.. هل أنتِ ألمانية؟

- لا، عربية.. لكن اسمي ألماني

- هل تعلمين ماذا يعني رولين؟

- نعم، الشخص الحرّ..

- و(إستيلا) تعني النجمة..

- وأنتِ ساطعة الجمال كما النجمة..

- وكزوجك أيضاً..

- زوجي! ما به؟

- هل قال لكِ إنني حبيبته السابقة؟

- أنتِ؟

- نعم، ودام عشقنا سنتين أيضاً..

صفتني بمنتصف وجهي، لم أتلق صدمة كهذه طوال عمري، أيعقل أن يكون سهيل خائناً؟ لا أعتقد.. أن نجزم الحكم على أمر كهذا شيء مستحيل. هل سيكتب علي الفشل هذه المرة؟ رياه لا أحتمل هذه البدائل، إما أن أكون الأولى، أو لا أكون..



غادرت موضعي منكسرة الخاطر، واتجهت لفرقتي بصمت.. لن أستطيع البوح له بما سمعت، سأبقى صامتة لأمنحه فرصة.. ألت أنتى، وكما يقال الإناث هن الوحيدات اللواتي يجب عليهن التضحية..

\*\*\*

أمضينا نحو ثلاثة شهور، ونحن طوافون في بيوت العشق نمارس نسك الحب بتفاصيلها، وفكري مازال معلقاً بتلك النجمة الجميلة، أحقا زوجي يحبها؟ لكني لم ألحظ أي تصرف غير مستساغ صادر من زوجي.. اليوم بدأت أشعر بالملل، قررت جادة ان أتعلم اليونانية؛ لأشغل نفسي بالقراءة.. لم أرغب طوال حياتي بتعلم لغة صعبة كهذه بقدر رغبتى بقراءة الأدب اليوناني..

يقال إن أعظم السطور التي خطتها أبجديات الكون خلاف العربية؛ هي اليونانية.. فوضى الأحاديث الروحية تفيض بي، فبداخل كل منا زخم فكري يحاكي ما بداخلنا، يجبرنا على الانحناء صمتاً في عظمة الإبداع.. وهذا ما حصل؛ كنت أتحسس السطر رويداً رويداً، و أفيض بالحروف رسماً ولحناً.. أنه أدب مختلف وحرف مرسوم بصورة فنية، وكأنما الحروف تلك هي الوحيدة التي يحق لها اتباع العربية في الفخامة والجمال..

استطعت أن أتعلم عدداً كبيراً من العبارات والجمل، التي تصلح للاستخدام في الحياة.. والآن انا متمكنة من تهجئة بعض الكلمات

والعبارات.. بدأت المهمة تصعب شيء فشيئاً.. في موسم الحصاد تحملنا الفرحة للذهاب لقلب الكروم، وتتعلق دماؤنا بحبّ التراب، ولا نعلم أننا كلما توسعنا في الزحف لقلب الجمال كان الطريق وعراً أكثر، وشائكاً أكثر فأكثر.. وها هو جسدي بدأ يخزني من ألم الزحف بكروم تلك الأبجدية..

لغة عمق آخر يستل بعض النبض من عظمته كقراءة قصة حبّ لاحدود له.. هي الأصوات الوحيدة التي تهوي بالأرواح مراقصة.. إنه يختم على بعض النبض ويسكره؛ تماما كما يسكر العشق الأجساد لحدود الهديان، ليتمكن من حكم الأرواح وإذعانها..

\*\*\*

مضى على مكوثي في تلك الباخرة أربعة شهور لم تطأ قدماي اليابسة، اليوم سننفضل بقارب صغير عن تلك الباخرة الساكنة بمنتصف المحيط.. الباخرة تجول بحدود دون أن ترسو على شاطئ.. سنمكث بالبر شهرين، الإجازة ستبدأ اليوم.. قرر سهيل أن لا يأخذني لأثينا هذه المرة.. سنذهب لزيارة مدينة (بيرايوس)، أبحرنا متجهين لتلك المدينة، وصلنا فجر اليوم التالي، كنت مأخوذة بمشهد القوارب المتصافات على شاطئ الميناء، كانت جميلة... لأول مرة أرى ميناء عن قرب..

ميناء بيرايوس الأبيض.. استطاعت اليونان أن تتسني هموم غربتي، إذ أتاحت لي تلك المقتطفات النابضة بالدم شعور التوطن..

ذهبنا للفندق.. زرت فنادق متعددة منذ زواجي.. لا أعلم أيّ فندق آخر  
ينتظرني..

محظوظة أنا، لم أحظّ بشهر عسل، بل حظيت بسنة عسل وبشمعه  
أيضاً.. فندق شبيه بالقلعة هذا ما تمنيت؛ إلى أن تجاوزت المدخل  
صدمت بنوع المقتنيات، لم أتوقع هذا.. كانت الديكورات عصرية،  
والأثاث عصرياً لحدود المخالفة تماماً لما يخيل لك مظهره من طراز  
قديم..

زجاج منحني، و ألوان صارخة، وأثاث كلاسيكي.. بلاستيك،  
زجاج ومخدات ملونة كل ما يدعى (بالمودرن).. لون حديث  
لا يروق لفكري فأنا محبة للتراث القديم ولايستهويني (المودرن)..  
ارتحنا من مشاق الإبحار، فقال لي:

- رولين حبيبتني استيقظي

- ها.. نعم

- هيا أريد أنّ الحق الصباح

- أنت دائما تريد اللحاق بكل شيء

- سنذهب برحلة

- إلى أين؟

- إذا قلت لك ستبرد المفاجأة

- تبردا أرجوك اتركني أنام قليلاً

- لا.. هيا استيقظي

استطاع التغلب على نومي مرة أخرى.. دائماً ما يزعجني في أوقات راحتي.. يزف مفاجآته لي بأوقات الصباح، قلق بشرائط حمر وصفر وخضر، هو كل صباح يفاجئني لينتزع من عيني النوم.. ارتديت ملابسي وخرجنا..

وصلنا الى محطة القطارات الأرضية (بييرايوس) التي تضم شبكة قطارات تصلها بأثينا.. قال لي إنه سيصطحبني للقلعة..

القلعة جميلة ماثلة وسط الماء.. تغريني تلك المشاهد القديمة.. تجعلك تصطنع حدثاً مدفوناً منذ القدم، كما لو انه ماثلا للعيان وللفكر معا.. أذكر أنني استمتعت بالسياحة في تلك المدينة، التي تتم عن ثقافة شاملة.. طبيعتها تحمل رقياً ثقافياً، الصخور والموانئ وحتى الشيطان..

انتهت أجمل اوقات إجازتنا، وعدنا للباخرة..

\*\*\*

أنا الآن مثقفة بنطاق يسعدني، فقد تمكنت من إنجاز ما يتطلب مني  
لتعلم أولويات اللغة اليونانية، والغوص في بعض التفاصيل.. أمضينا  
الآن ستة شهوراً وأسبوعاً من زواجنا..

نصف سنة كأنها حلم..

في الثالث والعشرين من أغسطس، يوم ميلادي كنت جالسة  
أحتسي فنجان قهوة.. أحبها بمرار لاذع.. كان الصباح جميلاً،  
والشمس ساطعة تكويني بحرّها؛ عندما جاءني (اليخاندوا) يطرق  
الباب بعجلة..

- (قال باليونانية): رولين سهيل أخذ ضربة شمس، تعالي معي..

- (رددت بلهفة) أحصل له شيء، أرجوك قل لي؟

- لا، يارولين مجرد إغماء فقط..

عندما نزلنا من الطابق الثاني عن مستوى السطح، تفاجأت بوجود  
الجميع.. جميع الطاقم.. الرّبّان والبحارة وحشد من المقيمين على  
ظهر الباخرة.. بصري عائم في حضرة أجسادهم أبحث عن سهيل..  
زوجي الآن بحالة إغماء.. هببت قائلة:

- أين سهيل.. أرجوك قل لي؟

بدأ الجميع بالغناء..

We sing happy birthday to you

And may all your dreams come true

We sing happy birthday to you

And may all your dreams come true

\*\*\*

Oh ho ho ho ho

This is your birthday song

Oh ho ho ho ho

Celebration all night long

Oh ho ho ho ho

May all your dreams come true

We sing all together: happy birthday to you

تقدم من وسط الحضور، وعانقني.. كانت تلك اللحظة من أجمل لحظات عمري.. أن يبتسم لك حشد ليسوا من ضمن عائلتك، أناس أحبوك في فترة قصيرة من الوقت أشخاص طيبون، وآخرون لا تعلم تفاصيل وجوههم، احتشدوا مع المحتشدين؛ لتهنئة أنثى ترتدي روب

الصباح مستيقظة لتوها من النوم، لم ترتشف من قهوتها سوى لثمة واحدة، أكسبتها نشاطاً يعم الكون.. أجمل ما في الوجود أن تجد حضاناً يضم نابضك الصغير بكل شغف.. وكأنما القلب مُلثم الوجه من جمال نبضاته، لم يتح له رؤيته أو اشتمام شذرات عطره.. كان سهيل قطعة صباحية جميلة شبيهة بجوهرة أو ماسة.. كنت أوقن بأن عشقنا سيبقى خالداً مدى العمر..

في ذاك اليوم أهداني طوقاً جميلاً، لم أخلعه من جيدي حتى هذا الوقت.. كان ذهبياً لامعاً (أنا أعشق الذهب) فيه حروف عربية مكحلة باسمينا (رولين و سهيل).. يعلم جيداً مدى حبي للعربية رغم إتقاني الإنجليزية، وقربي من تمكن اليونانية.. كان العقد أجمل تعبير رمزي ألصقه في مجلد ذكرياتنا، أن يشييك محراب أنوثتي باسمينا معاً؛ هذا دليل على اعتزازه بي، وأمنيته بالبقاء لجانبي..

وبينما كنت منشغلة بالتبسم للجميع، وشكرهم على وقوفهم لجانبي رمقت (إستيلا) بحشد الحضور، اقتربت مني، وهمست لي بالانجليزية:

- كل عام وأنت بخير يا عربية، يقال إن نساء العرب لا يهمن إن كان زوجها على علاقة بأخرى، أو أن تشاظرها أخرى حبها..

- أتدركين أنك وقحة لحدود تتجاوز الواقع..

- انظري لنفسك يا عربية، فأنتِ مخدوعة برجل يغامر كل ليلة مع  
أنثى جديدة..

كانت تلك الكلمات هي الأولى التي تمكنت من غرس الخنجر  
في منتصف نابضي، صمت لساني، وملاميحي انفجرت صراخاً..  
كانت عيناى تجلجلان الغضب باحمرار، ووجنتاي تصيحان في  
ملامحهما لحدود أخرستها.. استطعت أن أجمع زجاج روحي  
المتكسر، وأحتفظ به في كيس صغير لجانبي.. ذهبت لجانب سهيل،  
وأمسكت يده وصمت.. هو لم يلحظ حزني، فقد كان منشغلاً  
بأصدقائه..

انتهت الحفلة وصعدنا للغرفة، كنت على وشك الانهيار، فضميري  
ونفسي لم تهدأن أبداً طوال الوقت. كان الحديث يصفعني من  
الداخل، يؤنبني ويجهر في الصراخ.. قررت أن أستحم أولاً لأهدأ،  
لا أريد اختلاق مشاكل تؤذيني الآن، فأنا على وشك الانهيار من تلك  
الكلمات، والأجدر بأنثى مثقفة مثلي أن تتصرف بوعي وحكمة؛ لذلك  
صمت..

أمضيت قرابة الساعة تحت الماء، الماء يريح الأعصاب.. خرجت  
مرتاحة جداً، واذ بسهيل نائماً في فراشه.. ها أنا قد انهزمت هذه  
المرة، لن أستطيع التحدث إليه أبداً.. انتظرت أن يستيقظ لوقت طويل  
لكن لا فائدة، فهو لا يستطيع تحريك ساكنا، أظنه متعباً..



استلقيت بجانبه ورحت أتقلب حتى الصباح، النوم مطرود من روحي الآن، لن أتمكن من أن أعيش الموت الموضعي (النوم) الذي نعيشه كل ليلة.. صباحا أستيقظ بابتسامة كالعادة، أنحنى لجانبي وقبلني..

- صباح الخير يا حلوتي..

- صباح الخير

- مابك صامته، لاتتحدثين كالعادة.. (اردف قائلا) ماذا حصل، ولم أنتِ حزينة؟

لا أعلم ماذا أقول لكن يجب علي أن أناقشه بالموضوع..

- لا، لاشيء.. لا داعي للقلق سأحدثك بموضوع أظن أنه مهم بالنسبة لي ولك، لكن بشرط أن تدعوني للفطور..

- أهذا طلب... بأمرِك سأدعوكِ، موضوعك جدي، أم أنك تمازحينني لادعوكِ؟

- أنا زوجتك، وواجبك تلبية طلبي إن كان هنالك داعٍ، أو لم يكن.

- بالطبع حبيبتي، لكن ملامحك تظهر أنك حزينة من أمر ما.

- سهيل أرتد ثيابك، وبعدها ننهي فطورنا سنتحدث.

- حاضر حبيبتي

نزلت برفقته للمطعم، لأول مرة أدخل مكاناً جميلاً كهذا، كان طراز المكان جميلاً، فيه صدف وحجارة رمال وقوارب صغيرة.. جلسنا على مقعد ابيض منجد... جلس بجانبى.. لأول مرة يجلس بجانبى في مطعم، احاطني بذراعيه، كنت قريبة جداً من نبضه.. طلب لنا الفطور، كان أصنافاً كثيرة وجميلة، بدأت أحب أطعمة اليونان.. لم أستطع أن أتذوق شيئاً للأسف، فعندما تكون إحدانا مفطورة الروح منزعة لا تقوى حتى على الابتسامة.. وضعت شوكتي جانبا، والتفتُ إليه متلقفة فنجان الشاي الذي تلحفه بكفيه..

- سهيل هل من الممكن أن تنظر إلي؟

- ماذا هنالك حبيبتي، أنتِ منزعة أعلم من ملامحك، لكني لا أستطيع تحليل ما بداخلك لوحدي ان لم تتحدثي!

- أنا منزعة جداً.. أرجوك أجب عن أسئلتى بصدق؟

- بالطبع، هل كذبت من قبل؟

- لا، ولهذا الأمر أريد مصارحتك.

- تفضلي حبيبتي

- (إستيلا)!

- (إستيلا) هل تعرفينها؟

- عرفتها، هل هي حبيبتك؟

- لا، أبداً من الذي قال لك؟

- هي قالت لي! مكتبة الرحى أحمد ٩٥

- وأنتِ تريدين تصديق كلامي، أم كلامها؟

- بالطبع أريد معرفة الأمر منك، لو لم أرد الاستماع إليك لما سألتك!

أنا سأبسطها لأكبر قدر ممكن.. هل سبق لك أن رأيتني أتصرف  
بأمور من وراء ظهرك!

- لا، أبداً

- هل سبق لك أن سمعتني، أو رأيتني أحادث نساء أخريات؟

- لا..

- هل غبت عنك لوقت طويل خارج وقت عملي، هل سبق أن أطلت

السهر، وتركتك وحيدة؟

- لا، أبداً

- عظيم، أيوجد رجل يعشق اثنتين في آن واحد، وفي المكان ذاته؟

- لا..

- حسنا، والآن ماذا استتجتِ.. هل أحبها يا رولين؟

- ولم قالت لي إنك حبيبها؟

- هي كانت تحبني، وأنا من المستحيل أن أرتبط بأنثى مثلها..

- لم، ماذا ينقصها.. هي جميلة جداً

- حبيبتي ليست حكاية جمال، هي أنثى لم تستطع صيانة أنوثتها أولاً، وثانياً هل يجوز أن أتزوج أنثى دون ديانة، إستيلا لا تعترف بالاديان، وهي من الغرب، وليست عربية، واستحالة أن أرتبط بأنثى غير عربية، وأخيراً هي لا تجذبني أبداً.. أنا أحبك انتِ، ألا تكفي هذه الأسباب.

- سهيل أحبك، و أعلم أنك صادق، لكن أنت تعلم أنني أنثى وهي تؤذيني بأحاديثها لدرجة تجعلني لا أستطيع النوم مساءً..

- كم مرة تكلمت معكِ من قبل؟

- مرتين

- متى؟

- منذ زمن طويلة كانت المرة الأولى، والبارحة في الحفلة كانت المرة الثانية..

- لم تقولي لي من قبل؟

- لا أريد إزعاجك.

- تزعجيني! ألم تلحظي أنك لم تزعجي سوى نفسك.. اتركي لي أمر الحديث معها، ولن أسمح لأمثالها أن يؤذيك.. حياتي معك من أهم الأولويات أرجوك خذي حديثي بعين الاعتبار.. وأعدك أنها لن تقترب منك مرة أخرى.. هيا، أكملني فطورك حبيبتي.

\*\*\*

مضى وقت طويل على وجودنا في الباخرة، الآن بدأت أشتاق لرائحة الأطفال.. النساء يتدرجن بالحاجات أم وأب، ثم أخ وأخت، فحبيب وزوج، ثم طفل.. اجتزت مراحل جميعاً، وحاجتي للطفل هي من أعظم حاجاتي في الوقت الراهن.. الطفل قصة حلم، وقصيدة أمل، وخاطرة عذوبة..

- تتشاقى أمنياتي..

حلم، فحب..

أمنية، فعشق..

خيال، ففرام..

كطفل صغير تشابكت خطاه

تجنح أفكاري كفيوم، تدمي مدينتي بالمطر..

تلامس أنفاسي معانقة..

تنظر لآمالي، وكأنما ملكت حلماً من ماء..

في متسع خيالاتي

قوارب، وبحار،

أحواض، وأمطار..

تتشابك سهام صنارتي الخشبية؛ لتلتقط واقعاً كالبرق

مزهراً كربيع الجمر..

وفي لحظة الانفعال

تعود أحلامي لتلك الأنية الحقيقية..

مضى على تعلمي اليونانية ثلاثة شهور، أتقنت فيها الكثير الكثير كالقراءة والكتابة والحديث بالإغريقية الحديثة.. واليوم أنهيت قراءة الرواية الأولى التي أعجبت بغلافها (رواية زوربا للروائي الشهير كازانتزاكيس)، لقد شاهدت على التلفاز فيلماً مقتبساً من تلك الرواية.. لأول مرة تأخذ ٣٢٠ صفحة من وقتي شهراً من القراءة المتواصلة.. كنت دائماً أنجز قراءة الكتب بوقت قصير يومين، أو ثلاثة

أيام.. لكني رغم الأخطاء القرائية، والمعاني المبهمة بالنسبة لي تمكنت من إنجازها..

ثم قراءة الملحمة الشعرية (الإلياذة للشاعر هوميروس) معظم أعمال الأدباء اليونانيين أنتجت من قبل أكبر الشركات المنتجة وحولت لأفلام ومسلسلات يا له من أدب عظيم.. بدأت مقاييس القراءة تتقدم بالنسبة لي، وأصبحت أنجز القراءة في غضون أسبوعين أو ثلاثة أسابيع.. وأعتقد أنني سأتمكن من إنجازها بتلك المدة التي أنجز فيها أي رواية عربية..

سهيل لم يأت منذ زمن لرؤيتي.. ثلاثة أيام .. اشتقت له.. امسكت هاتفي، واتصلت..

- مرحبا.

- أهلا حبيبتي

- سهيل، اشتقت لك تعال الليلة ولو نصف ساعة فقط

- حبيبتي غدا ساكون بجاورك يوما كاملا، أنت تعلمين أنني بغرفة

المراقبة، ولا أستطيع أن اتركها

- لكني!

- حبيبتي انتظري ليوم غد.

استلقيت على الفراش حزينة فاتحة يدي، لكن صمت المساء عم ضجيج روجي وفي اثناء صمتي سمعت صوت صراخ.. من أين أتى الصوت، اووه من سماعه الهاتف.. التقطتها ووضعتها على اذني..

- اسمع يا سهيل، أعلم جيداً بما تفكر، وتحركاتك مراقبة بالنسبة لي، تلاعبك لن يفيد فانت تعلم الآن أن كرتك قد أصبح مهشماً بسبب نيرانك الطائشة.. وقريباً ستنتهي أعدك!

- اصمت، ويكفيك هراء، من انت لتحدثيني بهذه الفضاضة، أنا وأنت نحمل رتبة واحدة في المكان ذاته.

أغلقت السماعه، ولم أدرك من ذاك الحديث شيئاً، ترى عن ماذا كانا يتحدثان، وكيف سينتهي سهيل.. أظنها مشاكل تخص العمل لا شأن لي بها..

اليوم انفصلنا عن الباخرة، انتهت مدة إقامتي في البحر.. هو يسعى للاستقرار بالمدينة وأنا أيضاً أريد أن أستقل بعمل رسمي أو مهنة؛ بإصرار مني سنقيم على اليابسة.. سنقيم في شقة سأختارها معه لتكون مأوى لنا معاً.. سأعمل بالتصميم، أو التأليف سيزورني سهيل كما خطط لي القدر، وسأتمكن من البقاء وحيدة بعدما ترعرعت في كنف عائلتي.. سأحكم بالنوم على وسادة مبللة لمدة شهرين متتاليين، وجافة لمدة شهرين آخرين..



رحلت برفاقته مودعة غرفتي التي اعتدت.. لوحاتي الزيتية .. فراشي الذي أمضينا فيه عاماً كاملاً نتوسد فيه الحبّ معاً.. يعانقنا الغرام ليلاً، الآن سنحكم بالفراق سننشغل لمدة شهرين بالتحضير لانفصال كالصدع، أختاره القدر لنا؛ فأغلب خيارات القدر صدعيه لا مجال لاستئنافها..

وصلنا لمدينة أثينا.. تسود أنظاري أتربة من غبار بداخلي ركام، وخطام خلفته لي الحياة.. بالأمس كانت أمييتي أن تهديني الحياة طفلاً، ها أنا اليوم عدت بخفي حنين.. أجترّ الخيبات خلفي؛ حبيبي سيرحل بعد مضي ستين يوماً.. وزمن طرحني من رحم السعادة وألقى لي فتات الفرح.. كفاوية لكسرات العتمة رماني بذاك الخبز والطحين القاتم.. ألقاني بسراب الوحدة.. سأمضي مقبلة فم الألم؛ لحاجتي للحبّ..

الفرق بين قلب الرجل، وقلب المرأة يتجسد بنقاط قليلة.. قلب الرجل كبير، ويتسع الكثير، بينما قلب المرأة صغير، ولا يتسع للكثير.. هو يحلم سريعاً، ولا يحقد كثيراً؛ لأن مرتاديه كثر، و المواقف المتعددة تجبره على النسيان والتغافل.. أما هي فليس لديها متسع من الحلم والسماح، فهي ليست معتادة على المعارف المتشابكة؛ لذلك خبراتها قليلة، فتتألم سريعاً، وتبكي سريعاً، وتجبر على مسامحة حبها الوحيد..

الرجال هم الوحيدون الذين يجبرون النساء على القسوة والخوف.. هم من يمتلكون حق الدخول لتلك الحجرات الصغيرة، التي يمتلكون

حقّ إيلاهما وإسعادها.. وحدهنّ النساء من يتجرعن الألم مقارنة بما  
يحل بقلوب الرجال..

ردة الفعل المنعكسة أكبر بكثير من المقر، فحجم الألم أضخم ألف  
مرة من حيث الأثر.. لم يتساءل الجميع، عن سبب عدم احتمال  
النساء للألم؟.. هذا هو سرّ الألم.. السرّ يتجسد بحجم المكان، ومدى  
العواطف المخزونة، حجم المشاعر التي فتحت أبوابها، ولم يشأ لها  
الزمن الإغلاق.. وهذا حتما ما يدعى "بازدواجية الزمن"

كنت شاردة الذهن تماما.. تُلطم الأمواج جسدي، ولا تلاطم جسد  
القارب.. عندما بادرنى الواقع بكلمات منه، وشرع قائلاً..

- رولين.. ما بك حبيبتي؟

(صمت يسودني) لا أعلم ماذا أقول.. فأجبت

- أفكر..

- بماذا تفكرين؟

- بالحياة

- أرجوكِ كفي، أنا أيضا مفطور الروح لا تؤلميني.

- سلامة روحك

أذكر أنه حضنتني بصمت.. شعرت بأنهمار الدمع بعد طول العناق..  
انهمرت دمعة من مقلتيه التقت بنبضي.. انسابت منسكبة على عنقي،  
وزحفت لنبضي برفق.. هي أقوى صفة ألتقاها من القدر.. تأملت على  
فراق أختي، لكنّ ألمي بالابتعاد عنه فاق تلك الجراح..

وصلنا للمدينة.. نزلنا في فندق.. داهمنا النوم؛ ليُقبل الألم على  
أعماقتنا، ونفغو بسلام.. يقال إنّ النوم هو الحل الوحيد لتكفين الجراح،  
والأوجاع الروحية..

استيقظنا صباحا كانت الساعة الحادية عشرة، ذهبنا لنتجول في  
الأحياء؛ علنا نختار منطقة للسكن، ونجد منزلا نرعى به سعادتنا  
وحبنا..

(ساحل مياولي) الحي الذي سافقتنا الحياة إليه بجانب الشاطئ؛  
قريب جداً من البحر.. فيه أبراج سكنية عالية جداً؛ لا أفضل الحياة  
في تلك المدن المكتظة المباني، لكن تلك المناطق هي الأكثر أمناً، وأنا  
وحيدة هنا..

- رولين..

- نعم حبيبي

- سأخذ أجازة لشهرين آخرين..

- أحقاً ما تقول؟

- بالطبع.. كيف سأتركك وحيدة هنا!!

- أحبك يا أغلى ما أملك..

كان خبر بقائه إلى جانبي من أجمل الأخبار التي سمعتها.. لن أبقى وحيدة منذ بداية المشوار، رسائل القدر تنهال علي أظن أن السعادة حققت نجاحاً باجتياز العقبات وسلوك الطريق الصائب.. القدر غالباً ما يسقط النجوم نجمة تلو أخرى من سماء حظوظنا.. لأول مرة تعلق لي نجمة في تلك السماء..

هي المفاجآت دوماً ما تسهم بشفاء بعض جروحنا، وإحلال البسمات عوضاً عن الدمعات.. غفوت بالدمع وبعض الألم، واستيقظت محملة بالسعادة، وجواري القدر تتبعني تسحب الحظ خلفها مغلماً بالحرير.. اصطحبني للعشاء.. في طريقنا للشاطئ طلبت منه أن نذهب مشياً، أريد التعرف إلى زقاق مدينتي الجديدة.. هي ليست مدينتي، مدينتي هي عمان.. بحكم السكن ستصبح مدينتي الجديدة.. كنت أتجول في الدروب، وبصري معلق بتفاصيل المقتنيات، كلما نظرت لقطعة أثاث من المعروضات، كنت أبني منزلي كقصر شامخ في العلو..

منزلي جميل؛ من مرافقه مطبخ كبير.. غرفة استقبال للضيوف.. غرفة للمعيشة ضخمة، وتطل على شرفة تصور البحر.. من الشرفة يمكنك

الدخول لغرفتي.. غرفتي الخاصة سأزينها بمدوناتي، وبعض كتاباتي  
المغزولة من حروف نحاسية و الجدران حمراء مخملية، الأرضية خشبية  
مائلة للسمار.. سقف شامخ وثرثرا كريستال.. سأقتني أريكة مريحة وطاولة  
بمقعدين.. كرامفوناً.. مرسماً خشبياً.. مكتبة ضخمة سأزينها ببعض  
المؤلفات الشعرية.. حاسوبي المحمول.. مقعدين مذهبين مزخرفين خلفهما  
حبال ذهبية منسوجة بالكريستال.. أشتاق لأراه بالصورة التي أطمح..

\*\*\*

وها أنا أحسنت انتقاء أحلامي، لقد أنهينا تجهيز منزلنا.. غرفتي  
الخاصة كما تمنيت تماماً.. انتقيت ألوانها بتمعن فكري أنيق.. حققت  
حلمي، وكأنما صممت صوراً بصرية كالمخططات التي أتقن تصميمها  
على الواقع..

كم تمنيت لو كانت أمي بجانب لي لترى منزلي، بالواقع كنت أريها كل  
مقتنياتي على شاشة الحاسوب.. المغتربون بفضل التقدم والتكنولوجيا  
أصبحوا قريبين جداً من أحبائهم.. كنت على تلك الكاميرا، مصطفىة  
ومقتنياتي أنتظر موافقتها على مكالمتي المصورة..

وافقت الآن..

- أمي أنت هنا؟

- أهلا بحبيبتي..

- كيف حالك، كم اشتقت لك يا حلوتي؟

- وأنا اشتقت إليك جداً..

- سأريك ما اشتراه لي سهيل..

سهيل كان بجانبني لكنه لم يظهر بالشاشة.. لئلا يخرج والدتي..  
كان يتصفح الصحف اليونانية، متطلعاً على الأخبار الرئيسية.. لا أعلم  
ما الذي يهمله بأمر تلك الدولة، فهي لا تخصصنا لنتدخل في تفاصيل  
سياستها.. على الأغلب، يرى المغتربون بعض العناوين الرئيسية،  
ويتطلعون على ما يهمهم فقط.. كان ينتقي أبواب الأخبار، والرياضة  
من الجريدة اليومية ويعطيني باب الترفيه والأزياء الفن والاقتصاد..  
حصته دائماً قليلة بالمقارنة معي..

- كيف حال زوج حبيبتي.. اشتقنا له، لم أكله منذ وقت طويل..

- بخير أمي، ها هو بجانبني..

- سهيل: كيف حالك أمي.. اشتقنا لك..

- أمي: بخير حبيبي هيا قل لي كيف حالك يا أمي، وكيف رولين معك

؟ إذا ضايقتك فقط قل لي..

- سهيل: رولين أجمل إناث الكون.. أيعقل أن تضايقني!

- أمي: اسعد الله قلبيكما.. وجعل أيامكما فرحاً وسعادة.

أكملنا الحديث.. كنت سعيدة، أجمل ما في حياة أنثى أن يبادل زوجها عائلتها المحبة ذاتها وأكثر.. كنت أتمس الفرحة بنظرات سهيل، كانت محبته لعائلتي قريبة جداً من محبته لعائلته.. أنا أيضاً كنت أحداث والدته كثيراً، كنت أبدأ حديثي معها قبل أن يبدأ هو.. أبادلها المحبة، لكني لا أصفها بأمي، لقناعتي أن أُمي لاتعوض بنساء الكون جميعاً..

مضى على سكننا شهر، وأسبوع واحد قضيناها بتجهيز واختيار مقتنيات.. أظن أن وضع منزلنا المبدئي جميل.. هو بحاجة لمقتنيات متعددة.. لكن منزلاً جديداً لا يكتمل بغضون شهر واحد، وأعتقد أننا استطعنا تجهيز منزلنا بصورة عجيبة، فمن يستطيع تجهيز منزل في أسبوع واحد كما فعلنا؟! في الدول المتقدمة جميع الأحداث تتواتر بسرعة البرق.. هم يختلفون عنا تماماً، وفي الدول النامية جميع الأحداث تحصل في دقائق ساعة بطيئة مرهقة البطء.. نعيش الحياة، وكأننا ننتظر ورقة امتحان والعقارب تأبى استراق الوقت والحراك.. هنا كل شيء يمضي كالبرق.. العقارب تدق بسرعة، وترقص بسرعة، وتطرب بسرعة، وتشمل بسرعة.. لذلك فإن الوقت له معنى جميل يتمثل بالسرعة..

كان زوجي منهمكاً بتدقيق الجرائد كأنه مدقق لغوي، لا أعلم ماذا يستقي من تلك الحروف اللاتينية لكنه سعيد بلمسها.. أغار من لمسه للورق.. معظم النساء يعشن حالة الغيرة المميته لحد الجنون..

إنه يلمس الأوراق بجاذبية مغرية.. مع أنني شاعرة لم يسبق لي أن تحسست السطور، وتلحفت أصابعي الورق بهذه الصورة، لم يسبق لي أن عشت في تلك المرحلة العشقية.. هو مختلف ينساب غرقاً بالعشق الورقي..

الورق يعني لي الكثير، والسياسة جزء من اختصاصاته الفكرية.. لا ينجح أديب أو كاتب إلا إذا كان على قدر من العلم والفكر، وسعة الاطلاع.. وليستطيع الحرف أن يبوح وحده، فيجب أن يؤهل علمياً وتقنياً..

كنا نتحاور في القضايا السياسية، جدالنا كان متوافقاً الى حد قريب.. غالباً ما تتطابق افكارنا معاً.. هو يبدأ بسرد الأخبار، وأنا أستمع بفخر.. هذه الموضوعات تجذبني..

- يقول حسين عبد ربه: "حكومة أولاد الأصول باعت أصول البلد.."  
هذه المقولة دوما ما تتواتر علي شفاهي دائماً.. أتعلمين يارولين أن معظم الحكومات لا تكثرث بالآثار التي من الممكن أن تحل بشعوبهم، دون علم لأولئك المساكين؟

- أعلم.. وغالباً ما يحكم معظم بمصائر مجهولة.. الشعوب لا تكثرث لما رسم لها بخطط التأسيس.. دوماً ما تسير مصائرنا وفق نسق، لو تمعناه بفكر مركز؛ لأدركنا ماذا سيحل بنا..



- يا صغيرتي.. الحياة عبارة عن مخططات، ونحن الشعوب نرسم تلك المخططات.. وكما يقول لك فرانسيس بيكون: "إن مجتمعا من الخراف يخلق دائما حكاما من الذئاب"

- كلام جميل..

الآراء السياسية المجتمعة جميلة.. تتيح لك مجالاً فكرياً واسعاً، وتجعلك مبدعاً باختيار التراكيب والعبارات.. وبالأخص عندما يتوافق النقاش والشخصيات.. كان تحاورني مع رجل ذي فكر وقدرة على تمالك أعصابه.. بعض الأشخاص المتعصبين، يجعلونك لا تطيق الخوض بأي نقاش، أو حتى الاستماع لأيّة معلومة..

مضى على وجود سهيل ثلاثة شهور وثلاثة وعشرون يوماً، ثم سيعود للبحر.. ذات أيار اصطحبتني لنخرج بنزهة في أثينا، كانت السعادة تخيم على وجهي، سنلهو قليلاً علني أنسى فكرة عودته للبحر.. كنت أتمنى لو أنه لا يعود للباخرة أبداً.. في طريقنا بسيارته الجديدة التي ستصبح لي بعد عودته للبحر، أخذني لطريق المطار، مطار أثينا، المطار لا يبعد عن حيننا كثيراً..

- سهيل، لم اصطحبتني لطريق المطار؟

- هنالك مطعم جميل مرفق بالمطار..

- ألا يوجد سوى المطار أنه بعيد جداً..

- هو ملحق بالمطار من الخارج..

- اها.. وماذا ستطلب للفداء أهناك شيء مميز هنا؟

- احزري

- (ضحكت قائلة) ماذا قل لي؟

- مفاجأة!!!!!!!!!!!!!!!!

- لا.. قل.

- قلت لك مفاجأة..

- حسنا.. كما تحب

أنا أنثى لا تصر على معرفة الأمور.. أكتفي بكلمة (زي ما بدك، مثل ما بدك، أنت حر، مثل ما بتحب).. عادة اكتسبتها، وأظن أن معظم النساء لا يملكنها.. كنت على لهفة وعجلة لرؤية المكان الجميل.. كان سهيل يعني لي لكن هذه المرة أغنية باليونانية..

كانت الأغنية تتحدث عن الحب، عن أقصى درجات العشق، وتتردد فيها كلمة لن أتركك سنكون دائماً معا.. العشق يجبرك على تخطي اللغات يجعلك هائماً بالموسيقى.. يحملك لسحر كوني لم يخلق بعد.. دوماً ما كنت صاحبة خيال واسع، لكني الآن لا أعيش الخيال الوهمي المعتاد.. أنا في خيال القدر، أظن أنني نجحت، وأخيراً بالقبض

على الحظ، والاحتفاظ به لجانبي.. أنا من أسعد نساء الكون، فجانبي رجل وسيم يعشقتني وأهيم بظله، فكيف سيكون عشقي لحضوره؟ بربك أخبرني كيف سترحل بعد مضي إجازتك وتتركني وحيدة؟ لا أظن أنني أستطيع أن أتنازل عن أنفاسك لثانية، أن أتنازل عن سحر شعرك، وجاذبية وجنتيك وبسالة عينيك باحتلالي.. ستحتلني حتماً الدموع، مقلتاي بدأتا تسكبان الدمع في فناجين أهدابي علني أروي القدر بقهوة ترحيب بنكهة الحرقة..

سيئة هي الأقدار عندما تجبرنا على الانحناء خانعين، مضطهدين..  
أليس الاضطهاد العشقي أقسى أنواع الاضطهاد..

وصلنا الى المطار.. اتجه سهيل لباب السيارة من ناحيتي وفتحته.. لقد فتح الآن أول أبواب الرحيل، أظن أن نسق الأحداث يتجاذب كتجاذب القمر لحركة الأمواج، مد وجزر أحدهم يتشبث بالحياة، والآخر يودعها.. أرى حزن الرحيل عالقاً في طيات تفاصيل حركاته.. انحناء يده للالتقاط يدي.. وغمرة أصابعه بخصلات شعري.. تشبته بعناق كفي..

أفلت كفي عند مؤخرة السيارة ملتقطاً يد الصندوق، فتح صندوق السيارة وإذا بحقائب جديدة لم أرها من قبل.. واحدة حمراء واثنان سوداوان..

- سهيل، ما هذا؟

- (بصمت عانقني، أظن أنه لا يملك القدرة على البوح) .. ستعودين لزيارة عائلتك..

مكتبة الرمحي أحمد

- كيف؟

- لا تخافي، ستذهبين لزيارة عائلتك لمدة أربعة شهور وتعودين.. و في هذا الوقت سأكون قد تمكنت من إنهاء أعمالي، سأنتهي شهرين من عملي، والإجازة التي أمضيت معك، أربع شهور لن تتمكني من الإحساس بطولها فستمضيها مع عائلتك. ثم أعود لأصطحبك معي الى هنا اتفقنا؟!

- اتفقنا.. لكن لم تخبريني؟ كنت سأحضر معي الهدايا التي اشتريتها لعائلتي..

- أنا أحضرت جميع المشتريات، ومشتريات أخرى على ذوقي.. الحقيبة الحمراء لك يا ملكة قلبي.. اللون الذي تحببته فيه ملابسك.. والحقيبتان: السوداء الأولى لأهلك، والثانية لأهلي.. رولين حبيبتي إذا احتجت لشيء آخر اخبريني.. سأحضره لك حالما أصل البلد.

- كيف سأستطيع البقاء دونك، اخبرني؟

- أرجوك لا تقولي شيئاً.. أرجوك

- لكن

- لكني، أحبك يا أنقى إناث الكون..

- سهيل

- أحبك

- وأنا أيضاً ( الدموع أعاققت مجرى الحديث، دمعة تمكنت من سد جميع السبل المنفذة للمجرى).

- لا أريد منك الا أن تهتمي بنفسك، وسأحادثك حالما تصلين.. اتفقنا

- سأفتقدك أنت تعلم أن حرقه الفراق تألم الروح.. أتركني هنا أرجوك..

- حبيبتي أنا لا أستطيع أن أترك وحيدة بمنزل كهذا في مدينة غريبة ليس لنا فيها معين، الرحلة جاءت بالتوقيت المناسب.. رولين لا تهتمي بأموري كثيراً، سأرجع محملاً بعشق فائض أعدك حبيبتي!

- أحبك يا أغلى ما أملك في الحياة

- وأنا أحبك يا أميرة أحلامي

سرت منحنية، والخيبات تجرّ بعضها بعضاً خلفي، وسهيل يلفني بأضلاعه، وكأنني سأهرب من قبضته.. قرأت مكاتيب عينيه، كان يبوح لي أنه مجبر على تركي.. سلمت لتلك البديهيّات التي طوّقتني كطفلة صغيرة سحبت لعبتها الصوفية من طوق ذراعها.. وأجبرت

للعودة لمنزلها بعدما أنهكها البكاء.. لا أدري ماذا سأفعل الآن.. أ  
أستمر باجترار ذاتي، أم أتوقف عن الخوض بتلك المسيرة، وأعود  
للباخرة معه؟

جلست في المقعد الذي يقع بجانب النافذة، معلقة بصري وفكري به..  
في الواقع نحن مجبرون على العيش في هذه الحياة دون أي خيارات  
بديلة نحن مسيروا بحكم الخيار.. وأظن أن امتلاك حق الخيار غير  
متاح فنوافذ الحياة مغلقة، ومحطاتها متعددة.. ولكل مقطورة موعد  
مختلف..

وصلت مطار الملكة علياء الدولي.. لأول مرة لا أشتي رائحة عمان،  
كنت أشتي رائحته هو.. هو لا أحد سواه.. ما إن انتهيت من التفتيش،  
وخرجت من البوابة حتى وجدت حمزة ينتظرنني..

حمزة.. هو أخو سهيل الأكبر.. لدى سهيل أربعة إخوة ذكور، ليس لديه  
أية أخت.. تماماً مثلي لكننا مختلفان من حيث الانعدام، كلينا معدوم لا  
نملك الأخوات؛ لكنه لا يملك روح أخت، أما أنا فأملكها.. صعدت مع  
حمزة للسيارة، كان يرى عبوسي بصورة واضحة بادرني قائلاً:

- شاعرتنا العظيمة.. أراك عابسة هل أنت حزينة؟

- أنا لست حزينة يا حمزة أنا فقط صامتة..

- أتصمت أنشئ عادت لتري أحبابها؟

- فارقت أغلى أحيابي وعدت

- اشتقت إليه بهذه السرعة!

- بالطبع

- أتعلمي يارولين أن أمي لم تحزن كحزرك على فراق سهيل؟

- أحقاً ما تقول!

- بالطبع، لم تتأثر سوى بضع ساعات.. وسرعان ما زال حزنها..

- أنا في اليوم الأول، ربما بعد عدة أيام يفارقتني الحزن..

- من الممكن، لكني أعلم أنك تحبين سهيل حبا كبيرا

حمزة يحاول تخفيف حزني فقط، أن تضع حلاً مؤقتاً خيراً من أن تترك الموضوع فارغاً، هو رجل مثالي يصلح لأي أنثى.. في بعض الأحيان أحسد زوجته على تلك المكانات التي يرفعها لها، ويكسوها جمالاً مبهرًا.. أي زوجة لا يمكنها سد فراغ الأم إلا بواسطة حديثه هو.. استطاع على الفور إقناعي بأنني أغلى النساء على قلب سهيل، وبأن محبتي له تفوق حنان أمه.. لا أعلم ما سرّ تهتك فكر النساء، ربما قصور الأفكار هو ما يبرع بجعل الإناث متفردات بطباعهن..

- سهيل طلب مني ان آخذك لبيت عائلتك..

- لم أنت الذي اصطحبني من المطار، ومن الأولى أن ازور منزلكم  
أولاً؟

- لان زوجك قال لي خذ رولين لبيت والدها..

- سأحدثه الآن.. أخذت الهاتف، واتصلت به.. أجاوب بسرعة.

- رولين حبيبي

- أهلا حبيبي.. لقد وصلت لتوي

- حمداً لله على سلامتك..

- حبيبي أنا مع حمزة الآن.. هل طلبت من أخيك أن يصطحبني  
لمنزل أبي؟ لكن من الأولى أن أزور عائلتك لوقت قصير؟

- أعلم، لكني أريد أن تذهبي لزيارة عائلتك أولاً منذ مدة طويلة لم  
ترهم وبقاؤك لجانبهم أفضل لك..

- حسناً، كما ترى.. حبيبي هنالك طعام في الثلاجة..

- لا تقلقي سأشتري طعام اليوم.. وغداً سأعود للباخرة، لكي أكسب  
وقتا أكبر يكفيني إجازة كيف سأقضي أسبوعاً دونك..

- حسناً، حبيبي هذا أفضل..

- أهتمي بنفسك رولين..



- وأنت أيضاً حبيبي..

- أحبك يا ملكة قلبي..

- وأنا أحبك..

- إلى اللقاء

بدأت أفكر كيف سأفاجئ عائلتي.. ستكون زيارتي من أعظم مفاجآت الحياة لهم.. عدت بعد مضي سنة وأربعة شهور من زواجي.. افتقاد عظيم بالنسبة لهم، هم لم يعهدوا ابتعادي عنهم ليوم واحد قبل زواجي.. لا أعلم كيف أفاجئهم بعودتي الآن.. أيعقل أن أدخل منزلي فجأة، ماذا سيحصل إذا اقتحمت المجلس بسرعة، ربما سيصدم أبي أو أمي أو كلاهما؟

المباغثة حل سيئ.. لكني أحب المفاجآت..

- حمزة..

- نعم رولين

- اتصل بأمي

- لماذا؟

- ستخبرها أنك ستزورهم برفقة عمي بعد نصف ساعة..

- لكني لست معتادا على زيارتهم بشكل مفاجئ..

- أرجوك، لا أريد أن أسبب لهم صدمة.

- بأمرك، كما تريد.. لكن ماذا أقول لهم؟

- قل: إنك تريد زيارتهم برفقة عمي؛ لأخذ بعض الأوراق لي.

- حسناً سأتصل الآن..

رفع حمزة هاتفه بغير قناعة.. ربما سيثار الشك بحكاية قدوم عمي لمنزلهم.. معظم الزيارات العائلية بالأردن تحصل أوقات المساء.. لم يعتادوا الزيارة وقت العصر، ولكن حكاية الورق مقنعة بعض الشيء..

في هذا الوقت من السنة تبدأ الأجواء بالانقلاب للحرارة، أحب الصيف أعتقد أن عائلتي جهزت الحديقة المرفقة لاستقبال الصيف ... عادةً نقيم معظم الوقت برفقة الأشجار..

وبعض مضي الوقت المحدد صلنا لمنطقة سكني القديمة.. حينًا جميل رغم أنه لا يشبه الحي الذي أقيم فيه من حيث الضخامة والطرز إلا أنه أجمل بنظري.. حي بيتنا في عمان رائحته مختلفة، ربيعه مختلف، لون جدرانته مختلف.. مسقط رأسي، أجمل ما أراه بعيني! وكما يقول ابو تمام : (كم منزل في الحي يألفه الفتىxxx وحنينه أبدا لأول منزل).

حديقة منزلنا فارغة تماما.. أهلي على استعداد لاستقبال عمي..  
هم لا يعلمون أنني أنا القادمة حتما سيتفاجأ الجميع..

قرع حمزة الجرس.. ففتح فادي الباب.. وتلقفته بقوة، صعق من  
حضورى.. أظن أنه أجم لم يتوقع مجيئي أبداً.. أبي جاء ليستقبل  
الضيوف

- رولين

- أبي.. اشتقت لك

هو أيضاً ذهل لم رآه.. أمي جاءت لترى سرّ الصمت، لم يرن بأذنيها  
صوت الترحيب..

- أنت حقاً؟!

- أمي.. لا أنا مصنعة..

أجمل لحظات العمر أن يتلفك من تحبّ من بعد طول غياب.. كان  
لقائي بهم أسطورياً. الأسطورة من أعظم الأحداث التي تحصل لنا..

- تفضل حمزة..

- لا، عمي أنا سأترككم مع رولين، أنت بالتأكيد مشتاق لها..

- لا، يا ابني أجلس معنا.. لن تذهب دون فنجان قهوة..

عائلتي مغمورة باللهفة هم ينتظرون رحيل حمزة بعجلة.. ما ان شرب  
فنجان قهوته حتى انكف عن المجلس.. أجمل ما يميز العرب حياؤهم،  
نحن ننقي المواقف بإتقان ولا نتجاوز العتبات أو النوافذ.. كل شيء له  
حرمة.. أعتقد أنه قريبا سيتم إصدار قانون جديد يدعى حرمة النفس"  
أن تكون حافظا لخطواتك أجمل بكثير من أن تكون مدعاة لتعثر المواقف..  
الجميع حائر بي.. التقط فادي هاتفه ليكلم أيمن.. أيمن يعمل الآن،  
قبل سفري كان يدرس فقط، الآن تخرّج من الجامعة، ويعمل في شركة  
ضخمة، هذا ما قاله لي أبي..

- فادي.. أصبحت كبير يا أخي

- (بضحكة ساخرة) أنتِ التي كبرتِ! أنا كما أنا أنتِ التي تزوجتِ

- وأنت متى ستتزوج؟

- تعلمي أنني جاهز لكن عمي مصر أن نتزوج بعد تخرج نيرمين

- نعم.. ومتى ستتخرج نيرمين؟

- هذا الفصل.

- الفصل هذا ياذن الله.. لكي أرتاح

- (بسخرية) هل أنتِ على أعصابك؟ لم تتغيري ما زلتى كما أنتِ

صاحبة ضحك ومزاح؟

- وهل سأتغير.. حبيبي الزواج لا يغير شيئاً في الشخصية

أمضينا الوقت ونحن نتحدث وبدأ فادي يسرد لي ما بداخله.. أنا معتادة على حديثه الذي لا ينتهي.. دوماً يقرب دفاتره ورقة تلو الأخرى.. صوت سيارة، لقد وصل أيمن..

أيمن.. يدعى (بالمكتك) له جاذبية خارقة.. ينتقي ملابسه باحتراف، ويصفف شعره، وكأنما عرسه اليوم.. أشتاق جداً لتلك الجلسات التي تجمعنا معاً، عندما كانوا يستشيرونني برائحة العطر وألوان الملابس وقصات الشعر..

في صباي كنت أتمنى لو كنت رجلاً.. فالرجال لهم متسع من الحرية، وثياب عصرية أنيقة.. أنا أعشق ثياب الرجال.. لكنني أحب اللمسات الأنثوية.. يجدر بي لقب أنثى، أحمد الله أنني أنثى، النساء لا يحتملن ما يحتمله الرجال.. وأن تكون رجلاً هذا يعني أن تحارب دون كلل وكما يقال: ( ليس القوي من يكسب الحرب دائماً، وإنما الضعيف من يخسر السلام دائماً ) كنت أنثى مسالمة انه خيار مميز..

دخل أيمن بلهفة

- أين رولين؟

- هنا حبيبي

- حياتي أنتِ يا أجمل أخت (آآآوه) لم هذا التغير كم أنتِ جميلة.. اشتقت لك كثيراً..
- وأنا أيضاً.. مبارك تخرجك وعملك أيضاً.. لم تقل لي أنك تعمل؟
- حبيبتي البارحة كان أول يوم دوام لي
- توظفت حديثاً، مبارك لك.
- اشتقت لك كثيراً.. كيف سهيل طمئيني عليه؟
- الحمد لله هو بخير..
- هيا قللي لي كيف أتيت فجأة أخبريني
- اذا أخبرتك لن تصدق.
- هاتي قللي لي .. هيا
- بدأت أسرد حكاية رحلتي للأردن التي لم يتسنّ لي استيعابها أيضاً..
- أذكر أننا أمضينا حديثنا حتى الصباح اليوم التالي.. وما إن جهزت نفسي للنوم.. إذ بهاتفني یرن.. نغمته المعتادة التقطت الهاتف بسرعة..
- سهيل حبيبي..
- أهلا رولين.. (صوته هادئ)

- ما بك حبيبي؟
- أيقظتك من النوم
- لا أنا مستيقظة، لكن ما الذي حصل صوتك ما به؟
- لاشيء أنا سأغادر المنزل للميناء.. أردت محادثتك..
- الحمد لله.. لقد نسيت موضوع عودتك.. لذلك فزعت
- لا عليك حبيبتي.. أتدرين يارولين؟
- ماذا حبيبي؟
- اشتقت لك.. لا أستطيع التخلي عنك
- وأنا أيضاً
- لم أتمكن من النوم هذه الليلة
- أحقاً؟
- حقاً.. كيف سأمضي الأربعة شهور دونك من يعتادك لن يعتاد مفارقتك..
- حبيبي لا عليك.. كيف ستستقل البحر ما زلت مستيقظاً؟ تناول فطورك قبل أن تخرج

- بدأت التوصيات!

- أنت تبسّم الآن؟

- كيف عرفت؟

- مممممم..... إحساسي بك.

- أحبك، أنتِ حياتي..

- عد سريعاً أنا بانتظارك..

- رولين..

- ماذا؟

- فكري بموضوع سكنك وحدك، حقا أنا لا أستطيع الابتعاد عنكِ..

- سأنظر في الموضوع..

- لا داعي للسخرية.. أنا أحادثكِ بجدية

- حبيبي لم العصبية وأنا أخذت الموضوع بجدية.. لم أستهتر، ما قلته

إنني سأنظر في الموضوع لا داعي لعصبيتك سهيل..

- أعتذر

- لا داعي لاعتذارك



- أنتِ غاضبة مني

- لا

- بل غاضبة

- وكيف سأغضب من طفلي المدلل

- أنا طفل.. (ضحك بسخرية) كل هذا البنيان وطفلك؟

- أنت طفلي بجميع حالاتك

- أتعلمين أنني أشتهي رائحة طفل منك

صمت.. لا أحب أن يسرد لي حكاية الطفل.. قصته المطولة والمعتادة..

- حبيبي نحن في بداية الحياة.. أمامنا متسع من الوقت

- كالعادة..

- ما بك تتذمر، حكم الله..

- لا اعتراض على حكمه.. لكن أذهبي للطبيب..

- ما بك أجننت.. نحن لم نكمل السننتين

- كما تريدن..

- أتحبني؟

- أعشَقكِ ..

- وأنا أحبك .. وأعشَقك

- رولين أريد تحضير الفطور.. لكني لا أعلم أين تضعين المعدات

- معدات ماذا؟ أنت ستقوم بالبناء أم بتحضير الفطور..

- افتحي جهاز الحاسوب الخاص بك أنا متصل بالإنترنت.. أريد أن

أرى أين تضعي السكر والشاي، وبعض الحاجات قبل خروجي

- حسنا امنحني قليلاً من الوقت

ساعة على شبكة الإنترنت كانت من أعظم الساعات التي أمضيها في

حياتي كنا فرحين وحضرنا الفطور له معاً.. يغريني حضوره حتى على

الشبكة الافتراضية.. ثم جهزنا معا حقيبة ملابسه.. وها هو أستعد

للخروج.. وداهمني أنا النوم حتى استيقظت على رنين هاتفي

- حبيبتي

- أهلا حبيبي

- هل أنت نائمة

- نعم.. لم هل الوقت متأخر؟

- لا الساعة ٩ مساءً بتوقيتكم

- أحقاً ما تقول، غرقت في النوم دون أن أدرك

- هيا يا كسولتي استيقظي

استمر حديثي معه قرابة الساعتين أهلي يظنون أنني نائمة أظن أنني عدت لفترة الخطوبة مرة أخرى.. أنهيت مهافتي معه وخرجت للصلاة.. الجميع نائمون.. عدت لغرفتي واتصلت به.. أتمننا حديثنا للصباح هذا الصباح لن يعمل سهيل فقد وصل لتوه.. لذا سهرنا..

أحب استقبال الشمس.. دوماً أدعوها لتحتسي معي القهوة.. لكن هذه المرة احتسيناها أنا وهو عبر الشبكة الافتراضية

- صغيرتي هل حضرت لي القهوة؟

- سهيل لا تغريني بتحضيرها

كنت أفتن بتلك الكلمة "صغيرتي" يقول كابو: (أذكى الأزواج والطفهم معشراً، هو الذي ينادي زوجته مهما بلغ بها العمر يا صغيرتي)

\*\*\*

أمضيت أجمل الأيام برفقة عائلتي كنا نخرج دوماً، ونذهب لزيارة الأقارب.. من عادات الأردنيين أن يدعى المسافر لجميع منازل أقربائه.. كنت مستمتعة بزيارة الجميع.. مضت مدة عمل زوجي بسرعة بالنسبة لي؛ لانشغالاتي الدائمة، أما بالنسبة له كما حدثني فهي قرابة العشرين

عاماً.. اليوم سيعود استيقظت صباحاً لتجهيز نفسي، بدأت أجهز نفسي  
بالمراة أظنّ أنني أمضيت قرابة الأربع ساعات أمام المراة دون أن انتبه..  
كنت مأخوذة بتجميل ذاتي لأظهر بنظره أجمل الجميلات.. انتظرت  
مجيئه حتى رن هاتفني..

- رولين حبيبتي

- أهلا حبيبي..

- أنا الآن ترجّلت من الطائرة، وفي طريقي مع حمزة لنصطحبك،

هيا جهزي نفسك حبيبتي

- أنتظرك حبيبي

ذهبت معه بحكم العادات لمنزل عائلته.. فوالدته حضرت لنا منزل  
الضيافة.. وأخيراً سنعود معا سنقيم تحت سقف واحد على أبواب  
أيلول..

أحب اسم أيلول.. سأسمي ابنتي (أيلول) إن استطعت.. أقمنا  
الإجازة في الأردن.. لم يسبق لي أن تعرّفت الى عائلة سهيل، فنحن  
سافرنا فور زواجنا وزياراتي لهم محدودة حتى تعاملهم معي لا يتجاوز  
نطاق الضيافة لكنهم لطفاء جداً، الجميع يحبه وأظن أنهم أحبوني  
أيضاً..

أمضينا وقتاً جميلاً برفقة من نحب.. أجمل ما في الوطن أنه يمنحنا شعور الأمان، وأجمل ما في العائلة أنها تمنحنا شعور الحب.. وأن تصبح صاحب شعورين إذن أنت تملك الكون..

سنعود لأثينا مرة أخرى..

قررت أن أسكن البحر مرة أخرى لن أتحمل ابتعاد زوجي عني مرة ثانية.. وقررت أيضاً أن أزور الأردن برفقته وأن لا آتي وحدي مرة أخرى.. كانت تجربتنا معا تكتنف الكثير من الدروس والعبر.. وكما يقال فإن الحياة مدرسة.. ولذلك يتطلب علينا أن نثابر في إنجاز دروسنا؛ لنحصّل من الأخطاء ما يفيدنا مستقبلاً..

ودعنا عائلتي.. كنت حاملة في طيات نفسي حزن الفراق، وزوجي تكتنّفه فرحة العودة.. شعور مختلط بين فرح وحزن؛ في هذا الموضع تماماً أتذكر مقولة لمشهور لا أعلم اسمه تقول: (ما أجمل أن يبكي الإنسان والبسمة على شفّتيه، وأن يضحك والدمعة في عينيه) نحن الآن مستقلان، لدينا منزل خاص ومقتنيات خاصة، لدينا ما يصلح لتكوين حياة مختلفة عما عشنا هنا..

عندما نسعى لتأسيس عائلة؛ نسعى دوماً لتفادي أغلاط عائلتنا وصهر الانحناءات بقالب جديد يحوي منحوتة خاصة بنا..

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

وصلنا مطار أثينا الدولي.. هنا لن نجد أحداً باستقبالنا مهما طاف بنا الخيال.. فسكان هذه البلاد لا يجتمعون لاستقبال الأقارب والأصدقاء كل منهم منشغل بذاته.. الذات من أولويات سلم الحياة تماماً كما حروف الأبجدية، كما مفتاح الصول بالسلم الموسيقي.. الأولوية تقتضي أن تتم (الأنا) ليستطيع الكون تجريد نفسه من الأثقال، والظهور بحلة قريبة من الكمال..

صعدنا سيارة الاجرة.. (تكسي) اليونان شبيه بتكسي عمّان أصفر اللون.. يقال ان اللون الأصفر مدعاة للشؤم؛ فهو يدل على الموت، أو المرض.. هي خرافات شعبية.. لكنه اليوم أفضل الوسائل الداعية للفرح باعتباره الموصل الرئيس لعُشنا الزوجي.. سنعود لمنزلنا الذي احترنا فيه؛ ماذا سنفعل يا ترى؟ نبيع المقتنيات ونعيده لملكه؟ أم نبقى كل شيء على ما هو، وندفع إيجاره؟

بينما كنا في التكسي فاجأني زوجي القبطان قائلاً..

- رولين حبيبي

- نعم حبيبي

- سأملك البيت..

- ماذا

- سأملكه

- وهل تعلم بماذا يقدر هذا العقار.. أجننت!

- لم أجن.. أعلم يمكنني شراءه

- أنت قبطان ولست تاجراً!

- قبطان، لكني أملك مالاً

- من أين أتيت بالمال، ما تملكه لا يكفي؟

- بل يكفي، لا تهتمي

- من أين لك المال؟

- من عملي.

- أنت لا تتقاضى مليون يورو

- لا تشغلي فكركِ بهذه الأمور.. قلت لك سأشتري المنزل

- لنفرض أنك تملك ثمنه، ما حاجتنا لمنزل في بلد ليس لنا فيها

شيء.. إذا كنت تملك المال حقاً.. اشتر بيتاً بعمّان..

- أجننت.. أعتقدين أنني سأعود لعمّان؟

- ولم لا نعود؟

- عودي وحدك ان أردتي...

صمت.. لا أعلم لما هذه البعثرات الكلامية هو يتفوه بحروف غير  
مدروسة في أثناء الغضب..

عدنا لمنزلنا ونحن متخاصمان.. لا يجروء على حديثي بعد ما دار بيننا..  
منذ وقت كانت الحياة لا تطاق دوني.. ما الذي تغير الآن.. في الواقع كنت  
صاحبة عقل صغير كما يقال أغضب بسرعة رهيبة نوعاً ما.. أمضينا  
أول يوم من عودتنا بوضع (الحدرد) هذا المصطلح شائع وقت الخصام..  
وجهي للحائط الأيمن للغرفة، ووجهه للحائط الأيسر.. لأول مرة نمضي  
ليلة بخصام أظن أن الخصام جميل، فهو نوع من أنواع التغيير، لا يتاح لنا  
التغيير دوماً.. روتين العشق مطرود لهذه الليلة من قصرنا.. ومع ذلك  
فأني أحن للعشق، لم يستطع النوم احتلالي ذاك المساء..

دوماً ما تسج الحياة غزلها الصوفي بتطريزة معتادة تحتوي ضربة  
صوفية سعيدة وأخرى حزينة.. قدرنا أن نمضي الحياة بتقلب لكي لا  
نشعر بالملل.. الملل حتما يكمن بالعشق الدائم، والحزن الدائم بالغضب  
الدائم، والهدوء الدائم.. من الأفضل أن يحكم النسيج بضربات بارزة،  
وأخرى غائرة..

القليل من الابتعاد لا يضر أبداً، فهو يتيح جانباً عشقياً جديداً يدعى  
اللهفة.. معظم النساء يتدللن بفكرة (الحدرد) هي نزعة روحية متخلقة  
بالفطرة، نحن نعشق الدلال.. بعض الخنوع من الجانب الذكوري  
يفرينا.. نحن مدلات كالقمر نسطع في بعض الأحيان ونغيب في أحيان



اخرى؛ وتلك الاوقات شبيهة بدورة حياة القمر فترة المحاق؛ في هذا الجانب يختفي ظلنا، ومظهرنا حتى رائحتنا تختفي.. هذه الأوقات حتما تثير شهوة البشر بالاشتياق.. أن تنتظر قمراً بفترة المحاق وسط صحراء يسكنها الظلام.. شعور شبيه بشعوره الآن..

صباحاً استيقظت، كان يحتسي القهوة وحيداً لم أعتد صباحاً بفنجان واحد.. أظن أنه أصبح يحترف الوحدة.. غالباً ما أستمع لحكايات النساء من حولي، عن المشاكل التي تحصل مع الأزواج، تتناوبني الغرابة، وتستوقفني ضخامة الجفاء.. هو يتحلى بقطعة من ذاك الجفاء، لم أطلع من قبل على شهوته للحلوى مع القهوة..

لربما شهية فلنجرب اليوم.. هممت بتحضير (ركوة البن الحلوة) لا أحب البن المحلى.. أخذت من الصحيفة باب الأخبار، وجلست على الأرض.. لا أحب تلك الجلسة لم أعتدها لكني أريد تجريب كل شيء لم أعتده.. حلوقهوه، أخبار وأرض ثنائي مكروه بالنسبة لي، أريد أن أتمرد به على حياتي وعليه..

كثيراً ما يعاندني القدر بدافع من الحياة.. فلم لا نلعب تلك اللعبة معا.. قررت أن لا أحضر الفطور الذي هو بالنسبة له وجبة أساسية اعتادها من الاختلاط بأولئك الأوروبيين، أما أنا فعربية نحن نعزز بوجبة الغداء المتأخر.. أراه ينظر إليّ من خلف إطار نظارتي التي ارتديها حفاظاً على بصري..

بدأ يثور أظنه جائعاً، وكما يقال: (الجوع أفضل المقبلات).. أظن أن تلاعبي به كالطهو على نار شمعة.. أوليس الألم النابع من الشمع أشد حرقاً من جمر النار الملهبة؟ حتما سأحصل على ما أريد.. لكنني في الواقع لا أعلم ماذا أريده، نحن النساء لدينا حاجات تتولد بسرعة البرق تماماً كما يتوالى البرق والرعد والمطر دون التفات منا لتقنية المشهد بالتفصيل..

- رولين

أظنه بدأ يحتاجني.. لن أجيّب

- رولين.. أنا أناديكِ

- ماذا تريد؟

- هكذا ماذا تريد... هذا يعني أنك غاضبة؟

- لا فرحة

- حبيبتي لا تفضبي

اقترّب مني، وجلس بجانبني..

- لم جلست هنا؟ أرجع لمقعدك!

- لا أريد.. أنا هنا لأراضيكِ

- لا أريد أن يراضيني أحد.. لست بحاجة لك

- تقصدين أنك بحاجة لي؟

- لم اسمعك

- حسناً، أنا آسف

- لعلمك.. حديث أمس بحاجة لالف اعتذار، وجئت لتحل الأمر بكلمة

آسف

- ممممم ..... ألف آسف..

- سهيل لا تقل شيئاً، ولا تحادثني أيضاً

- أقسم أنني أحبك لماذا تتصرفي معي بهذا الأسلوب الفظ؟

- هكذا.. وسأبقى هكذا لظالما أنت تتصرف بتسرع ودون تفكير

- ماذا تعني، لم الحديث بالمبهمات؟

- حللها بكيفك مبهمات مبهمات..

غادرت مكاني مسرعة للغرفة.. إن خيأت حزني أكون كاذبة.. بعض

الحروف تستطيع جرح أعماقنا، تلك الكلمة كانت تصدع رنيناً بأذني

(عودي وحدك) أيعقل أن يكون الحب مجرد تعلق كما كنت أتحدث فيما

سبق، بدأت أو من بتلك الأفكار..

أنّ ثمة تعلقا فقط هذا يعني أنّ الحبّ حالة افتراضية تتجسد في تلك  
اللفظة فقط (أحبّك) .. لم البكاء الخفي .. دوما ما تجبرنا الحياة على  
حرق دواخلنا بصمت، دونما لهب أو دخان.. الصمت يعني أن رائحة  
الألم المختنقة لا تظهر للعيان.. أظن أن نحبي في تلك اللحظات لمع  
بأذنيه أن تكون سبب الوجع، هو ألم من نوع آخر، وتأنيب ضمير يفوق  
المقدرة..

أخذ مفاتيح سيارته، وغادر المنزل بهدوء..

استطعت تسكين أعماقي.. حدثت والدتي أظنها علمت أنني مرهقة  
من الألم.. فشحوب وجهي الذي راودته الصفرة دعاها لتكرار ذلك  
السؤال..

- ابنتي ما بك؟

- لأشيء حبيبتني

- رولين عيناك غائرتان ووجهك مصفر..

- لا، أمي أظن أن الكاميرا هي التي ظللت ملامحي

- بنيتي ما بك أرجوك؟

- أمي قلت لك لأشيء.. أريد أن أذهب لتحضير الغداء فسهيل على

مشارف العودة

- كما تريدي يا ابنتي.. حدثيني مرة أخرى..

- حاضر غاليتي لا تقلقي

من واجبي أن أطهو.. لكني بحالة لا قوة لي فيها إلا على الكتابة..  
احتلت جهازي المحوسب وبدأت بالكتابة.. كتبت وكتبت إلى أن ملأت  
صفحاتي، أرتاح بالكتابة لحدود تفوق الخيال.. أحضر الآن مجموعة  
نثرية جديدة.. ديواني الجديد على مشارف الانتهاء.. لم يتبق لي سوى  
خمسة، أو ستة مقاطع نثرية لإنهائه.. بحالتي هذه لن أتمكن من إنهائه  
بسرعة فجميع النصوص التي كتبت كانت تعريفات بحثة لا تحتوي أي  
جانب إبداعي..

انتابني إرهاق من تلك الحروف الأبجدية التي تحتلني بقوة، القوة  
الروحية تؤلم لجانب الراحة الجسدية.. ارتميت رهينة أريكتي؛ دوما ما  
ألجأ في لحظات ألمي لها.. استيقظت على صوت باب المنزل.. انتظرت  
مبادرة منه لكنه لم يأت، مرّ على عودته نصف ساعة تقريباً.. دق باب  
الغرفة بهدوء.. هممت قائلة

- تفضل

- آسف على الإزعاج.. أيمكنني الدخول؟

هزرت رأسي مرحبة بالفكرة.. اقترب مني ثم قبلني قائلاً

- كيف حالكِ حبيبتي؟

- بخير

- رولين أنا آسف.. أعلم أنني تفوّهت بحديث ليس له داع.. لكن اعتبريها غلطة.. والإنسان ليس معصوماً.. هيا رافقيني لغرفة الجلوس.. أخذني على غير عادة أظن أن جسدي مرهق جداً، كانت الأفكار تراودني بينما هو يلتف ذراعي.. سرت بثقل إلى أن وصلت نهاية باب غرفتي.. وإذا بالمكان مليء بالشموع.. طاولتنا الصغيرة مليئة بالمأكولات التي أحب..

- هل أعجبك حبيبتي؟

- جميل

- هل تقبلي اعتذاري؟

- وهل يقبل الاعتذار بمجرد إغراءات بسيطة؟

- لم اقصد حبيبتي.. أرجوكِ كفي عن تأنيب ضميري

- حسناً.. سأقبل اعتذارك هذه المرة فقط

كانت تلك الليلة من أجمل ليالي عمري.. أن تسهر برفقة من تحب في بيتك شعور رائع.. رومانسيات سهيل تظهر بعد المشاكل فقط، يجب أن نصطنع فقرة الخصام بين الحين والآخر..

- رولين

- نعم حبيبي

- أريد شراء المنزل

- ألم أقل لك ان هذا المنزل لا نحتاجه

- أرجوك أريد هذا المنزل

- كما تريد... لكن ثمن المنزل؟

- أنا أستطيع شراءه

- من أين؟

- المال الذي لدي يكفي

- سهيل لا تلمني لكن هذا هو الواقع.. أنت قبطان!

- القبطان هنا يتقاضى الكثير..

- أعلم لكن هذا الكثير لا يكفي

- بل يكفي حبيبتي أرجوك.. أنا أخبرتك لكي لا تلوميني على تصرف

حصل دون علمك، أتريدين أن تأتي معي غدا؟

- سأأتي

نُزعت تلك الليلة أعتقد أنه تحلى بعبارة لتشارلز ديكنز: (ليس من طبيعتي أن أخفي أي شيء عنن تعلقت بهم، فلا أستطيع أبداً أن أغلق فمي حيث فتحت قلبي)..

وأنا لا أريد التملك بدولة أوروبية..

هو دوماً ينزعج من لقب قبطان، بينما أنا أتفاخر به، لا أعلم لم لا يعجبه اللقب.. دوما ما ينظر الرجال لنسائهم بفرور، وكثير ما ينتابهم شعور الغيرة لجانب امرأة تحمل لقب فأنا مبدعة في عدة مجالات.. لكني معجبة بلقب قبطان.. دوما يسمى الرجال لألقاب ضخمة مقابل ألقاب نسائهم.. جميع الرجال لا يحبون أن تحظى إناثهم بألقاب توازي ألقابهم أو تعلوها ضخامة، دوما ما يحتاجون للقب ربة منزل، وأنا لست ربة منزل فحسب.. استيقظنا صباحاً كان على عجلة..

- رولين هيا.. بسرعة حبيبتي.. لا يجدر بنا أن نتأخر..

- سأجهز نفسي لدينا متسع من الوقت..

- لا نعلم ماذا يحدث في الطريق.. اسرعي

- لن يحدث شيء بإذن الله..

لا أحب العجلة، دائماً ما يكون التروي أسلم الخيارات المطروحة.. أعتقد أن مشروع التملك بدولة لا نحمل جنسية تقوي صلتنا بها مشروع



فاشل بإتقان..وكما يقول حمزة حمدان (إذا تصدع الأساس فلا فائدة من تجميل الجدران لأن الانهيار وشيك !).. واحتمال الانهيار هنا كاحتمال انهيار قلعة رملية ملقاة على أحد الشواطئ في فصل الشتاء، مهما كانت مسافتها بعيدة عن الشاطئ فحتمًا ستتهار جدران القلعة بريح، أو بمطر أو بأمواج هائجة..

ذهبت معه وقدماي تجرّان بدافع الغضبِ وطموحاتي وقلبي معلق  
بتراجعه..

القلب عاطفي لأبعد الحدود بعدما يقتحم الحبّ العواطف يسهم  
بتجريدتها وقتلها، لذا نصبح عقلانيين للجدور.. أفكر الآن بعقلانية  
مقدرتي على استخدام ذاك الركن المهمل من عقلي في ذروتها الآن..  
أن تصل ذروة الشيء يعني أنك تبدأ بالطريق السليم.. معظم النساء  
يتملكن ذاك الفكر السليم، بالمقابل فأن أغلب الرجال يتسرعون بدافع  
ضخامة اللقب المطروح على جوانب طرقات الرجولة.. أن تكون رجلاً  
لا يعني أنك تستطيع اتخاذ قراراتك قبل أن يرف لك جفن.. تلك  
المصطلحات عمياء، وأظن أننا من نلقي بالغبار ليكسو أعيننا عمى،  
أليس العمى صنيع يحجب عنا الحقائق؟

وها هو يمضي على تلك الورقة.. بالواقع بدأت أسأم تلك التصرفات  
الطفولية.. أعلم أن رجولته حيّة، لكنه استطاع أن يميت ما تبقى له من  
تلك الرجولة بتصرفاته الولدانية..

عدنا لمنزلنا هو يحمل فرحاً ظاهرياً، ويبطن وقع ما ظهر على  
ملامي من أسى وأسف وحزن لما فعل..

نطقت قائلة..

- أكبر هدية يمكنك أن تقدمها لنفسك هي أن تتوقف عن خداع  
نفسك، وأن تفتح عينيك على الحقيقة مهما كانت مؤلمة..

اكتفى بالصمت.. كنت أدرك أثر تلك كلماتي في نفسه، كانت ذات  
وقع مريب عليه.. بدأت أتأكد أن معظم الأحداث الحياتية تفقدنا لذة  
الحبّ، وأنا أفتقد لذة الحبّ منذ زمن.. أكتفينا بالحديث السطحي  
أعطيني (الريموت).. أحتسي القهوة؟ هل تريد شيئاً؟ وهكذا...

عشرة أيام وها هي على مشارف الرحيل اذ لم يبق منها سوى يوم  
واحد، نعود للباخرة.. بادرني بالحديث قائلاً..

- رولين

- نعم

- ألا تريد أن نذهب للسوق؟

- لم؟

- لنشتري بعض الحاجات..

- مثل ماذا؟

- ملابس و أشياء أخرى.. فغداً سنعود للباخرة..

- أعلم أريد الذهاب، ستأخذني لأي سوق؟

- نعم سأأخذك حبيبتى لسوق المدينة..

حبيبتى.. هذا ما افتقدته فعلاً كلمة حبّ..

وقليل من رجال الكون يرمي سحره للالتقاط

ويجيد سرّاً عشقه بالافتراض..

ويطوف بنبع شوقي علّني أصحو صباحاً

كهواء راحل لوجهة شرق الأمنيات،

ساقياً حبيّ جناح الذكريات..

في المشاعر سيّدي تحكم الأرواح سرّاً،

ليس مطلباً كنصف الأمنيات،

كنسيم داهم الشوق بباطن الأمسيات..

تتراقص في ربيع الشوق الحاني؛ لترقى بالحياة..

\*\*\*

سیدی فی نصف قلبی اُمّنیة باتت لیالی تحیی فی الرجاء،

داهمت أضلاع نای،

حلقت بشموخ عزّی للسماء..

کم تداعی شوقی أرقاً، وسقط بالارتطام،

کم تهاذی باحثاً عن جحر فأر

عن وکر أفعی

عن شقّ حُفر فی الفضاء..

\*\*\*

أتهیم النساء بسحر حرف

أو ببوح ظرف من ظروف مكاتیب الحیاة..

منطق فی الحبّ أخرق،

فی العشق أحمق،

بسحر حبك للنوی یدعی بأرعن..

هائج فی بحر حبّ قد تلاطم موجه فی صدع قلبی..

\*\*\*

مکتبة الرمحي أحمد ٩٥

كم يليق لطول نحبي في المساء،

نصف قبلة..

علم في صدع جملة..

أو حديث يفتح الطرقات علناً،

يستبيح الجسد سهواً،

يرتقي عشقا بروحي للكمال..

\*\*\*

كم تسنى لبقاء الشوق دهري،

وتعالمت من أنين روحي نبرات تجلجل بالأمنيات..

\*\*\*

عدنا لتلك الغرفة التي طالما درست تفاصيل ملامحها بتعجب، كل شيء يشبه ذاته كما أول لقاء؛ حتى زوجي يشبه ذاته كما أول لقاء.. سعيدة لوجوده بجانبني، عاد كما كان سابقاً ذاك الرجل الملفت بهدوئه وورزانتة.. عادت أموري كما كانت سابقاً.. كم هو قارص فصل الشتاء في وسط البحر؛ يؤلمني.. أعتبر نفسي غريبة؛ فالشتاء يحن لوالدته، فيعود هائماً، ويجد الغرباء.. نحن غرباء في وجه تلك الفيوم حالما تقبل بلهفة لاحتضان والدتها..

تلك اللهفة هي من استطاعت ارباك ذاك الطاقم ليت بعضهم حين يرحل ، يكفّ شره كما كفّ خيرها في تلك العاصفة كان البؤس يكسو ملامح جميع الطاقم.. الزائرين.. الركاب.. الضيوف.. الجميع..

ما خلفته تلك العاصفة كان مريعاً ومربكاً، كان الجميع هائجاً وسط تلك الأمواج، تذكرت فيلم (التايتنك) خطر للتو في فكري ذاك المشهد المريع حينما كُسرت الباخرة طوعاً للرياح، وتقاذفت البشر من الأعلى لباطن المحيط، تلك المشاهد أُرعبتني، وضخامة المحيط أيضاً، تمثل لي الموت في تلك اللحظة.. أن تشعر بقرب الموت هو شعور سيئ بامتياز..

ما حصل في تلك الليلة قلب موازين حياتي.. بدأت أشعر بأهمية أن تمارس حياتك بلذّة.. أن يحسب لك عمر دون إيجابيات جمّة، فهذا يعني أن لا فائدة منه.. وكما يقول الشاعر أبو العتاهية : (كم من عزيز أذل الموتُ مصرعه ... كانت على رأسه الراياتُ تخفق)..

كان الموج يصارع تلك الأرواح الغريبة، كان الجميع يجابه الموت إلا أنا، كنت أتقلب على جمر غياب سهيل، أن يكون لك زوج يواجه الحياة، هذا يعني أن تكلمي فكرك به.. أردت الخروج؛ لن أتمكّن من البقاء بجانبه.. لكنه أمرني بالبقاء في تلك الغرفة..

دوما ما يحكم الرجال النساء.. دوما ما يحمل الرجال مدى بعيداً من التصور، هم يتصورون ما يمكن أن يحصل في المستقبل من مجرد

بدء الحدث، وهذا الفكر دوماً يُعاكسنا نحن النساء؛ فنحن نجبر بحكم العاطفة لمناصرة الحبّ..

كانت أعصابي تتمزق ساعة تلو أخرى، لم يهدأ هاتفي أبداً، كنت على اتصال مع سهيل وخط الهاتف مفتوح، وصوت صراخ القيادة يقرع ضجيجاً في طبلة أذني، تلك الاهتزازات كانت تتوالى بإزعاجي، اهتزازاً تلو الآخر حتى اجتاح عقلي ثوران غير مأثور.. تلك الاضطرابات صاحبتني لحظة، وفاة لورا .. كانت ذات الضربات التي تلاحقني..

ما تراءى لسمعي من الصراخ، أن ثمة باخرة محملة بالنفط انفجرت من احتكاك الرياح، وأن النفط عم أرجاء السطح.. هببت مسرعة للنافذة، لم أر سوى سطح قائم مليء بالزيوت، وأناس يتزلقون وبراميل تنزلق.. الجميع عائم على سطح باخرة سوداء، فقد دعي الموت لوسط بحر الصفاء الذي أصبح هائجاً، حيث يعد البحر الأبيض المتوسط من أعلى بحور العالم بنسب الحوادث الناجمة عن النشاط البشري..

وأظن أن موعدنا مع الموت جاء الآن، أسماؤنا في قائمة الموتى.. أو ربما صففتنا ب (menu) العشاء للأسماك المفترسة هذا المساء.. قدرنا حان، ربما أنا متأثرة لابعد الحدود بالدراما والأفلام، لكنني حتماً لست مصطنعة للأفكار، فهناك أشياء بشرية مقطعة، وجثامين مشوهة، والجميع يصرخ..

انقطع صوت سهيل.. غرفة القيادة لا تحتوي صوتاً، تواتت أصوات الصرخات، والفرع عم أرجائي؛ لذلك لم أميز تلك الأصوات.. كنت حية بجسد يقصف من رهبة الموت؛ فأجزاء الغرفة تهتز كما طبق الحلوى الأحمر الذي يهتز عند التحريك.. الموج يطارد الجميع.. نحن حظينا الآن بنوعين من الأمواج: أحدهما داخلي، والآخر خارجي.. مادمننا عائمين فهذا دليل كافٍ على التثبيت بالحياة...مازالت تلك الرهبة ساكنة بأضلاعي حتى الآن..

عادت الأصوات لغرفة القيادة... بدأت اسمع الآن شيئاً مختلفاً..

- القبطان افثيموس: أيها الربان، لقد تمكنا من إيقاف تدفق النفط..

- الربان: والآن لنسيطر على توازن الباخرة.. طمئن الجميع عبر سماعة الطوارئ أننا تمكنا من إيقاف تدفق النفط.. هيا طمئن الركاب..

- سهيل: أيها الربان لا يمكننا الآن السيطرة على التوازن.. أريد أن نطلب من الجميع تمالك أنفسهم، فليلزم الجميع السكون، أظن أن التحركات المتخبطة لها دور كبير في عرقلة عملنا.. العاصفة ستمكن من قلب الباخرة إذا استمر الوضع على ما هو عليه..

- الربان: افعل المناسب أيها القبطانان.. لكما جميع الصلاحيات..



أظن أن القباطنة كانوا على استعداد لمثل هذه التقلبات، أذكر أن سهيل حدثني عن حمولة انهارت في وجه الريح، واستطاعت ثقب سطح الباخرة منذ زمن، في بدايات عمله هنا..

بقيت أقلب على جمر تلك الكارثة.. لم يأت أحد ليطمئنتني، وهاتف سهيل ليس بجواره.. اتصلت به لكن القبطان افثيموس رد على هاتفه، وطمأنتني عليه، وقال انه في اجتماع وسيحدثني لاحقاً.. ما أتمناه الآن هو سماع صوته، لا أريد شيئاً آخر..

النساء يفزعن لابتعاد رجالهنّ، لكن الرجال يجدون متسعاً من الراحة بابتعاد النساء.. رواية عشق خرافية وأظن أنه لا داعي لها في هذا الوقت؛ فالموت جاء بصناديقه ليلم جثث الموتى ورفاتهم، لا داعي للعشق، أو الحبّ في مثل هذه الأحداث..

أظن أن الحبّ وهم مصطنع، نحن لا نحب، نحن نتعلق فقط.. والدليل على ذلك أن ثمة تعلقاً يتبعه فقدان فنيسيان.. أما عن الحبّ فهو شيء آخر، سمة مختلفة تماماً.. أن تحبّ فهذا يعني أن تتعلق لحدود الموت.. كتعلق البشر بأجسادهم وأجزائهم، كتعلق الروح بالقلب، فإذا استؤصل القلب ستستأصل الروح والحياة.. هذا التعلق ما يدعى حقاً بالحبّ..

ما ندعيه نحن ليس سوى تعلق يجمعه انجذاب وهذا ما يدعى بالمودة.. النساء يتوددن ليصلن للتعلق فقط.. لو ندرك حقيقة الحياة لآثرنا الممات حقاً..

بقيت مستيقظة للصباح.. وحينما سهت عيناى، رن هاتفي..

- حبيبتي.. أنتِ بخير؟

- أهلا حبيبي.. هل أنت بخير؟ هل تأذيت سهيل؟ أرجوك تعال، أريد أن أراك لثانية واحدة..

- رولين حبيبتي هدئي من روعك.. أنا جيد وسليم، حبيبتي سأتي، لكني لا أستطيع الآن انتظريني عندما أفرغ سأعود.. أرجوك لا تتصلي، فأنا لا أستطيع محادثتك

- سأنتظرك حبيبي.. أرجوك أعتن بنفسك..

أن تنتظر حبيباً يدرك حجم حبك له هذا يعني أنك ستنتظر لحدود النسيان.. وكما قال الشاعر المثقب العبدى: (يواعدني مواعد كاذبات xxx تمر بها رياح الصيف دوني). غفوت على تلك الأريكة المخملية من حجم أرقى واضطرابي، وإذ بي أستيقظ على سريري ملتفة بالحبّ المزدوج..

ازدواجية الحبّ، شبيهة بازدواجية الشاعر، وتقترن "بازدواجية الزمن" .. أن تحبي رجلاً مزدوجاً يجمع بين اختلافات غير منسجمة، ويخطها بنسيج متشابك، فهذا يعني أنك امرأة مختلفة مجبرة على تحمل تلك الازدواجية.. أينسجم المخمل مع الدانتيل؟ بالطبع لا، حتما ستستطيعين دمجهما معاً، وأنتِ مع رجل كسهيل..

موقفي الآن محايد.. لا يمكنني أن أعلن اضطرابي، أو اطمئنانني..  
استمر نظري موجهاً نحوه يتفحصه بإتقان.. أحاول البحث عن شيء  
ما تائه بلامحه المرهقة.. كان صوت شخيره يزاحم جميع الأصوات،  
لم أنتبه لشيء من هذا القبيل من قبل.. لم أكثرث لصوت شخيره من  
شدة اشتياقي له..

التفتت بروبي الزيتي متجهة نحو النافذة.. ما رأيته الآن جعلني  
أجزم أن خيالي واسع، آوه السطح نظيف، والجميع ساكنون البراميل  
متقنة الاصطفاف.. وكأنني كنت أحلم.. أدركت الآن حجم جهد أولئك  
العاملين، حجم جهد البحارين والقباطنة والربان.. من الأجدر أن لا  
نحكم في ظل أي ظرف..

أفضل حكم يمكننا اطلاقه هو حكم في ظل الطبيعة البحتة.. تعلمت  
درساً هذا اليوم: أن تتسرع فهذا يعني ردة فعل مماثلة لطبيعة الحكم..  
ألقيت بتلك الأثقال الماثلة بحجرات فؤادي من نافذتي المطرزة  
بالنحاس.. وألقيت بجسدي على ذلك السرير الذي سئم من نبضات  
عتابي.. الآن روحي خالية من أي أرق كان يكتنفها في ذاك المساء.. بدأت  
أشعر بالجوع، لم أتناول طعامي منذ يومين.. أنتظر سهيل ليستيقظ،  
وبذات الوقت لا أريد إزعاجه وإيقاظه.. جربت عدة حركات، أن أتقلب  
أن اضبط منبه هاتفي، ثم أقفله سريعاً مع بداية النغمة.. لكن لا سبيل  
لاستيقاظه فهو غارق في بحر نومه.. قررت أن أتناول فطورتي لوحدي..

صباح قديم كتلك الصباحات التي كنت أتقنها قبل ارتباطي.. ارتديت قميصي البني، و المعطف البيج، و غادرت طابقي.. الطابق الأول يحتوي مطعماً مطلاً على ظهر الباخرة، يتناول البحر من وجهة جميلة ليعرضها للبصر.. جلست إلى تلك الطاولة المزدوجة الجانب، وباقية النرجس تكلم ثغرها.. رائع هو النرجس فيه من الغموض ما نعجز عن التماسه حتى بالبصر..

وضعت جهازتي المحمول أمامي وبدأت بالكتابة.. يجذبني الغيم للكتابة أعشق تلك الأجواء.. بدأ حريفي بخط ما يصلح لأن يرصع بالدرّ على السطر ليحيه من جديد..

قد توارت كلّ أحلام الطفولة قد توارت!

وتهاذت كلّ أقلام البخور قد هذت!

أن يهيم الشوق فيك لحدّ أرقى..

أن تذوب مشاعر الياقوت لحدّ طربي..

أن تسافر كسراب للرماد!

أن تقابل كل أحلام الطفولة!

كظلال الحبّ سهواً أن تقابل!

أن يرف جناح طيرٍ للمنحبة؟

أن يطرق جناح أطياف الجنان؟

فيطوف من مرورك شوق سرب من عيوني،

ويثور بحر آفاق الجنان ببيلسان..

كلّ أطياف الحضور تلحّفت سطرأً بحرف!

كلّ آمال العيون تهاوت كاليتامى!

شوقي الآن طريح كالمعذب!

بصري الآن معلق!

كالرحيل بدأت أشتاق الحمام!

كالربيع بدأت استسقي الآثام!

كجموح النار في أكناف برده؛

بدأ الحبّ يمرر لي صدامه!

حدّثيني يا نساء الكون هيّا حدّثيني!

كيف تؤثّم من ترامى العشق فيها؟

كيف تحجب من عيون الشوق ذكرى؟

كيف تصدم في شوارعنا الإناث؟

أليق بحضن كفي رمق آثام الكبار؟

أليق لبرد صيفي روح بجوى الجنان؟

أخبريني كيف أرسم طرقات السرب برأ؟

كيف أمضي للهوى عقد المحبة؟

كيف ألقى بالخطيئة للتلاشي؟

أخبريني يا نساء الكون هيّا أخبريني؟

قاطعني الهاتف قبل أن أنهي علامات استفهامي وتعجبي.. رفعت

السماعة قائلة:

- الو

- مرحبا

- أهلا من معي

- لم تتذكريني، حاولت بشتى الطرق أن ابحث عن دليل ليصلني

بك..

- ومن تكون؟

- رجل حاول أن ينشر لك ديوانك الجديد

- سيد مروان

- نعم سيدتي.. كيف حالكِ؟

- بخير الحمد لله.. أعتذر سيد مروان لقد انقطعت عنك.. لكن الظروف أرغمتني

- أخبريني كيف أحوالك؟ ماذا حصل لمجموعتك الشعرية؟

- أنا بخير.. ومجموعتي على وشك الانتهاء من كتابتها

- وهل ستشرين في الدار الخاصة بنا كما اتفقنا؟

- بالتأكيد سأرسل لكم نسخة حالما أنتهي.. أحتاج قليلا من الوقت..

- إذا سنبقى على اتصال؟

- بالتأكيد..

- سيدتي أخذت الكثير من وقتك، سأترك الآن.. إلى اللقاء

- إلى اللقاء

جميل أن يكون هنالك أشخاص قد عشقوا فكري.. أن يبحث عنك الجميع في أوقات غيابك، ربما بحثه كان بدافع الريح، لكن لا يهم.. فالكثير من الشعراء يحتاجون لهاتف شكر واحد.. أو لهاتف اهتمام كهذا..

أن تشتعل شموع الاهتمام حولك لا يعني أنك مهم.. هذه التفاصيل تزج الجميع، الأهم أن الاهتمام بي مازال حياً، وأنا خارج تلك الحياة..

أنهيت فطوري وغادرت تلك الزاوية متجهة لغرفتي.. زوجي نائم الآن، كلي شوق لألمس صوته.. في سهوة من أمري، وأنا ملتحفة غطائي الناعم.. همس لي:

- أحبك..

- حبيبي.. استيقظت؟

- نعم.. كيف حال أميرتي؟

- بخير.. لم تأت ليلة أمس؟

- رولين؟

- ماذا.. حتى العتاب ستحرمني منه

- (ضحك بقهقهة) أحرمك منه! للنساء جميع الحقوق في العتاب..

- هل اعتبرها مدعاة للسخرية؟

- أعتذر من ملكة قلبي.. لكن واجبي الإنساني حتم عليّ البقاء هناك

للمساعدة..



- و واجبك الإنساني ألم يحتم عليك أن تأتي لترى زوجتك لثانية  
واحدة؟! أتعلم أنني جرحت من أثر ما حصل؟

- أحقاً، لم لم تخبريني أين جرحك؟

- يهكم حقا !!

- بالتأكيد.. أجننت؟

- أشرت لقلبي، وقلت: هنا..

- ماذا تعني هنا؟

حتماً لن يتمكن من فهم أنثى مثلي.. هنا بالنسبة له سخرية إن جرحاً  
ما في قلبك لا يؤلم أحداً سواك.. ان ثمة رجال كثيرين يكونون في بداية  
الطريق كما نحب، وما يتسنى لنا أن نصل منتصفه حتى يتواري كل ما  
نحب بهم، ويبقى لقب الرجل فقط.. أن تجرح أنثى باستهتار رجل هو  
أعمق من جرح جسدي بالنسبة لها.. أن لا يقدر رجل حجم مشاعر  
إحدانا هو أكبر جرح نفسي بالنسبة لها.. أن لا تحسب للدموع أية قيمة  
فهذا يعني أن ثمة ثقباً يقطن في منتصف خريطة حياتها، ولا مجال  
لسده أبداً..

معظم المشاكل تحدث بعد تخطي السنة الأولى من الزواج، حينما  
نبدأ باكتشاف ما يدعى بالحب..

- لا تعني شيئاً.. مجرد حروف

- إذا اعتذر لها

- أنا لم أطلب منك اعتذاراً!

- ماذا تريدين؟

- حبّ..

- حبّاً أ أنا أحرمك من الحبّ؟ رولين بربك لا تنزعي مزاجي، أرجوك.

- لا تتقن سوى أرجوك! أرجوك كفاً عن الاستهتار بي!

- أ أنا استهتر بك؟

- سهيل.. انتهى.. لا أريد الخوض بجدال عقيم..

- انتظري.. ماذا قلت عقيم! ماذا؟ أتقصدين ما تقولين؟ الجدل معي دون جدوى؟ أنا لست من ضمن أصحاب القلوب؟ ولست من ضمن أصحاب العقول؟ أتعلمين أنك من يصطنع التعاسة؟ دوما تصطنعين المشاكل وسط الأجواء الهادئة.. كفي عن الطفولة، أنت أنثى راشدة.. سئمت من تصرفاتك..

ارتدى بذلته البحرية، وخرج..

لا أعلم من منا يقع على عاتقه اللوم.. أيعقل أن أكون كما وصفني؟ لا، أبداً لست كذلك.. انتظرت عودته لكن الوقت تأخر أظن أنه لن يعود هذه الليلة.. هل أكلمه؟ لكن كبريائي تجبرني على خيار الابتعاد..

لا، لن أكلمه..

انتظرته ليوم آخر ولم يأت ولم يجرب الاتصال بي.. ليوم آخر أيضاً لم يأت.. قررت أن أهدم كبريائي واسترجعه.. هممت بمفادرة غرفتي ويدي معلقة بالباب، أمسكت المقبض وفتحته، إذ به أمامي.. صمتنا معاً ليس لدي ما يقال، وليس لديه أيضاً.. أشرت له برأسي ليدخل

دخل، وجلس على السرير، اقتربت منه ووضعت يدي على ركبتيه.. التقطهما وقبلهما..

- لا تقولي شيئاً.. أعتذر منك.. أعلم أنني تجاوزت حدودي.. لكن كل شيء يحصل رغماً عني.. كيف أتصرف لا أعلم؟ أرجوك احتويني لا تدعي الضغوطات تسهم بانتزاعك مني.. رولين لا أحتاج سوى حبك، امنحيني إياه. أيعقل أن تحاربيني أنت والقدر؟ أنا وحيد الآن، أعلم أنك تتفهمين ما أقصده جيداً أرجوك. لم أستطع أن آتي لتطمئني علي، لا أعلم لم تصرفت بحدود ذكاء منخفضة..

ماذا عساي أن أفعل وأنا أتوه في حكاية لا أعلم أيّ تفصيل منها.. في حال كهذه ليس بيد الأنثى سوى الاكتفاء بدمعة ثم قبلة وابتسامة.. و أظن أن معظم النساء يكتسبن كل الأنوثة في مثل هذه الحالات..

"أصبح دلال النساء يكتسب بكتب تعليمية ننجز محتواها بخمسة أو سبعة أيام.. عزيزتي حواء ما عاد لجنسك بقاء فبعض الكائنات تنقرض، وتحتاج لوضعها في محمية تزيد من أعداد المؤهلين للانقراض.. فابقي ما تبقى لك من محاسن، باتت تراثاً في زمن فقد منه التراث" فقرة من ضمن الفقرات التي كتبت بحياتي في مقال اجتماعي يتحدث عن النساء.. ما كنت أقصده حقاً بذلك المقطع.. ان ثمة نساء يفتقد الأنوثة تماماً.. يفتقد الجانب المطلي بحبر الحنان.. يفتقد الأمان والابتسامة.. ان ثمة نساء يشبهن النساء بالجسد فقط، ان ثمة نساء لا يحملن في نفوسهن أي معنى للأنوثة على أبسط تقدير..

أمضينا تلك الليلة بصمت.. هو مرهق بشكل كبير ورهيب، استطاع الانحناء أن يكسوه جسده.. لا أفضل انكسار الرجال.. وكما يقول برناردشو: (المرأة ظل الرجل عليها أن تتبعه ، لا أن تقوده..).

التبعية لا تعني أن تكوني قشرة شفافة تكسو جسده.. التبعية تعني أن تكوني صهير شمع يصب بقلبه ليمنحه القوام الجميل..

\*\*\*

تمكنت اليوم من إنهاء ديواني الشعري.. وهممت بمحادثة الأستاذ مروان لنشره .. ديواني بعنوان (عذراء مفتصبة) ، يتحدث عن العروبة والثورية بنهج مختلف بعض الشيء.. شاعرة مرهفة الإحساس تتخلى عن عباءة الغزل والغرام، وتنتقل لعباءة الظلم والانتقام.. نهج جديد وحلة جيدة، أن تتغير حياة أنثى فهذا يعني تغيراً جذرياً حتى بالفكر.. إهداء ديواني هذه المرة سيكون لزوجي وحببي سهيل..

سهيل عاد كما كان، استطعت احتواءه كما قال لي، نحن الآن سعيدان.. أنهينا أربعة شهور في البحر، لتعذر مغادرته الباخرة في موعد إجازته بعدما حلّ بها من مجازر

واليوم سنغادر من الباخرة لنعود لمنزلنا.. شهر شباط أحب هذا الشهر كثيراً، يذكرني بولدنات الطفولة، وبعض العجائب التي كنت أمارسها..

وبكاء فصل الموسيقى.. هذه القصة دوما تضحكني..

في طفولتي كان فصل الموسيقى منهاجاً يجبر الطلبة على دراسته.. لكن فصل الموسيقى الخاص بي كان مختلفاً بعض الشيء.. كانت معلمتي معدومة الإحساس.. دوما تغني لنا تلك الأغنية الحزينة التي لا أستطيع تذكرها لكن موسيقاها عالقة بأذني.. في كل حصة تغني الأغنية ذاتها لا أدري السرّ في استمتاعها بتلك الأغنية، كان طلاب الفصل جميعاً ييغنونها سواي..

كنت في بداية الموسيقى أحضر مبسمي للارتجاج على النغم الموجه، وما ان تبدأ بالغناء حتى أسترسل في البكاء، وحالما تنهي الأغنية تبادر بالسؤال ذاته.. رولين ما بك حبيبتي؟ لم البكاء جميلتي؟ كنت لا أجب أكتفي بالبكاء فقط.. حتى ظنت المعلمة أنني أعاني مشاكل عائلية، فهتمت بطلب والدتي والاستفسار عما إذا كنت أعاني مشاكل أسرية لاسترسالني بالبكاء في كل حصة موسيقي..

كنت صامته في وجه كل سؤال تطرحه عليّ، وبقي سري بداخلي إلى أن كبرت.. هي لم تعلم أنني مرهفة الحس لدرجة أن بكائي سببه تلك الأغنية، والموسيقى المطروحة على عتباتها.. وبقيت دموعي قائمة في كل حصة موسيقي، وتلك الأغنية بقيت لحننا دائما لعزف تلك الدموع الرقيقة من تلك الجفون الناعمة..

\*\*\*

وصلنا الآن لمنزلنا، المنزل مليء بالفبار لحسن حظي أنني تعلمت شيئاً جميلاً من المسلسلات المصرية، أن أبقى الأثاث مغطى بشراشف بيض.. كل شيء نظيف بعدما أزلناها، لم يتبق سوى تنظيف الأرضيات، ويعود المنزل كما تركناه.. ساعدني زوجي بتنظيفه كان سنداً لي دوماً... أنهينا تنظيف منزلنا الآن... أظن أن الوقت متأخر بدأ سهيل يتضور من الجوع..

- حبيبتي أريد أن أكل

- حاضر حبيبي سأحضر لك العشاء.. لكني حائرة في أمري، ماذا سنحضر هذه الليلة؟  
مكتبة الرمحي أحمد

لم أعتد الطهو.. في الباخرة ليس لدي مطبخ لدي ركن صغير شبيه بالمطبخ.. يحتوي القليل من الأكواب والصحون وثلاجة صغيرة...

- أقترح عليك أن تطهي لنا اللحم..

- لنجرب.. لكن أحضر لي المتصفح.. سأخذ طريقة الطهو من الإنترنت

- حاضر، سأحضره لك

بدأنا نعد اللحم والسلطة والعصير.. كنا مستمتعين جداً ... المطبخ مسلٍ جداً..

- سهيل نحتاج فرن كهربائي في جناحنا في الباخرة..

- فكرة جيدة للطهو هناك معا

الطعام جاهز الآن.. أعتقد أن مذاق ذاك اللحم سيبقى مغلداً بذاكرتنا معاً.. كان لذيذاً جداً لدرجة أننا أنهينا جميع القطع التي طهونا، عشاء دسم كهذا يحتاج لنوم عميق..

مكتبة الرمحي أحمد

# ازدواجية الرحيل





"أطرب الحبّ أكثره عذاباً"

ربا فنديل..

مرّ على زواجي أربع سنوات، مرت تلك الأيام بسرعة البرق أمضينا أوقاتاً جميلة متنقلين بين برّ وبحر، وبين اليونان والأردن؛ كل سنة نعود لبلادنا في إجازة تمتد لثلاثة أو أربعة شهور.. نمضي حياتنا ساكنين بتلك الغرفة في بعض الأحيان، وذاك المنزل في أحيان أخرى.. سعيدة بحياتي لحدود التنغيص، أفتقد أجمل فقرات حياتي، الطفل..

زرنا أنا وسهيل عدة أطباء أجرينا عدة فحوصات، وجميع الفحوصات أجزمت أننا لا نعاني أي شيء.. قدر الله أن نحرم من الاطفال دون أية أسباب، لنصبر.. كما يقال موسيه: (فاقد الصبر فتديل بلا زيت) هو يفتقد الأطفال كثيراً، كنت أفتح سجل متصفحته متتبعه ما يشاهد عن طريقه دوما ما كنت اجد مواقع تحتوي صور أطفال.. طرق الاعتناء بالزوجة الحامل.. كيف تربي طفلك.. كيف تعامل أولادك.. أغلبها تتمحور حول الأطفال..

كثيراً ما تداهم فكري تلك المقولة الإنجليزية التي تقول: (من عاش بلا أولاد لم يعرف الهم، ومن مات بلا أولاد لم يعرف السرور). افتقاد

الشيء يجعلنا نحنُ له كثيراً، نتألم لأجله كثيراً، وتؤنبنا ضمائرنا بشأنه كثيراً.. ما يؤلمك ليس الافتقاد أو الحب، المؤلم هو أن توزع هدايا القدر للجميع سواك، أن تمتلك جزءاً من الشيء يساوي خسارته، ونحن نمتلك المقدره لكن التخلق ليس ملكنا..

تراودني نزعات نفسي دوماً، أن تفكر أنتى بالتخلي عن زوجها؛ ليتمكن من إكمال حياته كما يريد؛ كي يتمكن من إنجاب طفل من أنتى أخرى..

أجبرت قدمي على المسير تجاهه بينما هو يقرأ ديواني الجديد بعد نشره..

- حبيبي.. أريد التحدث معك، هلاً سمحت لي، ووضعت الكتاب بجانبك؟

- تفضلي يا ملكة قلبي..

- سهيل أنا لا أعلم من أي ركن يجب علي أن أبدأ حديثي، لكن يجب أن نتحدث بشأن هذا الموضوع..

- تحدثي رولين، ما بك؟

- أنت رجل جذاب، وإنسان نقي.. أنا سعيدة جداً معك، لكني..

- لكنك ماذا؟

- لكنني، لم أستطع أن أمنحك طفلاً

- اصمتي بربك ما هذا الهراء.. أنتِ تمنحيني الطفل.. ما بكِ  
أجنبتِ، ألا تعلمين أن رب العباد هو المعطي والمانع؟

- أعلم.. لكنني..

- اصمتي.. رولين أنا أحبك، أريد ان اكمل ما تبقى لي من العمر  
بجانبكِ حتى لو لم نحظ بأطفال.. أن أمتلك أنثى لي أفضل من أن  
أمتلك طفل سينفصل عني في يوم من الأيام.. اتركيني أكمل قراءة  
الديون الآن..

لم أستطع تمالك نفسي فانهمرت الدموع من مقلتي.. بدأت أشعر  
بحكم القدر، دوما ما يلقي القدر تلك الذنوب على كاهلنا، دوما ما  
نتحمل أحكام القدر والنصيب، ونتكبل الألم والمشقة والعذاب.. نحكم  
بالدموع لمجرد أن لا ذنب لنا.. أن لا تظلم فهذا يصنف من ضمن  
الضرائب الباهظة الثمن.. أليست الحياة تشترك مع الجياة بجمع  
الألم؛ هم يجمعون المال، ويخلقون الألم.. وهي تجمع الألم، وتطرحة  
دون مقابل..

حرقتي تلك الليلة جعلتني أقيم ساجدة؛ لأطلب من ربي أن يرزقتني  
طفلاً.. دامت دموعي مصلوبة على عتبات السماء تنتظر الفرج..

\*\*\*

قررت أن أبقى في أثينا؛ للعمل لم أعد أحتمل بقائي رهينة تلك الغرفة.. قراري خارج عن سيطرة سهيل، فأنا حاسمة هذه المرة، وكما يقول أني فرانك: (قد تبدو البطالة جذابة لكن العمل هو ما يقنع). قدمت أوراقى للعمل بشركة تصميم وتمت الموافقة.. اليوم سأوقع عقد عملي بعد اختباري لمدة خمسة عشر يوماً.. نصّ العقد على شرط جزائي يتوجب عليّ أن أعمل في تلك الشركة مدة عامين مبدلة بمبلغ من المال كشرط جزائي..

- سيد ألبير أنا موافقة على توقيع العقد..

- يسرنا سيدتي العمل معك

- متى سنبدأ العمل؟

- يمكنك مباشرة عملك متى شئت

- أيمكننا أن نبدأ الاثنين المقبل

- يمكنك سيدتي..

سهيل منزعج من مشروع عملي، لكنه مجبر على أن يتيح لي فرصة، هو يعلم قدر استقلالي.. ديواني الشعري جعل نفوذ شهرتي واسعا.. عرضت علي العديد من الجرائد والصحف العمل لكني أحبّ التصميم أكثر..

اليوم سأذهب للسوق لأشتري بعض الملابس سهيل في رحلة مع أصدقائه، سأذهب وحدي.. كنت أتجول في السوق معلقة بصري بتلك الألبسة، هنا يوجد ملابس كثيرة، وجميلة جداً لكن أغلبها لا يليق بأنثى عربية، فنحن ملتزمون بلباسنا.. لا نلبس القصير.. و(البالكس).. والضيق.. والكثير الكثير.

بينما كان بصري منشغلاً بالنظر على المعروضات عبر زجاج إحدى (الباترينات)، وإذا برجل يهمس بأذني باليونانية..

- من الأفضل أن تبعدى زوجك عن السياسة

ثم وضع قرصاً ممغنطاً في حقيبتى، وقال:

- والآن ستكون عاقبته كما ستشاهدين

لم أحاول الالتفات له، كانت صدمتى تفوق الاستيعاب، حالما استجمعت قواي، والتفت إليه لم أر أحداً؛ كان قد رحل.. بدأت أراجع ذاتي، عن أي سياسة يتحدث؟ ومن المقصود، أيعقل أن يكون سهيل؟ لا لا أعتقد لكن ماذا يحتوي هذا القرص؟

عدت للمنزل أرتجف من الخوف، تناولت حاسوبي وجلست وضعت القرص الممغنط في الجهاز.. لا أستطيع تشغيله، بالفعل لا أستطيع.. ماذا يقصد هذا الرجل؟ أ أخبر سهيل أولاً؟ دامت تلك الأسئلة تزاحمني لعدة ساعات حتى عاد سهيل

جلست صامته.. بادرني زوجي الحديث قائلاً:

- رولين حبيبتي ماذا اقتنيت اليوم..

- لا شيء، عدت مبكراً، أشعر بالتعب..

- ما بك حبيبتي أنت بخير؟

- الآن أفضل حبيبي

هل من الجدير أن أصمت، أم من الأفضل أن أحدثه عما حصل؟ بقيت صامته.. لم أستطع التفوه بكلمة، ولم أستطع النوم تلك الليلة.. صباحاً غادر سهيل المنزل، تكثر مغادراته عندما نعود لأنثينا.. تناولت جهازتي، وجلست.. سأستطيع مشاهدته اليوم مجبرة على ذلك.. وضعت القرص في حاسوبي وبعد قليل من الوقت فتحت شاشة القرص أمامي فإذا به يحتوي ملفات متعددة ومرقمة ١..٢..٣... فتحت الملف الأول وكان يحتوي على مقطع فيديو ارتجفت يداي مؤنبة ما أفعل، لكنني أجبرت نفسي وفتحت الفيديو..

كان المقطع كارثة.. مجزرة قتل لشاب صغير العمر.. قتلوه بصورة بشعة.. أطلقت عدة رصاصات برأسه.. أغلقت الجهاز، وقلبي وجسدي، وعقلي جميع أعضائي ترتجف.. جلست بصمت، ثم هرعت باحثة بين الأوراق التي يخبئها زوجي.. أبحث و أبحث.. إلى أن عثرت على مجلد يحتوي أوراقاً مختومة بختم المخابرات اليونانية، مكتوب فيها معلومات شخصية وعبارات لم أفهمها أيضاً..



أكملت بحثي حتى اكتشفت أن سهيل يعمل مع المخابرات، يعمل  
بسياسة دولة لاتهمنا أيضاً.. الآن أدركت لم كان متعلقاً بهذه الدولة،  
لم كان مصرًا على أن يعيش بدولة ليس لنا فيها شيء وان يمتلك بيت  
فيها.. هو عميل أو جاسوس لا تختلف المسميات؛ فهو بنظري الآن  
خائن.. خيانتة لم تقتصر على المستوى الدولي، بل أصبحت خيانة على  
مستوى العلاقة الزوجية.. زوجة لا تعلم أن زوجها يعمل مع المخابرات  
لصالح دولة لا يمتلك على الأقل جنسيتها.. أمر محال..

جلست أترقب قدومه.. الساعة الآن السابعة والنصف مساءً دقت  
عقارب الساعة وفتح باب المنزل.. عاد سهيل جلس على الأريكة  
مبتسماً.. وقال:

- مرحبا

كنت استشيط غيظاً.. اللعنة بداخلي تشتعل عليه، وألعن نفسي  
لجانبه.. مبتسم أيضاً، وكأنما لم يرتكب إثماً!

لم أكثرث لسلام ابتسامته توجهت نحو الغرفة أحضرت الملف ووضعت  
أمامه.. فهب قائلاً:

- ما هذا؟

- من الأجدر أن أسأل أنا ما هذا؟

- من سمح لكِ بالعبث بمقتنياتى؟

- أرجوك أخبرني أولاً..

- أنتِ من سيخبرني.. لم بحثت بأغراضى الخاصة؟

- سأخبرك.. كنت بالسوق البارحة..

- ماذا حصل؟

- كنت أنظر للملابس، وبسهوتي جاء رجل من خلفي وهمس...

ثم استرسلت بسرد الحكاية، ووضعت جهازى أمامه ليرى القرص الذي لم أتمكن من إكماله لخوفي، أو لرعبي؛ لكن شعوري لا يهم حالياً.. بعدما شاهد محتواه جلس بصمت.. ثم قال:

- رولين.. أنا أحبك، لكني أجبرت على أن لا أبوح لكِ بهذا السر خوفاً من أن تبتردي عني..

- تخفي عني سرّاً كهذا؟

- كنتِ ستمنعيني حتماً

- أيمنك لأنثى أن تترك زوجها يخوض بمتاهاة كهذه؟

- هذا عملي

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

- ليس عمك .. لو كان كما تقول لبحث لي به .. لم اعتبرته سرّاً  
ها، هيا أخبرني؟

- أرجوكِ كفي

- لن أكف هيا قل لي بالتفصيل

- سأقول .. حاضر كما تريد .. أنا عميل مخابرات مزدوج ..

- ماذا ! مزدوج ! يا الله !

- نعم أعمل لصالح اليونان والأردن معاً .. لا أحد منهما يعلم بطبيعة عملي للجانب الآخر .. في الآونة الأخيرة كشفني رجل مخابرات يعمل لصالح السلطات اليونانية .. رجل يدعى رامي وقرر أن يلاحقني، يريد مني الانسحاب والا سيكشف أمري للجميع .. كنت مسؤولاً عن نقل أخبار ركاب الباخرة، وأحاديث القباطنة في الميناء وخطط المستوردين وتجار المخدرات وبعض رؤوس المافيا ممن لي ارتباط وعلاقات معهم .. اكتشفت أمر تهريبه للمخدرات عبر الناقل النفطية، لكنه قوي ولا يمكنني أن أخبر عنه لسببين: الأول: إنه من أكبر تجار المافيا ويعمل بالمخابرات أيضاً، والثاني لأنه اكتشف أمر عملي لصالح الأردن ... لا يمكنني الانسحاب الآن، لا أستطيع ..

- لم لا تستطيع؟

- لدي أسباب خاصة لا يمكنني البوح بها .. رولين لقد آذاني من قبل، أنا في دوامة لا أستطيع الافلات منها. سيقتلونني أرجوك تفهمي أمري

- خاصة مثل ماذا؟

- رولين أرجوك حافظي على حبنا..

- أي حبّ هذا الذي تريد في ظلّ كذبك

- لست كاذباً.. مرغم أنا كما ترين، أنت أول من عارض الفكرة كيف سأبوح لك.. قبل ارتباطي بكِ ارسل لي رجال أنهكوني من الضرب لكنني لن انسحب محال.

- أرجوك سهيل، أنت رأيت بعينك ما الذي حصل لهم أريدك بجانبني، لا تنزع سعادتنا أرجوك!

- لا يمكنني الانسحاب سأبقى بالمخابرات..

- أرجوك

- أنصتي لي أنا لست رجلاً فعلاً في الحكومة الأردنية، أنا أعمل بفاعلية باليونان.. سأستمر هنا.. لن أترك عملي..

- ستتركني إذا

- من قال؟

- لكنني لن أبقى مع رجل خائن

- خائن! أنا؟

- نعم، أنت تخون وطنك..

- بالله عليك كفي

- ماذا يسمى هذا؟

- حرية..

- حرية! لكن حريتك لك مادمت تسير بطريق العصيان..

- هكذا تحسم الأمور بالنسبة لك؟

- نعم.. هكذا

- ليكن.. لكن تذكري أن منزلي هذا أمتلكته بسبب عملي بالمخابرات،  
وسيارتي التي أمتلكها أيضاً من مردود العمل بالمخابرات، حسابي  
بالبنك، زواجي منك..

- جميعها باطلة؟

- أي باطل هذا، أرجوك يكفي تمثيل، كلام المسلسلات هذا لا يملأ  
رأسي.. أنا أحبك لكن هذا عملي، أيعقل أن أتنازل عن وظيفة بسبب  
رجل كرامي!!

رامي.. رجل مخابرات قوي له مكانة بارزة.. رجل من أصل روسي  
يعمل عميلاً مزدوج لصالح دولتين بالسر أيضاً.. يتنافس هو وسهيل

على رتبة نجمتين.. رجل هجومي ظالم مستبد وجريء التصرف، ذو قرارات حازمة عندما يريد الشيء يفعله رغم أي ظرف..

أن تبدأ باللعب مع رجل كمثلته يتطلب منك أن تحدد تصرفاتك وتدرس خطواتك.. وأظن أن سهيل لا يمتلك إمكانيات اللعب وفق قواعد.. هو كمن يلعب القمار بحظه، طيش دون دراسة، ومن يمتلك الحظ لا ينجو به دائماً؛ فبعض الحظ يعد نقمة.. الحظ كحبة كستناء تنضج على جمر خفيف وإذا لم تكن مثقبة جيداً ستنفجر حتماً، ولن تتمكن من تذوق أي جزء منها سوى اشتمام رائحة الرذاذ..

أن تجرب الخوض فيما لا علم لك به فهذا يعني أنك تحاول اللعب بالنار، تجربة اللعب فيها تتطلب منك أن تكون بهلوانياً خفيفاً أو طفلاً غير مميز.. أن تكون بهلوانياً فاحتمال الخفة لديك يبلغ مستوى عالياً جداً يفوق الرزانة الحقيقية..

أظن أن زوجي رجل متعجل يطمح لبلوغ مدارج الكمال، هو يتهيأ له الكون كصفوف من أبراج الحمام، كلما كثر حظك ومالك اسهمت بشراء حمام يستوطن تلك القمم.. أليس الحمام لاعباً مخادعاً يجلب لصاحبه الشتيمة والرفض من المجتمع، وأن تكون كحمامة فهذا يعني أنك رجل جذاب من الخارج منمق من الداخل، لحملك مر وريشك شائك.. من يقترب منك يجب أن يتلذذ بقتلك لا بأكلك..

كانت سهام المعركة متشابكة يعم شرارها سماء أئينا.. كنت كأولئك  
المواطنين المستبدين.. جبهتان تقصفان مدينة واحدة، من أي ناحية  
سأستطيع التحكم لرد تلك الهجمات، أأخذ وجهتي الأولى أم الثانية؟  
الحيرة ذنب لا ذنب لنا به، أن تحترق فهذا يعني أنك ملقى في متاهات  
من الرحيل المستعجل والبقاء الحتمي..

وبعض البقاء مشاركة بجريمة لا ذنب لك فيها؛ لذا قررت الابتعاد..  
تمالكتني تلك المدن المسرجة بحريير الحبّ الأحمر، لكن ضميري ينبض  
بعناقيد النخوة.. دم لا يمكنه أن يتبخر.. لذلك قررت الابتعاد عن  
مؤامرة ستفضح حتما في معاجم الوطن..

لي مشاهد مع رفض الوجود

ولي ذاكرة لم تستوعب من حياتي سوى،

رقاع وقماش وعصا وطقم أسنان متهرئ..

\*\*\*

لخيال الغروب روح شبه مشقوقة

مقسمة لأنصاف،

كفتات خبز ضرير يلوح على منضدة الطعام..

\*\*\*

وسقوط الربيع شبيهه بلمحات الخريف بناظري..

ربّما هرم القلوب يؤدي بنا للكهولة..

ربّما ضعف البصر

يجبرني على تخيل المشاهد الواضحة شبه سقيمة

مشوّهة أو منقوصة الكمال..

لكنّي أدرك جيدا

انّ مشهد حقيبتى السوداء واضح دون غموض..

\*\*\*

ربّما الوطن مظلوم،

أو ربّما ملّ الحنان وتربص الجور..

ربّما سئم التراب من الإهانة..

و ملّت الرمال خُطانا الفضة..

وحال الزمن بروحي لتلك العصا والحقيبة السوداء..

جهزت حقائبي مساءً وجمعت كل ما أملك بعدما قرر رفض حبّنا

مقابل عمله.. الألم الحقيقي يكمن باكتشاف الحقائق.. أن تكتشف أن



حبك الذي رهن ليمين أحدهم لا يساوي شيئاً، وأن بسمتك التي أرسلت عطاء لوجهه لا تقدر بثمن، وحياتك التي نزعتم أغلفتها لتصبح مقيدة بفلاف وجوده، ها هي على وشك أن تكشف عورتها أمام الجميع.. هذا ما يسمى بالافتقار الحقيقي..

جلست صباحاً احتسي جرعة من الألم، صباحي ليس كعادته لا يحتوي حتى بقايا قهوة.. انتظرت أن يصعد للمنزل، أمضى ليلة أمس في السيارة، لا أعلم أ غفت جفونه كالعادة أم أنه متحسر ومتألم لما حصل؟ انتظرت إلى أن حلّ الظهر صعد للمنزل صوت مفتاحه قرع كجرس كنيسة بأذني..

- ما هذا؟

- ألا ترى! حقائبي..

- لم حضرتها

- أنت الذي اتخذ القرار

- أين ستذهبين؟

- أينقصني شيء! يمكنني الذهاب لأي مكان يحتوي حقائبي..

- يمكنك البقاء هنا من يتوجب عليه مغادرة المكان هو أنا.. سأعود

للباخرة يمكنك البقاء في منزلك

- لا أريد، هو منزلك أنت

- رولين أرجوك لا تغضبيني.. هو منزلك ستبقين هنا حتى ينتهي عقد عملك، ولن تريني هنا أعدك..

ذهب لغرفتنا.. غرفتنا التي ستبقى غرفتي وحدي.. ما يؤلك حقاً هو افتقاد من كان مشاطراً لك بكل شيء تملكه عدا فرشاة أسنانه.. الغربية تهش عظام أحدنا بالوحدة، هي تبدع بنهشه وهو وحيد.. الضعفاء دوما يشغلون فرص الوحدة.. أن تكون وحيداً فمجال التكاثر عليك متاح، والإجرام بك متاح وفتح دفاتر ذكرياتك متاح حتى في مناماتك..

مضى على دخوله الغرفة نصف ساعة، تبعته قدماي بقيادة الحب؛ الحب أرغمني على اتباعه، فهو يقيدني بالسلاسل والأغلال.. يجبرك الحب على الطاعة على أن تكون طائعاً لذاك الوحيد الذي يحكمك.. السلطة الوحيدة هي دوما التي تتجح.. لذلك فان القلب هو من ينجح بامتلاكنا دائماً وأبداً.. تذكرني مطاوعتي هذه بمطاوعة النوتات لسلم الموسيقى.. وبخضوع الحرف وإذعانه للأبجدية والسطر معا.. وبامتلاك الأم لطفلها.. وبالروح التي ترغمننا على البكاء والضحك متى تشاء هي..

دخلت الغرفة، وجلست على المقعد الذي يقع أمام السرير بأئسة حزينة.. ما عساي أن أقول لرجل كتب بيده نصّ التخلي.. غرس نبتة العصيان قرب نهري.. جرح جزءاً من جسدي وترك الدم يسري.. ماذا عساي أن أقول لمالك قرر التنازل عن ملكه دون مقابل.. عن رجل دفع ما يملك لاقتناء تحفة

يزين بها مدخل بيته وكسرهما بلحظة غضبه.. ماذا عساي أن أقول لرجل باع جزءاً من أعضائه دون وجه حق.. بالطبع سأبقى صامته بحضرة مهزلته..

اقترب مني ولف ساعده وطوقني.. ثم قال لي:

- سأبقى أحبك اعذريني فالتخلي عنك كان رغباً عني.. لن تنفصل مهما حصل اعذريني مرة أخرى حبيبتي.. ربّما تطوف توالدات مخاض الحرف في ثوران بركان فكرك، لكني سأحمد نارك بتراب رحيلي علّ ترابي يخفف ثوران قلبك.. لا تدرّ في الدمع فإن رجلاً مثلي لا يستحق ثمرة حبك.. احفظي لي ما كان ذات يوم سرّاً في بحر قلبك.. فان الأسرار كشفت، ولم يبق لي سوى ذكريات تدعن للكون بحبك.. عذرا يا مزدوجة الروح فاني رغم ازدواجية عصياني سأبقى عاصياً وأحبك..  
غادر والدموع تطوق مقلتي تاركاً مفتاح سيارته على مدخل الباب..

أذكر أنني منذ وداعه بقيت ملقاة على تلك الكنبه، لم أقترب من السرير أو من غرفتي إلا لتبديل ملابسني.. رحل ولم يفكر أن يرسل لي رسالة نصية واحدة.. كان يصلني ظرف يحتوي على مال في مطلع كل شهر، كنت أنظر له و أتركه جانباً لأعطيه إياه بعدما يعود من البخارة لم أحتمل نفقة يهديها لي أحدهم..

هو الآن أحدهم.. عاد كما كان سابقا رجلاً غريباً.. مضى على مفيبه ستة شهور.. لم أره لنصف سنة كاملة؛ هذا ما يصنف بالهجران

الحقيقي.. أن يهجرِكَ رجل لم يتحمل غيابك عنه لساعة واحدة يعني  
أنك افتقدت حباً.. أوليس الحبّ كلّم يدمي أرواحنا؟  
فكتبت للهباء..

باتت تقتلني خناجر سمّت.. وسطور محيت من تلك الذكريات؛ وما  
زالت تدميني كل يوم وتنزف في دفاتري المُكلمة.. مازلت أتألم على رنين  
كلمة بدأت بها حكايتي وانتهت بترداد نفس الكلمات..

أتدري ان الزمان دوار" وأنا الآن أختم روايتي الممزقة بنفس  
الكلمات.. اختلاف الموقف لا يفريك عزيزي لعدم توافر الإمكانيات..  
لعدم قدرتي على استيعاب النهاية فحكم عليّ قدري أن أعيش كذبة  
حكموا عليها بالجمال..

هم لا يدرون أن جراح القلوب تبقى تلازمنا حتى نواربها التراب، وأن  
قلباً مولعاً سيحكم عليه بعذاب جحيم مؤبد بجهنم الدنيا، وجهنم الآخرة..

في البداية كانت تسرد لنا حكايات كره الأحباء كتلميح لنا، لنعرف  
نهاية الطريق.. لكني بغبائي يا عزيزي لم أستطع يوماً تخيل الأمل الذي  
بنيته فوق التلال و الأطلال سيرمي بي فوق السقوف ويغادر لمجرد كلمة  
قيلت ليس لها مسوِّغ في عهودهم..

أراك كذبة من كذبات نيسان، عناء أولعت به القلوب..

إلى من قرر يوماً مرافقة الهناء، احذر من اصطناع الوعود واختلاق الأقسام لتبرئ بها ذمة عوجاء.. بعض الجروح تأتي لتعلمنا الوفاء، و أخرى تأتي لتسد ثقباً محفوراً بالقلوب.. تكويه بنار الحرقه ليصمد في زمن لم يتعوده من كثرة الدلال..

بعض الأحبة يفضلون فراق روح لمجرد اتصافها بالجمال والدلال، يريدون قلوباً من لهيب الشفق المعطر بالدماء.. تدمي وتدمع قلوبهم.. فكر ملياً بمن ترافق دائماً حتى لا تصب بصدمة من الحياة.. ففشلك في بعض المسائل قد يكون نجاحاً فلا تعجل بحكمك على الأشياء..

ربما كنت جاهلاً إذ لم تفكر يوماً بذكاء! إذا اخترت طلب المحبة و الوفاء دون امتحان أو عناء فبعض القلوب لم تهوْ منك إلا ابتسامة تمضي بها الحياة دون عناء.. إخلاص المرء في الحياة مذلة فابق حريصاً دائماً أن لا تسير وحدك في الظلمات.. فلا تمشي بمفردك عزيزي فالوحدة تحكم على الأحياء بالجفاء..

يحتاج عشقك أن يرتوي بالمياه، فالماء سرّ الحياة.. و إذا غادرك حبيبك يوماً لتصرف كنت متخذة بغباء! فاعلم أنه لم يحبك ساعة؛ فالحب كل دقيقة تذكّار.. من يهوى قلبك لن يتركه ساعة فما بالك فراق الأيام... حاذر أن تضيع قلبك مرة أخرى... فتكرر وتعاود الإبحار، من خاف أن تغرق سفينته سيبتعد عن الجروح وتجرح المزار..

من اكتوى بنار العشق حرقه! سيدرك جيداً لم خلقت النار.

## ازدواجية التعلق



" الحياة مجرد التقاطات زمنية ناجحة أو فاشلة.. فاحسن  
التقاط لحظتك فهي الوحيدة التي ستنشر على مناشر القدر.. "

ربا قنديل



أن تستلقي وروحك متذكراً تلك الذكريات حدث غير معهود (فالتذكار شكل من أشكال اللقاء) كما يقول جبران خليل جبران.. لقائي به على ذلك المقعد كان غريباً.. أن تلتقي شخصاً غادر حياتك منذ زمن أمر غير معتاد أظن أن الأمنيات تتحقق معاً، كم تمنيت الجلوس في تلك الناحية المليئة بالأشجار.. أن ألتقي به ولو صدفة كانت أمنية أخرى.. ها قد تحققت أميستي في ظرف لم أكن فيه على استعداد للاستيعاب.. فالعقل يتوقف عن الحراك بعض الأحيان..

في تلك المدة كنت جالسة أسترجع ذكريات حبي له وبداية الارتباط، وها أنا قد استطعت التخلص من تلك الذكريات الآن.. كما يتوقف جسدي الآن عن الحراك.. أظن أنني أثرت بداخله نزعة كتلك التي أثرت في زوايا روحي..

الفراق يجبرك على النسيان، وما ان يتسنى لك تجاوز ماضيك حتى تحن للعودة له.. أظن أنه حنّ لي على أغلب الأحوال..

اكتشاف في جاء بعدما رن هاتفي..

تراقصت تلك الرنة التي نسيت أن أزيلها.. وأظن أنني نسيت إزالة  
كلمة حبيبي أيضاً.. فمنذ زمن لم يرقص هاتفي بهذا الفرح.. رددت  
على المكالمة بصمت

- ألا تريدان الحديث معي؟

صمت أيضاً

- لم أجبت إذا لم يكن لديك ما تبوحين به؟

- أهلاً

- كيف حالك؟

- لقد رأيت أنني بخير

- محبس زواجنا ليس بيدك؟

- لا أحتاج لما يربطني بك إذا كنت لا تسأل عني..

- أعتذر، لكننا لم ننفصل أرجوك أعيديه ليديك

- أ يزال المحبس لمجرد الانفصال فقط؟

- أنت وعدتني، ألا تذكرين؟

- ليس شأننا مهماً، فقد سجلت لي وعوداً لو كتبت بالحبر لملاآت السماء والأرض معاً..

- رولين.. أحبك.. لا أستطيع العيش دونك.. لا أحتمل فراقك..

- هذه المشاعر فاضت بك الآن فقط.. لمجرد رؤيتك لي.. من استطاع الابتعاد لمدة ستة شهور يستطيع الرحيل مدى العمر!

- هلاً فتحت لي الباب؟

- أ أنت بالخارج؟

- نعم، مذ غادرت وأنا اتبعك.. افتحي أرجوك

فتحت الباب كان جالساً على درج البناء.. لا أعلم لم صبر كل هذا الوقت.. وكأنما انتابه إحساس بأني مستلقية بتخبط، و إني بحاجة للراحة مما فعل بي..

بعض الذكريات تحضر بتحقق المواقف فقط، أن تجبر نفسك على تناسي أمر ما فهذا يعني أن خيالك قرر سد باب الذكرى في وجه الموقف، وحتما سيفتح بحضوره.. تماما كما أتيح لذاكرتي الانفراش بعرض الطريق أمام تذكار وجهه..

أشرت له برأسي ليدخل، وجلست على ذلك المقعد الشاحب وانتظرت دخوله. متذكرتاً قول باولو كويلو: (الانتظار مؤلم والنسيان مؤلم أيضا،

لكن معرفة أيهما تفعل هو أسوأ أنواع المعاناة) ، مرّ على فتح الباب عشر دقائق، وإذ بي أسمع صوت الباب يفلق.. دخل ذاك الغريب العائد بطابع زوجية وملصق حُبّ غائر وقبله غير مفعلة لمقاة بأرشيْف الماضي..

جلس صامتاً.. للمرة الأولى أرى انكساره، أن تعهدي رجلاً منكسراً هو أسوأ عهود الحياة المتحققة .. برع بإغرائي بانكساره؛ كانت عيناه تتشدان إخفاء الدموع، تموّج عينيه مع الحمرة، جعلهما مفتسلتين بلون الحبّ.. أدرس تفاصيله من جديد، أعتقد أنني نسيت كل تفاصيله بسبب الألم..

بادرني على غفلة قائلاً:

مكتبة الرمحي أحمد

- أنا موافق

أجبت باستغراب..

- على ماذا؟

- أنا موافق على أن أتخلى عن عملي مقابل بقائي بجانبك..

- ألا تعتقد أن التخلي في الوقت الراهن صعب..

- لم؟ سأواجه كل الصعاب لأجلك..

- الآن، ما الذي خطر ببالك؟

- الآن نعم.. أنا لا أستطيع التخلي عنك..

- وكيف يمكنني تصديقك

- سأتي لكِ بنسخة استقالة موقعة..

- والنسيان، من أين لي أن أحصل على نسخة منه؟

تذكرت قولاً لأحلام مستغانمي لمع بذاكرتي كالبرق: (ما النسيان سوى قلب صفحة من كتاب العمر.. قد يبدو الأمر سهلاً، لكن ما دمت لا تستطيع اقتلاعها ستظل تعثر عليها بين كل فصل من فصول حياتك)..  
سأبقى عائرة عليك ما دمت عالقاً بتفاصيلي.. لذلك قرر قلبي دون استشارتي أن يعود لك..

- أوافق لكن بشرط..

- لكِ كل الشروط..

- أن لا تعود لهذا المنزل إلا بنصي استقالة، الأول من المخابرات الأردنية والآخر من اليونانية..

- حاضر سأعود بالنصين لكن يلزمني وقت، لذا لدي شرط واحد

- ستضع شروطاً؟

- نعم، وعليك الموافقة

- لست موافقة..

- هكذا، لتسمعي أولاً..

- هيا قل

- سأراكِ كل ثلاثة أيام.. إلى أن أحضر لكِ توابيع استقالتني.. الأمر  
لن يطول.. أسبوعان يكفيان

- سأفكر..

- ليكن.. بانتظار أميرتي..

غادر هو بابتسامة، وبقيت انا بقلب يرقص على أعتابها فرحاً.. وكما  
يقول برتون: (ليس ثمة حبال أو سلاسل تشد بقوة أو بسرعة كما يفعل  
الحبّ بخيط واحد).. أهداني قبلة بعد غياب، القبلة أجمل ما يهدى  
لأنثى حزينة أنا الآن وحيدة بقلب يتضور حباً.. دخلت غرفتي بمزاج  
جديد، أظن أن الجدران أحسّت بتفاصيل فرحي.. توسدت كنبتي  
كالعتاد، لن أنام في تلك الغرفة إلا برفقته..

أجمل ما يهدي الرجل لامرأة التخلي عما يحب لأجلها.. من أجمل  
هدايا الحياة التي تلقيت.. في هذه الليلة ودعت النوم وأغلقت الباب  
خلفه وبقيت مستيقظة للصباح.. أظن أن الحظّ عاد لتوقيع محالف  
آخر معي..

لكني الآن من انتصر على الزمن..

مرت أيامي الثلاثة اليوم موعدي معه، سنتقابل، كنت مجبرة على الموافقة على شرطه لسلطة قلبي القوية.. تركت عملي مبكراً وذهبت لتصفيف شعري.. سأخرج بحلة مكتملة هذا اليوم.. هنّ الإناث يتجاوزن حدود الثقل لمجرد إرضاء رجل.. لذا تبلغ النساء من الجمال ما يضاهي مخلوقات الكون يوم لقاءها معشوقها.. عدت مسرعةً لمكتبي سيأتي ليصطحبني للغداء وسنمضي أجمل الأوقات معاً..

هاتفي يرن، جاء سهيل الآن.. أجبته مكالمته ثم نزلت بعد عشر دقائق.. التأخير نوع من الثقل.. وهذا ما يدعى بدلال النساء أيضاً.

- مساء الخير..

- مساء الورد جميلتي.. هذا الورد لكِ

(الجوري المخملي، ما أحببته منه)

- أشكرك.. رائحته جميلة..

- أنتِ التي فُقتِ الورد جمالاً أراكِ كل يوم أكثر جمالاً.. ألوم نفسي على تركِ حسناء مثلكِ.. أيعقل؟ حتماً جننت.. رولين أتقبلين بي من جديد، سامحيني على ما فعلت، أعدك أن غلطتي هذه لن تتكرر..

- مممم.... لا أعلم، الأيام كفيّلة لتبرهن.. والآن أين ستصطحبني؟

- الى منطقة تدعى (ميتيورا)

- (ميتيورا) أين هذه المنطقة؟

- ستعلمين بعد قليل..

مفاجأة أخرى يبدو أن المكان جميل.. مضى على ركوبنا السيارة نصف ساعة..

- سهيل هذا طريق المطار أليس كذلك؟

- نعم طريق المطار..

- سنعود للأردن؟

- لا، حبيبتي لن نعود، سأخذك لـ مكان ساحر..

- ساحر! وهل بقي سحر لحد الآن؟

- بالطبع هناك الكثير من السحر..

التلاعب بعقول النساء أمر بسيط جداً.. يمكنك إغراء أنثى بابتسامة واحدة.. وإغوائها بقبلة.. يستطيع رجل التحكم بإحداً كما يتحكم بعقارب الساعة..



- تفضلي غاليتي..

- لم جئنا للمطار؟

- ألم أقل لك أريد اصطحابك لمنطقة (ميتيورا)

- و أين تقع هذه المنطقة؟

- وسط اليونان وتحتاج لأربع أو خمس ساعات من الوقت إذا أردنا الذهاب إليها بالسيارة.. لذا قررت أن نذهب بالطائرة..

- ولم نسافر ونقطع مسافة شاسعة كهذه؟

- لإسعاد أميرتي، ألا يحق لي إسعاد طفلي المدللة..

(ضحكت باستهتار) أعتقد أن حجم كلمي مازال يخزني للآن.. يريد التكفير عن ذنبه، أظن أن الرجال مغلطون يظن أحدهم أن جروح النساء كبقع الماء تمكن أزالتها بمجرد تعريضها للهواء..

صعدنا للطائرة.. لا تحتاج تلك المدينة المثيرة وقتاً طويلاً بالجو وصلنا بسرعة.. أخذني لذاك المكان وصدق عندما أجاز التعبير عنه بالسحر.. هو ساحر لحد رهيب؛ صخور معلقة بالهواء، مروج خضراء، ينابيع وطبيعة مغرية.. هذا ما بحثت عنه دوماً.. تلك المناظر طبيعة أولى من كتب خيالي التي طالما ألفت.. أن تسكن ريفاً كهذا فأنت في نعيم وجنان..

صعدنا سلماً خشبياً طويلاً.. وأخيراً وصلنا لذاك المنزل، هو كالمنتجع فعلاً، الجو جميل ومريح يمكننا قضاء رحلة تاريخية.. هي من أجمل ما أهداني في حياتي.. الرجال سواء كثيراً ما يسعون لإرضاء نساءهم بالمجوهرات، ولكنه الوحيد الذي يدرك متطلباتي اذ يعلم جيداً ما يرضي امرأة برجوازية مثلي ما يرضي أنثى مزدوجة كأننا..

أن تتنازل امرأة عن شرطها أمر سهل جداً، يكفيها شيء من الاهتمام لتترك ما بنت من قواعد وشروط.. وهذا ما حدث، ما إن دخلنا ووضع حقائبنا بالفرفة؛ حتى عاد بابتسامة حبّ.. أن يلمس زوجك يدك بعد طول غياب أمر يجعلك فائقة الجمال، ويجعل التمتع عينيك يضاهي بريق النجوم، ويجعل قلبك مجرة متسعة.. يقال إن اللقاء بعد فراق طويل خير من ليلة الزفاف..

أمضينا في تلك المنطقة إجازة جميلة.. مضى أسبوع يعد من أجمل أسابيع حياتي.. شهر غسل جديد.. لا بأس بالتجديد بين الحين والآخر..

\*\*\*

عدنا اليوم لأثينا.. اشتقت لمنزلي أشعر أنني افتقدته منذ زمن، في الطريق كنا نستمع لإذاعة يونانية كانت تبث أغاني جميلة..

وصلنا لثقتنا وفتح سهيل الباب.. وإذا بظرف ملقى على الأرض فتح سهيل الظرف، وابتسم ثم أعطاني إياه موافقة على استقالة سهيل من

المخابرات الأردنية سعيدة أنا بهذا الخبر.. وصل اثبات حبي الأول هو فعلا قدم استقالته كما وعدني.. ولكن شرطي لم يكتمل يتوجب عليه تقديم الموافقة الثانية والتي تعد خيانة عظمى بالنسبة لي.. العمل لصالح دولة لا تعيننا خيانة عظمى، يقول أبو بكر الصديق: ( أصدق الصدق الأمانة، وأكذب الكذب الخيانة).

- بسرعة جاء الرد؟

- أنا مفترب لاحاجة لهم بي..

- وماذا عن استقالتك من هنا؟

- سيصلك الظرف لكن تحتاج لوقت أطول..

كان يمضي ايامه برفقتي كنت أذهب لعملي يوميا، نظام عملي هناك لا يقترن بساعات.. نظام العمل بتلك الشركة جميل يتطلب منك أن تعمل لإنهاء ما أوكل إليك، حتى لو تمكنت من إنجازه في ساعة واحدة.. الأهم هو الإنجاز لا الارتباط بالوقت.. وبطابع أني مصممة ديكور مخصصة لعملي، فهذا أمر بسيط..

مضى على إجازة سهيل ثلاثة شهور ونصف الشهر.. اصطحبني اليوم للغداء.. منذ زمن لم يأخذني مشواراً كهذا أحب مرافقته دوماً هو رجل مثالي بالنسبة لي.. اليوم قررنا أن نذهب لمكان شعبي يقع بمنطقة قريبة من حيناً.. طلبت أن نذهب مشياً، لم أمشي منذ وقت

طويل، فمنذ عودة زوجي لم أعد أرتاد النادي الرياضي.. ولم أعد أمارس ما اعتدت ممارسته كالجلوس بتلك الناحية الجميلة التي طالما تمنيت.. ولم أعد أتناول صفحة الأخبار.. فقد عدت كما كنت سابقاً..

كانت خطانا مغزولة بالحبّ تأكدت الآن أن حبه لي كبير جداً.. الفراق مكنّ الحبّ في ثنايا شرايينه؛ فهو أفضل معلم للقلوب.. أجمل ما في الحياة أن تشعر بحب فارقك من جديد شعورك مشابه لشعور شخص مختنق عاد له النفس من جديد..

كان يغازلني، أذكر أنه تلا على مسامعي تراويل الصبابة كان ودوداً جداً، ذاك المشهد الغرامي مازال عالقاً بفكري.. أذكر ما قاله لي أخيراً "أنتِ نجمتي العالية" .. ونَجَمَت به طلقات النار ثم سقط طريق الأرض.. افتقاد جديد أن تفتقد أنثى أعلى ممتلكاتها فهذا طريق للجنون.. و أظن أن القدر قد حكم عليّ بالموت العلني.. ان تُحرم ممن تحب هذا فعلاً ما يسمى بالموت العلني.. صرخت بأعلى صوتي..

- سهيل حبيبي.. أجيني أرجوك.. أرجوك أجيني؟

هو صامت؛ في طفولتي أتقنت الصمت على الجثمان الأول، لكنني لن أكرر فعل ما ندمت عليه مع الجثمان الثاني

لم أتذكر ما حصل.. أذكر أنني فتحت عينيّ على سرير أبيض وسماء  
بيضاء.. هي غرفة المستشفى.. هرعت باحثة عنه في تفاصيل تلك  
الزوايا.. أخذت أصرخ..

- أين زوجي.. سهيل أين أنت؟

جاء أفراد الكادر الطبي.. الجميع يتحدث اليونانية.. يبصرونني  
وكأنما جسدي تحفة نادرة جاءت من متحف اللوفر.. سألتني الطبيب

- أيمكنك التحدث باليونانية؟

أن تتحدث بلغة ليست لفتك الأم.. بموقف كهذا يتطلب منك التفكير..  
أجبت بعد طول تفكير

- نعم..

- عظيم..

- أرجوك أخبرني أين زوجي، ماذا حصل له؟

- اطمئني هو بخير..

- خذني إليه، أريد رؤيته..

- سأخذك.. لكنك الآن متعبة ستذهبين في وقت لاحق..

- قلت لك أريد رؤيته، خذني الآن

- حسنا حسنا ، سأأخذك..

في الطريق كنت جالسة على كرسي ذو عجلات؛ هو كرسي المقعدين  
يجلس المرضى عليه للتنقل أو لتغيير الجو.. كنت متعبة جدا..

- أرجوك أخبرني كيف حاله، ما الذي حصل له؟

- أصيب بعيارين نارين

- طلقتين!

- نعم الأولى بفخذه، وليس لها أثر فقد جاءت متطرفة.. أما عن  
الثانية..

- ما بها؟

- بالكبد..

- الكبد، أ مات زوجي؟ أخبرني، أرجوك؟

- لا .. لا هوحى.. لكن وضعه الصحي سيء..

وصلنا لغرفة الإنعاش.. تمكنت من رؤيته عبر الزجاج.. دموعي  
تنسكب رغماً عني، كما يقول شكسبير: (الدموع دليل المحبة لكنها  
ليست العلاج).. تركت المقعد المتحرك وتوقفت بجانب زجاج غرفته..  
لم يسمحوا لي بالدخول.. هو في حالة خطرة هذا ما قاله الطبيب وما

علق بذهني.. جاء الكادر ليأخذني لغرفتي لكنني صممت على البقاء بجانبه..

وبعد محاولات كثيرة لاقناعي بالعودة الى غرفتي أحضروا لي كرسيًا ثابتًا لأجلس عليه بجانب الزجاج.. وتذكرت قول ألبيرت أينشتاين: (في المدرسة يعلمونك الدرس، ثم يختبرونك، أما الحياة فتختبرك ثم تعلمك الدرس).. وهذا حقًا ما فعله سهيل، هو قرر أن يجرب أولاً، ففشل بالاختبار.. ليتعلم الآن درساً لن ينساه طيلة حياته..

أمره انكشف... أن يتجرأ رجل مخابرات على إيذائه أمر صعب، لذا فهو مدعوم بما يكفي ليتجرأ على إيذاء مواطن عربي كسهيل.. بقي زوجي في خطر لمدة تسعة أيام، وبمجرد أن زال الخطر عنه جاء رجال الأمن ليروه.. كان نائمًا لم يفتح عينيه بعد.. زوجته بانتظاره هذا لا يهمهم، الأهم أن يقابله هم أولاً.. لكنه لم يستيقظ رغم زوال الخطر عنه!

استيقظ صباح الأربعاء، من غيبوبته التي استمرت سبعة عشر يوماً.. نصف شهر تقريباً، رقم لا بأس به فبأي حق سيأخذون أقواله.. دخل رجال الأمن للغرفة ثم خرجوا الآن جاء دوري أريد رؤيته.. وما ان تهيأت للدخول حتى منعني رجال الأمن.. فبادرت احدهم قائلة: قلت لك أريد رؤيته..

- لا نستطيع..

ذهبت لمركز الأمن شاكية ما حصل .. حولني الرائد لرجل مخبرات ..  
دخلت غرفته بشموخ ..

- مرحبا

- أهلاً

- رولين

- تفضلي سيدتي

- زوجي يدعى سهيل .. هو في المستشفى المركزي ..

- سهيل زوجك؟

- نعم ..

- وما المطلوب؟

- أريد رؤيته، ورجال الأمن يمنعوني ..

- وهل تعلمين أن زوجك عميل مخبرات؟

- نعم أعلم ..

- ويعمل لصالح دولتين؟

- نعم أعلم ..



- وهل يحق لك رؤية هذا المنافق؟

- منافق.. أمر لا يعنيني؛ يعنيه هو فقط.. أريد رؤيته..

- لن ترينه..

- بل سأراه..

- حسناً.. ستمكنين من رؤيته..

وبعد جدال طويل أعطاني ورقة ليسمح لي رجال الأمن برؤيته.. وقال

لي وهو ممسك بها:

- لم أعلم من قبل أن النساء العربيات يحملن إصراراً بحجم الكون،

لم أعطك الورقة لرؤية زوجك، إلا لإعجابي بحضرتك الذي جعلني

مقيداً رهناً طلبك.. يمكنك رؤيته الآن..

أخذت الورقة وغادرت المكتب سريعاً.. عدت للمستشفى، كنت

مرتبكة ومحطمة.. دخلت قسم الإنعاش (العناية المركزة) وتوجهت

نحو الضابط وأعطيته الورقة البيضاء..

- حصلت على إذن.. ستمكنين من رؤيته لكن بوجود شرطي..

دخلت بصمت و أمسكت يده، كان شاحب الوجه وعيناه محمرتان،

والزراق يعم جفنيه.. همست له:

- أحبك..

هو لا يتمكن من محادثتي.. فهو متعب أذكر أن عينيه غفتا برفق على يدي.. الوقت المسموح لجلوسي معه عشر دقائق.. انتهت كلمح البرق.. غادرت الغرفة متجهة للمختبر أشعر بتعب شديد يستولي على جسدي لا أستطيع الحراك، جسدي هزل، ولا طاقة لي على الاحتمال، لا شهية لي حتى لشرب الماء..

أخذت الممرضة عينة دم مني و عدت لمنزلنا أشعر بدوار الآن انتابتني الراحة للاطمئنان عليه.. أنتهشني النوم بسعار رهيب كأنما أصابه الجوع لمجافاتي.. استيقظت صباحاً كانت الشمس ساطعة غادرت منزلي وبرفقتي حقيبة لزوجي هممت لأصعد سيارتنا، وإذا برجل يركب لجانبي..

كان قوي الملامح.. ضخم البنيان.. قال لي:

- اصمتي.. أريد التحدث معك بشأن زوجك..

هددني بالسلاح.. التزمت الصمت، النساء ضعيفات رغم القوة التي تستوطنهن..

- زوجك لم يأبه لما قلت..

- أنت رامي؟

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تليجرام

- نعم.. لذلك أستوجب ضميري أن يهديه عقاباً صغيراً لمخالفته الأوامر..

- أنت حقير..

- اصمتي، و إلا نلتِ نصيبك، زوجك سيطرده الآن من هنا..  
سيمنع من دخول هذه البلاد مرة أخرى.. هو أقل عقاب يمكن أن  
يناله مخادع مثله..

- هو مخادع حسب وصفك.. و أنت ماذا؟

- قلت لك اصمتي.. لا تثيري غضبي..

- لم أطلقت النار عليه؟

- هو يستحق..

- لكنه قرر الانسحاب..

- هو تجاوز المهلة المحددة، ثم قرر الانسحاب.. أتمنى منك أن  
تحمدي الله على سلامته لقد مضت أموره بسلام.. من كان يتوقع أن  
ينجو من يد رجل مثلي بعد العصيان..

- ومن أنت بالنسبة لتوقعاتهم؟

- شأني لا يهمك اصمتي يا امرأة.. لكن أخبري زوجك أنني من قرر  
أن يعاقبه.. وقولي له أن يحترس في المرات المقبلة.. ولا تحاولي إخبار

أي جهة أمنية عما حصل والا سيموت زوجك بسببك، أمره سيكشف يا حلوة فبلاده لم تعد تغفر ذنوب الحمقى أمثاله..

ثم تخرج عن المقعد ورحل.. بقيت صامتة.. أليق بهذا الموقف حل آخر سوى الصمت؟ ذهبت للمستشفى، حبيبي مستيقظ.. اليوم حاله أفضل بكثير.. تحدثت مع رجل الشرطة

- مساء الخير

- أهلاً بك مساء الخير..

- أيمكنني الدخول بعد أذنك؟

- بالطبع سيدتي..

- وهل يمكنني البقاء أكثر من عشر دقائق؟

- الأوامر سيدتي تحتم علينا الالتزام

- ثلث ساعة فقط.. أنا لم أتحدث إليه البارحة أرجوك..

- الأوامر سيدتي..

- لكني.. (كانت دموعي على وشك الانهيار)

- تفضلي لكن ثلث ساعة فقط.. سأتركك وحدك معه، لقد اخذ

رجال الامن افادته، يمكنك الدخول بمفردك..

- أشكرك.. شكراً لك

دخلت للغرفة رائحة المكان تزعجني.. أكره رائحة المستشفى،  
لكنني مجبرة.. جلست بجانب السرير وابتسمت..

- كيف حالك حبيبي؟

- (أجاب بإعياء) بخير.. وأنتِ

- بخير حبيبي..

- ماذا حصل لي؟

- أطلق احدهم النار عليك..

- ألم تعرف من هو؟

- لا أبداً كان بعيداً جداً، لم أستطع رؤيته..

- أظن أنه رجل المخابرات الذي حدثك عنه.. هو من قام بتهديدي

- أ تقصد رامي؟

- أجل

- أرجوك لا تشغل نفسك بأمر كهذا.. صحتك أهم

- هو هددي بالقتل في حال لم أقدم استقالتي..

- لا يهم.. الأهم أنك بصحة جيدة..

- أشعر بألم شديد..

- سلم قلبك من الألم..

بدأت عيناى تعزفان على أوتار البكاء، مشاعري لا تحتمل رؤيته بوضع كهذا.. ألمه مائل بعروقي، وكأنما نشاطر بعضنا البعض الأحاسيس..

(بادرني قائلاً:)

- سببت لك الكثير من الألم..

- بالمقابل الكثير من الفرح..

- عن أي فرح تتحدثين؟

- عن فرحنا بطفلنا الجديد..

- ماذا تقولين؟

- نعم أجريت فحصاً مخبرياً أمس واليوم استلمت نتيجتي قبل دخولي إليك.. أنا حامل..

- أحقاً.. هذا أجمل خبر سمعته في حياتي.. أعدك أنني سأعوضك عما سببته لك من أذى..

- أحبك..

- وأنا أيضا أحبك يا أجمل أم بالدنيا.. هيا اذهبي لتستريحي  
فجسدك متعب..

- لا، سأمضي وقتي معك ثم أرحل..

- وكم منحت من الوقت..

- ثلث ساعة..

- جميل ستبقين معي ثلث ساعة.. سأتمكن من تفحص ملامحك  
وطفلي..

- أيمكنك رؤيته؟

- أراه بالطبع.. أمل أن يكون طفلنا جميلاً مثلك..

- هو جميل مثلك تماما..

- أحبك..

مضى وقتي بسرعة خاطفة .. دوما ما تكون ساعات الفرح قصيرة..  
دخل رجل الشرطة لينبهني لانتهاؤ وقتي.. غادرت بعدما ودعت سهيل..  
لقد وعدني اليوم أنه سيشفى سريعا لأجل عائلتنا..

\*\*\*

واظبت على زيارته يومياً، بين الحين والآخر .. يزداد وقتي المسموح به  
فرجل الشرطة طيب القلب تعارفنا جيداً لقد ساعدني كثيراً .. أمضى  
سهيل وقتاً كبيراً في المستشفى ما يقارب الشهر ونصف الشهر .. استرد  
عافيته بعد طول عناء، سنعود الآن للاستقرار .. قررت ترك عملي،  
سأتركه برغبة من زوجي، وسندفع الشرط الجزائي مقابل الانفصال  
عن العمل .. الأمن سيمنع سهيل من دخول اليونان بعد الآن، هو مطرود  
بسبب الخيانة دائماً ما يكون المعاقب شخصاً غريباً ..

الأم لا تعاقب ولدها، وحدهن نساء الأب من يتجبرن بالأطفال، و  
اليونان هي من ستعاقب سهيل على فعلته، أما أمه الأردن فستشرع له  
ذراعيها، وتطبع له قبلة السماح ..

خرجنا من المستشفى، لكننا خرجنا بانفراد، هو برفقة الأمن، وأنا  
برفقة خيالي، تبعته رغماً عنه، العشق يجبرك على العصيان دخلت  
مركز المخابرات معه .. لقد ادخلوه على الضابط للتحقيق معه .. انه  
الضابط الذي سلمني الورقة .. طلبت مقابلته لكن رجال الأمن رفضوا ..  
انتظرت حتى خرج سهيل من الغرفة هو مكبل اليدين ..

ذهبت لرجل الأمن، وقلت له ..

- أريد مقابلة الضابط

- لا يمكنك ..



- قل له : إني زوجة سهيل

عاد الشرطي واصطحبني للغرفة..

- مساء الخير..

- مساء الخير.. أهلا بالعربية

- أهلا بك

- ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟ أعتقد أنه زوجك..

- نعم زوجي.. أريد الحديث معك..

- تفضلي.. أستمع لكِ سيدتي

- هل ستؤذي زوجي؟

- أيق لكِ التحقيق معي؟

- لا أقصد التحقيق.. لكن أرجوك تفهم أمري..

- لا.. هذه إجراءات روتينية سيبقى هنا يومين فقط للتحقيق، ثم

يعود لمنزله وسيسمح له البقاء هنا لمدة شهر واحد، ثم يغادر البلاد

مدى الحياة، سيتمنح حتى من زيارتها.. اسمه مدون على الحدود..

- لن تؤذوه

- لن نؤذيه

- أشكرك حضرة الضابط

- أهلاً بالعربية.. في رعاية الله سيدتي..

هذا ما قيل، ومعظم الأقاويل كذب.. مضى يومان كما وعدني الضابط... صباح اليوم الثالث قرع الجرس فتحت الباب، وإذا بزوجي ملقى على الأرض كان وجهه مملوءاً بالدم.. صرخت بأعلى صوتي فاجتمع الجيران وحارس البناء ليروا ما حصل.. في تلك البلاد، التي تسمى "متقدمة"، لا أحد يساعد أحداً.. لحسن حظي كان من الحضور رجل يتحدث العربية..

- سيدتي أطلب لك الشرطة؟

- أطلب المستشفى أرجوك..

كنت أندب حظي، السعادة لا تعطى بالجرعات كانت متقطعة؛ تأتي دفعة واحدة وتختفي دفعة واحدة.. جاءت سيارة الإسعاف وأدخلوه المستشفى.. غرفة العمليات أتشأم دوماً من المستشفى ادخلوه الغرفة لمدة 6 ساعات..

خرج الطبيب وطلب مني التوقيع بالنيابة عنه سأوقع على موافقة استئصال الكلية اليمنى بسبب الضرر الذي لحق بها بسبب التعذيب..

حان دوره لينال عقابه حتماً سيناله، فلكل مخطئ عقاب هو مخطئ بحقي  
وحق بلاده.. مضيت على الورقة، ليستطيع زوجي أن يكمل حياته.. إن مات  
سهيل سأموت بعده.. أنا أهيم بظله، فماذا سيحصل لي إذا فقدته؟

خرج الطبيب بعد مضي زمن طويل.. هرعت أسأله..

- أرجوك .. أخبرني كيف وضعه؟

- لا تقلقي بخير..

- لكن الأمن يريد التحدث معك.. تفضلي معي

أحاطني رجال الأمن من كل مكان.. كان عددهم ثلاثة.. أحدهم  
يكتب، وآخر يسأل والثالث ينظر فقط.. بدأ الرجل باستجوابي..

- سيدتي ماذا حصل؟

ان أجبته الآن سيموت زوجي هذا ما قاله الرجل الضخم رامي..  
يتوجب علي الحفاظ على زوجي، سأصمت..

أجبت..

- لا أعلم قرع الجرس، ووجدته ملقى على الأرض..

طرحوا علي عدة أسئلة لم أدرك منها شيئاً؛ كان فكري مشغولاً  
بالمخبرات.. ما إن انتهى الرجل من استجوابي ووقعت له على اقوالي؛

- حتى خرج سهيل من غرفة العمليات للعناية المشددة.. حملت حقيبتني،  
وتوجهت لقسم المخبرات..
- دخلت للقسم بغضب..
- أريد حديث الرائد..
- سيدتي الرائد مشغول..
- قل له رولين العربية تريد محادثتك..
- دخل القسم، وعاد بعد قليل..
- تفضلي.. هو بانتظارك..
- دخلت المكتب..
- ماذا فعلتم به؟
- اطمئني لن يموت..
- لما لم تلتزم بوعودك معي؟
- أظن أن زوجك كان من الأجدر به الالتزام..
- لا يحق لك قتل إنسان..
- نحن لم نقتله، نحن عاقبناه فقط..

- هو متعب.. ألا يكفي العقاب الذي تلقاه أول مرة..

- سيدتي احترمك فقط لأنك أنثى، وأنثى عربية جديرة بالاحترام..

لا تطيلي التدخل بما لا يعنيك، والزمي صمتك فهذا أفضل..

- أتعلم أن وعودك ليست كوعود رجلاً؟

- ماذا تقولين، أتعلمين أنني أستطيع احتجازك وتعذيبك..

- أفعل لا يهم!

- لا يهم، من أي نوع من النساء أنت؟

- من نوع لم يخلق بعد.. احذرك من أن تقترب من زوجي..

- تهدديني!!

خرجت دون رد.. دوما تحتاج الغربية لنساء يتصفن بطابع (أخت رجال) في ذلك الموقف كنت أنثى غاضبة لم تستطع تمالك نفسها، تفوهت بحديث لا يجوز لي التفوه به.. وسلمت هذه المرة، وكما يقال: (مش كل مرة بتسلم الجرة)..

عدت للمستشفى، أمضينا قرابة العشرين يوماً في العناية المركزة.. اليوم خرج سهيل للغرفة.. جاء أحدهم لزيارته... لأول مرة يقرع باب الغرفة من قبل غريب..

- من هناك؟

- أنا كاردينال

- تفضل..

وإذا بذاك الضابط يدخل الغرفة.. ثم جلس دون إذن.. ثم قال:

- كيف حال سيدتي العربية؟ هذا الورد لزوجك.. حمداً لله على سلامته..

الفيظ الحقيقي يكمن بحضوره، ينطبق هذا القول تماماً على هذا الموقف (تقتل القاتل وتمشي بجنازته) ماذا عساي أن أقول له؟

- بعدما لوثت جسده بالدم جئت بورد أحمر.. لسنا بحاجة لورودك خذها

- أهو نائم؟

- وما شأنك أنت؟

- هو بغيبوبة أم نائم؟

- لم تكف بعد، أتريد قتله؟

- سيدتي.. أرجوك لا تثيري غضبي.. أجيبني وحسب..

- استيقظ من الغيبوبة.. لكنه نائم، أعطته الممرضة مسكناً ليجبره على النوم قسراً.. وهذا بسببك..

- لم أت لتتحاسب، جئت للاطمئنان عليه، هو بأمانتنا الآن..

- بالطبع، لذلك حفظت الأمانة؟

- سأمدد فترة بقاءه لخمسة شهور؛ ليسترد عافيته ويقدم استقالته،  
ويبيع ملكه ويعود لبلاده..

- أ أتوقع الشكر؟

- لا أتوقع شيئاً.. حمداً لله على سلامته.. تشرفت بمعرفة أنثى  
كحضرتك؛ فأنت جميلة، وقوية..

ثم رحل.. هم الوحيدون الذين يملكون حق المجيء في الوقت الذي  
يريدون، والحديث متى أرادوا، والرحيل متى أرادوا.. نحن فقط  
سنصمت ونتقبل أسئلة أو أجوبة لا يمكنها سد ثغرات ما نطلبه..  
الإيجاز والإسهاب هما السمتان المميزتان لهذا النوع من البشر..

أقمنا بالمستشفى ما يقارب الشهر، ثم عدنا لمنزلنا سهيل متعب جداً  
وأنا أيضاً، فأنا حامل وبقيت معه طوال الوقت.. أقمنا بالمنزل إلى أن  
تحسن سهيل.. حيث بعث ورقة استقالة للباخرة، وعرضنا شقتنا للبيع..

اليوم بيع المنزل وسنخليه بعد إمضاء الاتفاقية التي تنص على  
إخلائه بعد شهر واحد من تاريخ العقد.. واليوم وصلت الموافقة على  
الاستقالة من الباخرة..

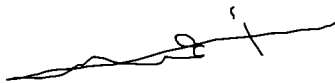
بعد مضي عدة أيام أخذني زوجي للسوق، سنأخذ بعض الهدايا  
والحاجات لعمان.. سنعود لوطننا بعدما اعتدنا الحياة في هذا الوطن  
الذي يلقب بالبديل.. هذه البلاد جميلة، هواؤها نقي وطبيعتها جميلة..  
اشترينا بعض الهدايا، وملابس لمولودي الجديد.. إحساسي في هذا الوقت  
يفوق اي احساس بالكون، أن يكون بداخلي طفل صغير فهذا يعني الكثير..  
أشعر أنني أمتلك الكون أجمع بجوفي.. حرمت من الأطفال لزمن طويل..  
أحمد الله أن رزقني طفلاً..

نحن لا نعلم جنس مولودنا لكننا اشترينا ما رأيناه، كان سهيل سعيداً  
جداً رغم جروحه وألمه فجسده يعاني آثار الأذى، خاصة الكدمات  
والضربات التي تملأ وجهه.. لن نقول للأقارب ماذا حصل لن أقول  
إن زوجي خائن، ولن أسمح لأحدهم أن يتكلم، أو حتى ينظر له بنظرة  
احتقار أو إهانة.. لذا سنمضي خمسة شهور هنا ثم نعود..

أنا لم أخبر أحداً أنني حامل خبر الحمل بقي سراً، لا أعلم لم خياناه  
ربما جنون شبابي! لا أعتقد لكن ظرفنا أجبرنا على الصمت الجميع  
ميتشوق لسماع خبر مولود لنا..

كشفت جنس مولودي وكان صبياً.. أحب الذكور كثيراً، لا أحب  
البنات.. سعيدة أنا بتحقيق حلمي، سأصبح أمماً لضبي..

\*\*\*





موعد طائرتنا اليوم.. سنعود للأردن، سنعود لتلك النقطة التي غادرناها معا على أمل الإقامة ببلد أوروبي.. عدت برفقة زوجي بعدما مضى من عمرنا ستة أعوام بالغربة.. استقللنا التكسي وذهبنا للمطار.. لم نعد نمتلك هنا أي شيء سوى الذكريات، وأظن أنها من أغلى الممتلكات التي حققتها في حياتي.. فاغلب ذكرياتنا كانت جميلة سوى ما حصل في العام الأخير..

طردتنا تلك البلاد رغماً منا.. أظن أنها أذته لتعلقه بها، لتبرهن له أنه بإمكانه أن يتركها بعدما أصرَّ على قضاء ما تبقى له من عمر فيها.. هنا كل شيء مختلف، المطار مختلف فهو أنيق بصورة ملفتة.. الأشجار مختلفة لها ظهور مختلف وروح مختلفة، حتى لون الأوراق والعشب مختلف.. طعم الماء مختلف.. وملامح البشر.. اللهجة.. الحروف.. العادات.. كل شيء

جلس سهيل حزيناً، هو متعلق بهذه البلاد لحد مرهق، اعتاده أكثر مني هو متعلق به، ويحن لنبضه.. أما أنا فمتعلقة بجمالها فقط، والجمال ليس دائماً.. هنالك فرق بأن تحبَّ شيئاً لمضمونه، أو أن تحبه لشكله.. وأظن أنه أخلص في حبِّ تلك الرقعة المطرزة بالسندس والزعفران أكثر من إخلاصه في حبِّ وطنه..

أن تخلص في حبِّ الوطن، أمر يحتم عليك اقتصاص جذور الخيانة، التلاعب، الكذب، الخداع.. لذلك قرر أن يخادع بشتى الطرق، والسبب بسيط؛ انه لم يحب..

الحبّ أمر لا يمكن تحقيقه حتى بالظروف الطبيعية، لأن الحبّ شيء عظيم يسمو على ما ندعيه.. لذلك أقرب ما يمكن أن نوصف به هو مصطلح متعلقين لدرجة عالية، تقارب أدنى درجات الحبّ.. وهذا ما يدعى بازدواجية التعلق.. أن تكون كارهاً متعلقاً ومحباً مفارقاً، أو أن تكون كارهاً متخلياً، ومحباً متعلقاً هي ازدواجية تستعصي على الفهم.. دوما ما نسعى لنتقرب ممن ييفضنا، أو يفضل الابتعاد عنا، ورسم إطار من الحدود بيننا مسرج باللون الأحمر.. أو نبتعد ونبفض من يحبنا ونفضل ان ننحصر معه ضمن تلك الحدود المبهمة دون إذن منه أو موافقة..

أن تضع أولوياتك في ورقة حرة تحملها الرياح متى تشاء، فهذا يعني أنك لا تهتم لها من الأصل، وأن تلك الأولويات مجرد حروف يجب عليك رسمها، تماماً كما يسأل الطفل عن طموحه ولا يجد من يجيب، فيقول: أريد أن أصبح طبيباً. هو لا ينظر للمهنة كما ننظر لها، لا يدرك سموها ورفعتها.. هو يحتاج لكلمات تملأ ذاك السؤال الغريب، أو التعجب الفارغ.. من يريد تحقيق مراداً حقيقياً أو بلوغ أهداف راشدة يرتب أولوياته في سلم مدرج بدفتر غليظ، كي لا تحمله الرياح متى تشاء، وبهذا يكون حقاً قد أودع أولوياته، وتلك الكتابات بما يدعى بالصدق لا الرسم، تماماً كما يسأل راشد عن الطموح، و يجيب بادراك ومنطقية، ويتمكن من نسج أولوياته كبرج شبّ عالياً.. يدرك أساسه ومنتهاه..

لوطن جديد عشقناه سرًا..  
لحبر وليد دعوناه يوما..  
لذاك الوحيد الذي غاب جهرا..  
أحقًا سيحققن الحبَّ حقًا؟  
ستبقى البيارق سوداء فجرا..  
ويبقى الحنين يفادر قسرا..  
لتلك البلاد العليلة صمتا..  
لنايات حرف تجرع مرًا..  
لصوت الهدير الملامس قحطا..  
لصدق الرنين المدوي حرًا..  
لكاس النبيذ الممتق عصرا..  
أيرمى الحنين بسحرك أرقا؟  
ليصبح ندم ليالي طربا..  
لبلد تنازع فيه الرحيلا..  
لتنازع سطر الهوى والمسيرا..

لبحر تخلق فيه الاثيرا..

لقافية تلم فيها البحورا..

لقارب حبّ استمرّ مسيرا..

سيبقى العشيق يحنّ العشيقا..

يقول جورج ادوارد : ( يجوب المرء العالم بحثا عما يحتاجه، ويعود إلى وطنه ليجد ما كان يبحث عنه هناك) .. وها هو يعود لوطنه، لكنه يحمل اكتئاب أعوام، وكأنما كادر المجرة ملقى على عاتقه.. لم أر من قبل أحدا لا يعشق العودة لوطنه بعد طول اغتراب، لكني أراه الآن يحمل حقيبة يده ويجلس على طاولة في استراحة المغادرين في مطار أثينا.. طلب فتجانين قهوة، ولم يذق طعم فتجانه أبداً، كان كطفل انفصل عن أبويه، وبقي وحيداً رهن نزاعاتهما.. أظن أن تلك المقولة ستطبق علي فقط.. أعشق وطني والبقاء بجانب الأحباء.. وأظن أنه لن يصمد أبداً في وجه الوطن، سيبقى متنقلاً مشرداً في دول العالم الغربية..

الغرب "لئيم" يحتقر القوي لذاته ويحرم الضعفاء.. وهو ضعيف جداً.. وسيبقى محروماً مدى العمر..

ستبدأ رحلة التحليق الآن، أنا مفرقة بخيالي المطلق، وهو مفرق بخياله الوهمي.. الفرق بيننا أنني لم أنكر جميل وطني، بينما هو قد أنكره باحتراف.. أمسكت يده، وبادرته قائلة..

- لم أنت حزين؟

- لست حزيناً يا جميلتي!

- لكن الحزن مطرز بتفاصيلك، وكأنما أنهار الأرض حفرت تضاريس الألم بوجنتيك وجبهتك..

- أن تتخلى عن وطن استطاع احتضانك تسع سنوات أمر مزعج؟

- بالطبع حبيبي.. لكن تذكر أنك ستحقق أفضل حياة لطفلنا..

- طفلنا..

أن تصمت بحضرة الحديث وسط ضجيج الحضور.. يتطلب منك روحاً مثقبة لا تستطيع احتواء الحروف بجوفها.. تماماً كما المصاب بحمى لا يستطيع الحديث أو النظر.. فهو الآن ملجم ومغشي عليه.. أصعب ما تتناوله المرأة الآن حبوب تسكين للحديث أمام رجل خائب ملقى كزهرة ذبلة مقطوفة..

وفي حضرة الصمت لمع صوت يلتهم ذاكرتي الباحثة في تفاصيله عن بناء عال تلقي منه الألم

- أهلاً بكم على متن الخطوط الجوية اليونانية.. أرجو من المسافرين المتوجهين للأردن التوجه لبوابة رقم سبعة..

- سهيل.. حبيبي

- نعم

- هيا بنا سنلتحق بالطائرة..

- أ حان موعدنا؟

- نعم حبيبي، ألم تستمع؟

- لا، اذن هيا..

أعلم أنه لم يستمع ولم يسمع.. أن تكون مبهماً في حضرة المعرفة أمر صعب، وهو مبهم في حضرة الحياة..

الحياة دوما ما تحكم عواطفنا، مشاعرنا، أرواحنا بالمبهمات.. هي وحدها الكفيلة والقادرة على تغيير مجرى مسيرتنا، قتل طموحنا، أو إحلال بدائل مصطنعة لذاتنا.. دوما ما تضع لنا تلك الأحداث لتبرهن إخفاقنا في إنجاز تفاصيلها.. حتما نحن نسير وفق مخطط محدد منذ بلايين السنين.. نحن مسيرون في اختياراتنا أيضاً، أن تجبر على السير، وترغم على خياره في آن واحد هو أمر شائك عصيب..

غادر مقعده بفضاظة، لو خيره القدر ذاك الحين لأختار قلب موازين عمره؛ ليلفي لحظة انتسابه للمخابرات اليونانية ويبقى هناك.. لا أدري ما سره أتعلق بالبحر، أم بالعمل، أم بالطبيعة، أم بالخدمات؟ أنا لا أدري لكنه مجبول بمشق تلك الرقعة..

هي رقعة بالية رغم جمالها.. هذا ما أراه أنا بالمقارنة مع وطني..

اتكأت على ذراعه بسبب ألمي، كنت أعاني ألماً بسبب حملي، مشينا  
ببطء مازال محفوراً بثنايا ذاكرتي ذاك البطء، أجبرني على معانقة  
تلك البلاد بشوق مودع راحل مدى العمر.. وها هي ذكرياتنا، وأيامنا  
الجميلة جمعتها الحياة لتحرقها مع الخريطة التي تحتوي اليونان من  
حياة زوجي..

صعدنا للطائرة مقعده هذه المرة يصافح النافذة.. سيتمكن الألم  
منه حتماً، أعلم أنني أمتلك رجلاً ذا قلب حساس، وعواطف مرهفة،  
لذا أدرك حجم ألمه في توديع تفاصيل تلك البلاد.. أظنه لم يخلص لي  
في الحب قدر إخلاصه لها، كان اختناق صوته وتموج مقلتيه بالدموع  
أفضل طريق يدل على وجهة الألم بالتحديد..

بالتحديد السطر الرابع.. جلست في ذلك الصف المتراص بجانب  
بعضه بعضاً.. ربطت حزامي، ووضعت السماعة على أذني، وأخذت  
أشاهد الفيلم عبر الشاشة المرفقة بمقعدي.. فجأة أزال السماعة، وقال:

- لا تتخلي عني في لحظة ضعف، أو وهن أو لحظة خطأ لم أحسبها  
من قبل.. هي تخلت عني رفضتني، طردتني من راحتي.. أزال جميع  
مسحوقاتها التجميلية، وبقيت شاحبة الوجه أمامي بشموخ.. أن تطرد  
من نبض أحدهم هو شعور مؤذٍ.. وأنا الآن مطرود للأبد..

موقف كهذا يجبر أحدنا على اختلاق تعويذة نسيان من عالم العشق،  
لتهديتها لأحدهم عله يشفى من سقمه، وكان أفضل التعويذات التي  
يمكنني اختيارها.. قبلة وست كلمات..

- لن أتخلى عنك مهما كلف الأمر..

وهذا ما يسمى بازدواجية التعلق.. أن يتمكن منك من هو عزيز على  
روحك لحد الخضوع.. وطن وزوجة.. هما ما استطاعا السيطرة عليه..

مضى الوقت ببطء، كان صامتاً متكئاً للنافذة.. وصلنا الى مطار  
الملكة علياء الدولي، نحن الآن في عمان.. وطني الذي طالما عشقت.. هو  
كأسطوانة مليئة بالأوكسجين، لن تستطيع التخلي عنها طالما كنت خارج  
نطاق حدودها؛ تماما وكأنما جسدي ملقى بالمحيط وجائل في طياته  
غوصا.. تحتاج للهواء لتتمكن من الحياة، وها أنا استطعت انتزاع  
الأسطوانة هنا لتوافر الهواء دون حاجة لها..

ختم الموظف جوازينا وفتشت حقائبنا وغادرنا بوابة العائدين، لم  
يكن أحد في استقبالنا.. هو طلب مني ألا نخبر أحداً بأننا عائدان..  
لذا التزمت الصمت، أن تستطيع أنثى كتمان سر زوجها أمر يستعصي  
على أغلب النساء.. أذكر مقولة مشهورة لتواين تقول: (النساء هن بعد  
الصحافة أفضل وسيلة لنقل الأخبار)، أظن أنها عبارة خاطئة جداً..  
فأنا استطعت كتمان تفاصيل التفاصيل التي مررت بها في حياتي معه..



حتى إن كثرة همومي أنستني أن أبوح بحملي للجميع، أنا تجاهلت البوح؛ لكي لا أقرب من الجميع في فترة احتياجه لي فهو محتاج لي في محنته أكثر من أي وقت.. غادرنا المطار متجهين لفندق وسط المدينة..

أزعجني ابتعاده عن الجميع لكنني صمتُ رغماً عني..

أذكر أنه بقي مستلقياً بين أحضان السرير يتلقفه النوم ساعة، والذكريات ساعة، والحنين أخرى.. أظنه لم يحزن في فترة ابتعاده عني كما حزن الآن، لكن ما جدوى الحديث ونحن ندرك تماماً أن الرجال يستطيعون التخلي عن إحدانا ومحوها من مجلداتهم بمجرد إيجاد البديل، و أظن أنه لو أتاحت له فرصة البديل سيتخلى عني بالتأكيد رغم حبه لي..

أقمنا في الفندق أسبوعاً كاملاً.. صباح ذاك اليوم كنا نحتسي القهوة معا.. فبادرني قائلاً:

- رولين سنذهب لمنزلنا اليوم..

- اليوم!

- نعم اليوم.. لم الاستغراب؟

- لاشيء كما تريد.. لكنني أريد رؤية عائلتي..

- غداً أرجوك..

- أنا خبأت أمر حملي عن أهلي لأبقى بجانبك، فلا تتركني رهينة  
لحسرة يوم كهذا..

- حسرة! ولم الحسرة عزيزتي؟

- هكذا هنّ النساء.. لا تسأل..

- سأقترح أمراً آخر..

- ما هو؟

- أن نذهب لزيارة عائلتكِ لوقت قصير ساعتين من الزمن، ونعود  
لمنزل عائلتي.. ما رأيك؟

- بالتأكيد موافق.

كانت الفرحة تغمرنى أعماق سيطرة يمكنها أن تتصف بها الأنثى،  
أن تدير تفاصيل حياتها كما تشاء، وأظنها من أفضل الصفات المميزة  
التي تنالها المرأة.. وهذا ما يدعى بالسياسة، أن تستطيع القيام بأفعال  
تفضلها بحكمة ودهاء مغزولين بخيوط حرير صناعي لاتكاد تكتشف  
أنه صناعي من جودة الصنع، فالفروق لا تكاد تكون واضحة.

ذهبت لملاقة عائلتي التي لم أزرها منذ سنتين.. كان لقائي بهم من  
أروع لقاءات حياتي؛ أظن أنني ولدت اليوم.. نحن نشعر بولادتنا مرتين،  
أولاهما ونحن أجنة.. والثانية في أجمل لحظات حياتنا.. وأنا أشعر

بهذه الضخامة جيداً كان رهيباً صوت فرحي وهو يعمّ دهشة ملامح  
والداي وأخوتي..

أمي هبت قائلة..

- رولين حبيبتي..

احتضنتني بشوق، وما لبثت أن أفاقت من صدمتها في أثناء احتضاني،  
حين أحست بيطني المنتفخ..

- ما هذا؟

- أنا حامل

- ماذا؟

شوق ودهشة.. حدثان يتتابعان بتوقيت لا يحسب من ضمن توقيتات  
الحياة، رقم صعب يستيق اللحظات.. الرفات.. يستيق كل المألوفات..

- نعم يا أمي حامل..

- في أي شهر؟

- السابع

- لم لم تخبريني؟

- مفاجأة، كنت أعلم أننا سنعود لنستقر هنا..

- تستقرون؟

- نعم

- ماذا حصل؟

- لاشيء أمي، اسألني سهيل.. لم يحصل شيء، فقط حنّ للوطن..

- حنّ للوطن! جميل.. وفقكما الله.. أظنه لا يفني عن خبر كهذا،

فأنت متزوجة منذ ست سنوات، ولم يصل لنا خبر حملك.. لنصدم به

مجسماً!! خبر حملك يفرحنا جميعاً

- أمي.. هي مفاجأة..

- ووالدته تعلم؟ مكتبة الرومحي أحمد ٩٥

- لا لم نقل لها

- سامحكما الله.. تصرفك خاطئ

- أمي أردت أن أفاجئ الجميع..

لم أكن أدرك قيمة خبر كهذا، لا أعلم لم.. هو شعور طبيعي أعتقد أن

الثقافة تستطيع سد ثغرات كهذه، فقد يما كان الاعتزاز بالوليد باذخاً،

والنكسة من طول زمن العقم جارحة.. أما الآن فليس هناك داعٍ لذلك..

جلست مع عائلتي برفقة سهيل، سهيل اندمج سريعاً كان مشتاقاً، وفرحاً أظن أنه بدأ يتحسن.. لن نخبر أحداً أننا نقيم هنا منذ أسبوع.. هو سرّ، وسأرتله كما رتلت أسرارنا الأخريات في سرّي، سأبقيه سرّاً لا يعلمه احد.

اشتقت للجميع، أمي أبي فادي أيمن.. اشتقت لوالدة سهيل الجميلة، والده و إخوته.. سعيدة أنا بحجم عواطف الأمومة التي تسكنني الآن.. بقينا في منزل عائلتي لوقت طويل، هو لم ينزعج من وجودنا، بل على العكس تماماً..

- حبيبي لنذهب..

- أين سنذهب؟

- لمنزلكم..

- لم؟

- أنت من أراد الذهاب..

- أنا سعيد هنا..

- إذا سنبقى هنا هذه الليلة، ولن نخبر أحداً؟

- اتفقنا لنبقى..

هو سعيد بوجوده بجانب اخوتي، فهم يلائمون أفكاره.. الشباب تروق لهم هذه التجمعات.. أن يصاحب زوجك عائلتك أفضل بكثير من أن بيني صداقات من خارجها، وهذا ما أريد.. أن يبقى زوجي ضمن حدود المعروفات..

فادي متزوج من نيرمين لديهم طفل اسمه أحمد، يبلغ من العمر عاماً... تقاليدنا تحكم دوماً أن يسمى الابن البكر من الأب البكر باسم الجد.. هي حكاية غريبة الأطوار.. وهذا ما يدعى (بإعلاء اسم العائلة) أحمد فادي أحمد.. أحمد الله أن زوجي لم يكن الأكبر، لا أريد أن يسمى ابني باسم جده..

أمضينا يوماً جميلاً برفقة عائلتي.. مساء الجمعة ذهبنا بسيارة الأجرة لمنزل أهل سهيل.. لم يستطع أخي أن يوصلنا لمنزلهم لئلا تنزعج عائلة سهيل من زيارتنا لأهلي أولاً؛ لذا قررنا أن لا نخبرهم.. سهيل رجل متفهم جداً نحن نختلق الصمت حتى لا نزعجهم، فهم في مرتبتنا الأولى دوماً..

كانت فرحتهم بعودتنا تفوق المتوقع.. لا أعلم لم لا ينسجم زوجي برفقتهم، هم طيبون ويخلصون في تفاصيل معاملتهم معه.. والدته لطيفة لأبعد الحدود.. سنقيم في غرفة بمنزلهم ريثما نمتلك منزلاً خاصاً بنا.. كان الجميع متفاجئاً بخبر حملي.. حتى إنهم ظنوا أنني خبأت الخبر عنهم وحدهم.. ولكي لا نخبرهم بما حصل مع سهيل اختلقنا حديثاً مغايراً تماماً..

- ابني لم خيأتكم خبراً كهذا، أيقق لعائلتها سماع الخبر ولا يحق لي؟

- أمي أرجوك، نحن لم نخبر أحداً

- ولم، أخبرني؟

- أمي... رولين كانت متعبة، واحتمال فقدان الطفل كان من أكبر الاحتمالات، لذا قررنا أن نصمت كي لا نقلقكم، لم نخبر أحداً من عائلة رولين.. أليس كذلك حبيبتي، أنت لم تلحظي مغيبنا عن حديثك عبر الانترنت لوقت طويل؟

- بالطبع حبيبتي.. نحن نعتذر منك خالتي، أمي أيضاً لا تدري للآن.. سنذهب غداً لزيارتها وإخبارها..

- لكن أمراً كهذا سيزعج الجميع يا بنتي..

- اعلم لكن تأخري بالحمل هو ما اضطرنا لإخفاء الأمر.. وبسبب ذلك الخطر الذي لحق بي ومكوثي بالمستشفى.. سامحينا خوفنا منعنا من اخباركم..

- موفقين يا ابنتي، ألف مبروك.. لكن لاتعيديها مرة أخرى

أن تحتضن أنثى والدة زوجها فهذا الإحساس من أعظم الأحاسيس.. أنا أحبها، ولحبي لم أستطع إخبارها بما حل بابنها.. أمضينا سهرة جميلة برفقتهم.. ثم ذهبنا لفرقتنا..

- سهيل حبيبي..

- نعم حبيبتي..

- لم لا تفضل الحديث والجلوس مع إخوتك و أهلك.. أرى انزعاجك في تصرفاتك وملامحك.. أخبرني؟

- رولين، لاشيء

- لا تقل لي لاشيء.. أستطيع الإحساس بك من نظرة عينيك

- سأخبرك، أنا لا أحب عائلتي كثيراً

- لم؟ من منا لا يحب عائلته؟

- قلت لك سأخبرك لم هذه العجلة، ولا أحتاج حكماً من أحد اسمعي ثم احكمي..

- سأصمت، واستمع.. هيا

- في طفولتي كنت طالباً كسولاً، أنا لا أحب الدراسة، كانوا ينعتونني

بالفشل والإحباط، كان الجميع يوبخني، ووالدي يضربني، وأمي كانت

كثيرة التذمر مني.. لذا أنا لا أحبهم..

- في طفولتك، والأطفال يختلفون كثيراً عن الكبار..



- لذا قررت في يوم من الأيام أن أقلب موازين توقعات الجميع، واخترت طريق النجاح.. وعندما نجحت اخترت مسار الإبحار، هو الوحيد الذي يستطيع إبعادي عن الجميع، نحن نمتلك مضيئاً يصعب الإبحار فيه، ما يعني ان عملي سيتوافر بدول تمتلك بحاراً ومحيطات كبيرة فقط.

- حبيبي، الجميع يحبك.. لا تكن من أولئك الأناس الحقودين.. الأهل لا يعنون ما يقولون دوماً، هم يوبخون لأجل تغيير السلوك فقط.. لذا سنبقى نحبهم لأجل الحياة، فهم كل ما نملك..

دوماً ما تزعجنا أحاديثهم.. هم يحددون طريق طموحنا منذ الصفر، لا أحد منهم يدرك ماذا سنحقق في كبرنا من نجاح وتقدم، هم لم يدركوا أثر تلك الكلمات التي زرعت في الطفولة.. فهو كان فاشلاً في الطفولة لكنه استطاع تحقيق النجاح في شبابه، شاب مكافح كمثلته استطاع أن يحقق نجاحات حافلة، فقد تمكن من إنهاء دراسته بتفوق، وأصبح أعظم قبطان بنظري، واستطاع تأمين حياة راقية لي ولطفلي في تسع سنوات، وتمكن من إتقان الشعر لأجلي.. هو يكتب الشعر وينشر المقالات الاجتماعية في الصحف والمجلات.. أن لا تكتفي من الحبّ هو فعلاً نجاح، لذا نحن نخلص في حبنا حتى للحياة، ومن يمتلك الحبّ؛ حتماً سيمتلك النجاح حتى لو كان ملقى بيؤرة الفشل..

أحبه فهو أعظم رجال الكون بنظري، حادثة طفولته زادت رقيه في نظري، أن تمتلك طموحاً لردة فعل انعكاسات الجميع عنك يحتم ظهور صورتك قائمة في مرآة الحياة..

أن تمتلك منزلاً من الطموح هذا من اجمل الاشياء منزلاً يحتوي الكثير الكثير من أسرارك، متناقضات حياتك، طموحاتك المؤجلة، وتلك الموضوعه في قائمة الإنجاز، إجاباتك، فشلك، ألمك، انكساراتك، وعداواتك، والكثير الكثير من الآراء التي كونت مسيرتك..

أن تتمكن من السير على ذاك الطريق الموصل للجنة دون خوف أو رهبة، أن تمتلك القدرة على اغتيال صنديق ذاكرتك وتحطيمها، أن تستطيع التحكم بتصوراتك والتغلب على وجودها، أن تنجح في إمضاء أول عقد من عقود إنهاء معاناتك، وتبدأ الحياة بهامة ممشوقة وروح شامخة تطاول السماء.. هذا حقاً ما ينعت بالنجاح الدائم..

أن تتمكن من الصراخ في وجه جميع الصفحات التي ألمتكم، التي خطت لك تضاريس لا يحتويها مستقبلك؛ هو ما يسمى حقاً بالطموح.. أن تغلب على أغلال فكرك وسلاسل إذلالك وصفرة وجهك، شعور لن يصل له جميع البشر.. هو يقتصر على أناس استطاعوا مجابهة كون حكم عليهم بالفشل.. وهم ناجحون لحدود العفن..

تلك الرواية هي آخر الروايات التي استطاعت أن تقترح طموحي الكتابي، أن تتقرب من تفاصيل تلك الأوراق الملقاة بروح أحدهم فيتمكن من سردها لك.. حتماً سيكون ذلك هو الشعور المتشابك بين حبّ و بغض، هو شعور مترابط بين ارتياح وشجن، بين نصر وانكسار، مطاوعة وعصيان.. فجميع المترادفات في حياتنا تترابط مع بعضها بعضاً برابط عجيب..

\*\*\*

اخترنا أن نسكن في تلك المزرعة البعيدة عن ضجيج المدينة.. أقمت فيها والفرح يتعبطني، أنا أحب الهدوء وهو أيضاً، لذا قرر سهيل شراء المزرعة من والده فهو لن يتقبل فكرة البقاء في طيات أب يريد ان يسيره بجهاز الكنترول الخاص به، ليتحكم بحياته لمجرد امتلاك منزل فقط.. لكن والده عارض فكرة بيعه تلك المزرعة، فهي ملكه وحده ومن يمتلك مالا ليس من السهل عليه توقيع عقود تنازل أو بيع..

اخترنا شراء مزرعة في تلك الناحية من رجل من أولئك الذين يستطيعون التخلي عن ارضهم، زوجي يشاطر والده تلك الأفكار، فهو لا يحب أن يتنازل أو يمضي عقد بيع.. لذلك لم يستطع التخلي عني فترة انفصالنا..

أثينا هي المدينة التي آلمتني، وأسعدتني استطاعت أن تفرس الحبّ والكره داخلي لذا أحبها.. نحن نعشق من استطاع إيلا منا دوماً..

ونبدع في عشق تلك التفاصيل المؤلمة تماماً كما يعشق هو تفاصيل تلك المدينة التي أبدعت من تمكين أنيابها وغرسها بروحه..

لذا اختار اصطناع أجواء من تلك الرقعة، شجر وماء، أعشاب وورود، أجواء مشابهة لليونان.. كانت تحضيرات منزلنا الجديد مرهقة، لذا لم أقم بفعل شيء سوى تقليب المجلات وصفحات الإنترنت لنتمكن من تصميم منزلنا.. الذي أنهيناه بسرعة رهيبه، فخلال شهرين تقريباً ينقصنا بعض الأيام، تمكنا من تجهيز أجواء طالما طمحنا بها معاً..

حان موعد ولادتي.. بدأت أستنشق عطر الألم، مخاض الولادة شعور يبدع في إيلام الإناث.. الأمهات وحدهن من يتألن بصمت، وينزعجن بحب، ويتأوهن لجنون اللقاء.. وحدهم الأبناء من يحسنون وضع عقبات في طريق الحب، هم من يبتعدون، ويبغضون، يهملون، يعصون، يحطمون منزل البر الذي نبنيه منذ الصغر..

كنت نائمة واستيقظت إثر الألم، كان الوجع ينهش أحشائي، لأول مرة أشعر بغيوبة الإرهاق هذه.. وجدت نفسي أصرخ..

- سهيل استيقظ أرجوك..

- ما بك رولين؟

- هيا بسرعة أتألم

- هل ستلدِين؟

- أعتقد .. أرجوك هيا خذني

- انتظري ثانية سأكون جاهزاً

- أسرع أرجوك

أخيراً وصلنا للمستشفى.. كان الألم ينهشني من جميع الأطراف، كدت أفقد وعيي أدخلني الأطباء غرفة الولادة سريعاً.. من أعظم الأوجاع التي تلحق بجسد احدنا وجع كهذا.. الوجع الحقيقي لا يكمن بألم الجسد .. الألم الحقيقي هو الذي يلحق بأنفسنا جراء ألم الجسد، لكن ألم الولادة هو الوحيد الذي يستطيع اختراق جدران النفس بصورة مفايرة، وترك أثر عليها.. وحده من يمنحنا سعادة عظيمة، ابتسامة دافئة، وأملأ قوياً يليق بأرواحنا.. وحده من يبرع بالتفنن بالنفس بازواجية خارقة، يستطيع اقتحامها وإغراءها والتفنن برسم الفرحة على طيات جدرانها..

(أسعد ساعات المرأة.. هي الساعة التي تتحقق فيها أنوثتها الخالدة.. وأمومتها المشتهاة.. تلك هي ساعة الولادة) كلمات قالها عباس محمود العقاد.. وحقا كانت تلك الساعة من أعظم ساعات النجاح والفرح التي حققت.. لا أدري ما سر تعلق إحدانا بألم مرهق كهذا.. حكم الله أن تبلى النساء بألم محبب.. بدأت أدرك حتماً معنى التعلق بالألم.. أدركت الآن تلك الأسرار.. لم تلد النساء أبناء كثاراً؟ لم تتحمل النساء مشقة كهذه؟

لذا فان المرأة من أعظم كنوز الكون التي يفتنيها الرجل.. يحق لها أن توصف بالكنز، لو تكفل رجل بتحمل مشقتها لآثر الموت على التحمل، يقال ان الرجل خير من يتحمل، وأعتقد أنها مقولة خاطئة لو تمكن الرجل من تجريب ألم المرأة لما تحمل الاستمرار لدقيقة واحدة.. المرأة أعظم من خلق الله سبحانه وتعالى، فهي قادرة على التحمل بحب، والتألم بفرح يعم الكون.. آخر مشهد أذكره هو الألم.. ثم استيقظت وبجانبي سهيل..

- حبيبتي هل أنت بخير؟

- الحمد لله.. هل تمكنت من الولادة؟

- نعم، الحمد لله

- كيف حال الطفل؟

- هو بخير وسليم..

- الحمد لله.. أريد رؤيته

- سيحضرونه لك بعد قليل..

- هل تشتكين من أي ألم؟

- لا تسأل عن الألم، فجسدي مترع بالألم..

أحضرت الممرضة الطفل.. طفلي جميل جداً، لأول مرة في الحياة أسعد لحد الجنون، ولأول مرة أعلم أن لمسة الطفل كفيhle بتبديل مزاجك.. أذكر أنني وضعته بيد سهيل فبدأ بالبكاء أن تتمكن من تكوين بشري جديد؛ شيء جميل.. الفرحة بالابن أعظم من فرحة النجاح بدأ بالتكبير بأذن الطفل.. كان سعيداً باحتضانه.. فهو مشتاق لطفل منذ خمس سنوات.

سعادة الأمومة جميلة، ياله من شعور فائق أمضيت ثلاثة أيام في المستشفى كان زوجي بجانبني لم يتركني أبداً.. خرجت اليوم من المستشفى، ذهبنا لمنزلنا، والداي أصراً على أن يأخذاني معهما، لكني لا أريد الذهاب لمنزل أحد فأنا أعشق منزلي وعائلتي.. لا أستطيع العودة لمنزلي السابق... أنا مستقلة صاحبة حياة خاصة، أنا ملكة في مملكة جديدة ولا أريد الخروج منها..

جميع أحداث حياتي اكتظت بعد انقضاء السنوات الستة ، معظم أحداث حياة البشر تتوالى بعد مضي ستة أو سبعة أعوام من الزواج، في بداية الحياة تكون جميع الأشياء في مرحلة الركود، وتخيم السكينة على سماء العلاقات.. السماء الهادئة مغرية لكنها ليست جميلة بمعنى الكلمة.. مشابهة تماماً لك عندما تبدأ بتصفح كتاب الحياة صفحة تلو أخرى تلو أخرى، و أنت مجبر على تصفحها بينما لا تطيق القراءة، مع مضي الأعوام ستصبح متعلقاً بقراءتها، وكلما

تعمقت في مضمون الصفحات اشتد حبك لإكمالها حتى النهاية،  
وستتمنى لو لم يكن هناك نهاية لشدة تعلقك بها..

دوما ما تكون النهايات مؤلمة رغم جمالها، نحن نطمح لإتمام الحياة  
بتفاصيلها الروتينية خوفاً من النهايات، تماماً كما نتابع المسلسلات،  
ونتعلق بأحداثها لدرجة أننا نحزن لانتهائها، وتبقى عقولنا معلقة بها  
لفترة طويلة، هي أصبحت جزءاً منا، فما بالنا بالواقع.. من منا يمكنه  
التخلي عن واقعه؟!

أن تتخلى عن شيء هذا يعني الألم، وأن تتعلم الألم هذا فقط ما يتيح  
لك تجربة النسيان، وأن تبرع بالنسيان فهذا ما يسمى طريق النجاح  
الحقيقي.. كل منا قادر على التخلي والنسيان والنجاح.. كل منا يبرع  
بإضافة النكهات لحياته، ليتمكن من طهو تلك الأحداث وتقديم طبقه  
بالنهاية، لكن معنى النجاح لا يكمن بتشكيل الطبق فقط.. النجاح  
يقاس بالشكل والمضمون معاً..

ومضمون ما حصل معنا اسهم في تبديل حياتي.. وتمكن من تغيير  
أفكار زوجي ولكن لم يبدل طموحه أبداً.. أن نتمثل الكره فهذا يعني  
أن نصبح شياطين، أليس الشيطان أبرع ما خلق على الكون في الكره؟  
وحتماً زوجي البارع الأول من ضمن البشر في الكرة الأرضية كرها، فهو  
أفضل من يكره وطنه لحدود لا تصدق..





## ازدواجية الوطن



"لابتھاج العید ذکری مخلدۃ بدفء سماء الوطن.."

ربا قندیل

اليوم وصلني خبر جديد، اسطوانة جديدة لم أتمكن من سماع لحنها منذ زمن، سيسافر سهيل، عقد عمل جديد في دولة أوروبية أخرى (السويد).. يا ترى ماذا يخبئ لي من حكايات جديدة، هو رجل خرا في بمعنى الكلمة.. رجل بارع باختياراته الفوضوية، أعتقد وبلا منازع أنه بارع بعدم الاستقرار، كاره للراحة دوماً..

أن لا تكتفي بالراحة فهذا ما يدعى بالأرق.. وأظن أنه ينوي أن يمضي في طريق يقرع بأذني إزعاجاً وأرق وترحال.. بنظر الرجل أن ترتحل من مكان لآخر هو مغامرة بحد ذاتها، لكن بنظر الإناث فالسفر ليس سوى إرهاق وفوضى..

كدت أنهار لفاجعة الخبر، هو لم يخبرني من قبل بخبر عمله، ظننت أنه سيعمل مع والده، لكنه أكبر من أن يعمل بطيات والد، فرجل كهذا لا يرضخ لأي إذلال.. والعمل مع والد هو أكبر مرحلة من مراحل الإذلال بنظره.. ماذا سيحل بي وبطفلي لست كما السابق، فأنا الآن لست وحيدة... الاستقرار المتقلب تجوال بحد ذاته..

- أحقا ما تعنيه سهيل؟

- ما بك؟

- أتريد السفر؟

- نحن ولست وحدي..

- بربك تظن أني موافقة..

- بربك ماذا تقولين؟

- أنا لا أريد السفر!

- لم؟

- أجننت، معنا طفل الآن..

- وماذا يعني؟

- لن أسافر لأي مكان.. بلدنا جميل

- رولين.. اصمتي الآن لا أريد افتعال المشاكل..

- أعتقد أنني سأوافقك على السفر.. إن أردت فساافر وحدك..

التفوه بجديث ليس مدروسا هو ما حدث فعلا، بدأت بهلوسة كلمات غريبة.. عقلي الآن متوقف عن التفكير، وضريبة الحديث المنحرف لطريق الضلال غالية الثمن..

فقد حمل مفاتيحه، وغادر المنزل دون تعليق.. وبدأت الشياطين تتمثل بنظري، أنا منزعة من تصرفاته لحد مذهل، هو رجل يعشق المتناقضات المتشابكة.. وهذه المتناقضات هي التي تتسبب بإيذائنا..

ذهب، ولم يعد مضي على ذهابه اثنا عشرة ساعة، وأنا أتصل وهاتفه لا يجيب أخبرت عائلتي، ولم يتوصل أحد لخبر عنه، صباحاً استيقظت على صوت فتح الباب.. سهيل، ذهبت ركضاً للباب، وإذا به قد جاء..

- حبيبي أين كنت؟

صمت دون رد.. لأول مرة أراه بهذا الشكل، كان منزعاً مني، وكأنه لم يسبق له أن أحبني.. لم ينظر إلي كعادته؛ كان في الماضي ينظر إلي بغضب، الآن أسدل بصره للأرض..

- سألتك أجبني؟

- عن ماذا؟

- أين كنت؟

- لا شأن لك..

- لا شأن لي.. ليكون!

بدأت بتجهيز حقائبي عازمة الذهاب لمنزل أبي.. شعور الرحيل مؤلم، أن تعتاد على أحدهم، ثم ترحل عنه دون ذنب هو فعلاً شعور مهميت، الإناث دوماً من يبتعد عن مشاريع الرحيل، وحدهم الرجال من يفرضون بعض التفاصيل التي تزج احداً.. دخل الغرفة بسكون، بدت لي هيئته بشكل الظلال.. لم أر ملامح استجابة .. جاء لجانبي، وقال:

- ليس عادتي أن أجعلك تتركي منزلك، من يرحل الآن هو الرجل، وحدهن الإناث من يمكنن بمنازلهن، سأبدل ملابسي وأرحل، أبقى في منزلك مع طفلك..

- سترحل.. لم؟  
مكتبة الرمحي أحمد

- لئلا ترحلي عوضاً عني..

- لكنني لا أريد الرحيل

- ولم تجهزين حقائبك إذا؟

- لم قلته لي منذ قليل..

- وماذا قلت أنا؟

- قلت: لا شأن لك..

- وماذا تعني؟



- تعني الكثير.. أني لست منتمية لك منذ الآن، ويعني أنك حرّ في تفاصيل حياتك، وأنت لا تريد بقاءي، وأنت ما عدت تحبني..

- فقط فقط... ومن قال لك أني لم أعد أحبك؟

- أنت..

- أنا، وكيف ذلك بالله عليك؟

- بتلك الكلمة..

ضحك بقهقهة لدرجة أن دموعه كادت تسقط من الضحك، ثم قال:

- لا أعلم لم تفكر النساء بهذا الطموح المنحدر..

- طموح منحدر!

- نعم، أقصد تفاهة الفكر لكني تحفظت قولي..

- أنا لست تافهة..

- أعلم لكن طريقة تفكيرك هذه جعلتني أستغرب.. أنا منزعج منك،

أتعلمين؟

- أعلم؟ لكن ماذا قلت؟

- ألسنتِ عاملة..

- سهيل لا تهزأ !!!

- سأقول لك لكن أريد أن أرتاح أمضيت الليل بأكمله جالساً في مقعد السيارة..

- أحقاً؟

- نعم حقاً.. أشعر أن جسدي محنط، وكأنما فقرات ظهري مصلوبة..  
- هيا أجلس لترتاح..

- أنت يارولين أنثى ذكية، و أعلم أنك امرأة لن تتكرر في حياتي ما حييت، وقفيتِ إلى جانبي عندما أملك، وتحملتِ مني ما لا تطيق أنثى تحمله.. لكن حياتنا هنا لن تتم بوجه حسن، أرجوكِ تفهميني.. نحن لن نستطيع تأمين حياة سعيدة هنا.. لست كارها لوطني كما تظنين، ولست خائناً كما تجتر معتقداتك الافكار.. هذه الأحاديث منتفخة كالفقاعات فلا تكثرثي لها، أنا لن أتمكن من العمل بمجال لا أطيق، فوالدي لن يتمكن من سد شاغر تلك الفراغات التي تقطن بروحي بتلك الأعمال، أنا عاشق للبحر.. لا أريد تمضية ما تبقى لي من العمر حبيس التراب والهواء، هذه الأجواء لا تليق بطموحاتي.. أريد تأمين حياة سعيدة لكما، أن أتم عمري بجانبك وأنا راض عما أنجزت لأجلك أنتِ.. تقبلي ما أقول أرجوكِ.. أن أبقى وحيداً كما سبق أن قلت، هو أمر يحتمل موافقتي مادمتِ تريدين؟

- أنا لا أريد..

- ولم قلتِ إذا..

- لحظة غضب..

الغضب الفعلي يكمن بما نتحدث، هي عبارات رحلت، ولم يعد لها أثر، لكن رحيلي عن تفاصيل بلادي هو حتماً ما يؤذيني.. رحيلي عن حجارة البلد القديمة، ذاك العلم المائل في منتصف السماء، عن تفاصيل أصوات الباعة المتجولين في أحياء العاصمة، أصوات أطفال الشوارع..

\*\*\*

سيسافر سهيل بعد أسبوعين، سيفادر هو أولاً، وسأتمكن وطفلي من اللحاق به بعد مضي ستة أشهر.. سأقضيها متنقلة في طيات تلك العائلتين، وحده الابتعاد يستطيع اختلاق نزعات بأرواحنا.. ستة شهور ما أمضاه طفلي من حياته دون أب، بقي لنا شهر واحد، ونسافر

اليوم استطاع (أمير) أن ينطق كلمة مكتملة.. كنت العب معه واذ بهاتفني يرن.. سهيل، فتحت المكالمة للأمير، ووضعت السماعة على أذنه..

- الوحبيبتى

- بابا

- أميري اشتقت لك حبيبي

- بابا

كان يجيد نطق الكلمة وسعادة زوجي معلقة بالسماء، عندما أخذت سماعه الهاتف لأحادثه كان مختنقاً، هو مشتاق لنا لقد صمم على الرحيل في أجمل أوقات حياته، هذه المرحلة كانت من أجمل مراحل عمره أمضاها بعيداً عن طفله.. أنهيت المكالمة سريعاً، كنت مدركة أن الألم استوطن صوته وفؤاده.. وأظنه سيمضي ليلته ذبيحاً في ساحة الحسرة على ما فات..

بدأت بالتحضير لسفرنا، في كل مهاتفة كنا نجريها كان اختناقه وحسرتة تتعاظمان.. حتى انه لم يمض ساعة فراغ واحدة ألا هاتقنا فيها أما عن طريق الإنترنت، أو الهاتف.. أخذت معي الكثير الكثير من الحاجيات، فعقد عمله هذه المرة مدته ثلاث سنوات وآمل أن لا يطول أكثر..

اليوم سنغادر لمطار (استكهولم) وسنصل في غضون أربع إلى خمس ساعات لمدينتنا الجديدة (غوتبرغ) سهيل أخذ إجازة، وسافر ليصطحبنا من المطار، أمامنا رحلة طويلة جداً الوقت الآن عصراً اصطحبني حمزة بسيارته للمطار، ومعنا أخي أيمن..

سهيل لا يعمل بالبواخر البحرية يعمل بالميناء (شركة ميناء جوتبرج)..  
حياتي ستكون مختلفة سأستقر بسكني هناك، لن أعود مشتتة، سأستقل  
بسكن محدد على اليابسة، منزلي جاهز وسأسكن فور وصولنا أنا  
وطفلي.. هو ينتظرني بالمطار سنغادر براً، أظن أن رحلتنا طويلة لنتمكن  
من الوصول.. تماماً كما حياتي طويلة بين تنقل واستقرار، هذه المرة لن  
أسمح له بشراء منزل.. لا يصلح لي التملك؛ في كل مرة أنوي بها اتخاذ  
أي قرار واضح المعالم تنهار بوجهي جميع الحدود والإطارات..

لا أوّمن بفكرة الحظ السيئ لكني على وشك الإيمان بها على ما يبدو  
لست من أولئك الذين يبدلون فكرهم بسهولة، لكن البرهان يجبرك  
أحياناً على تبديل المعتقدات والآراء الراسخة.. وصلت للمطار، اقتربت  
من بوابة الخروج، وإذ بسهيل ينقض على طفله ويقبله.

يا له من شعور سيئ..

دوما ما يهمل الرجل زوجته في ظل أبنائه، أجزم أنني أشعر بالغيرة  
التي نهشتني، باتت دموعي تنهل كلما طال احتضانه له، أحب طفلي  
لكن تنازلي عن المرتبة الأولى لأمير أمر يחדش أعماق الإحساس،  
ويبقى الصمت سيد الموقف في ظل هذه الأحداث.. ماذا عساي أن  
أفعل، حتما لن أستطيع البوح له عما أشعر.. هو يطيل احتضانه وأنا  
أطيل التحسر والغيرة إلى أن انتهى من إشباع فوهة اشتياقه، فخلق  
داخلي فوهة من الأحلام المحطمة، والاشتياقات الباهتة المعالم..

التفت إلي وابتسم، احتضنني، وقال:

- اشتقت لك..

في تلك اللحظة بدأت أفكاري تتواري، لم أعتد من قبل وضع التهميش، لست أنثى بسيطة التفكير، لكنني لم أعتد في حياتي التعامل مع موقف كهذا عادة ما أكون بمقدمة كل شيء.. أنثى وحيدة مميزة، شاعرة محترفة، أديبة رائعة، موظفة متفانية، أنثى برجوازية، سيدة مكتملة الأنوثة، وحبيبة ليس لها مثيل في طليعة السلم دوماً وحتماً لن أختار مرتبة ثانية..

انهمرت دموعي.. أ أصنّفها غيرة أم ضعفاً، لا أعلم أي نوع من التصنيفات، أي اسم يليق بها؛ لا أعلم.. صوتي خافت، ولا طاقة لي على الرد لكنني أجبته..

- وأنا..

- ما بكِ تبكي؟

- لاشيء

- رولين حبيبتي لم؟ أجيبي..

- لاشيء .. اشتقت لك..

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

احتضنني بلهفة المشتاق وبادلته الغمرة ببرود وإعراض.. هو حتما  
لن يتمكن من الاحساس بمشاعري، كما أتمكن أنا من الاحساس  
بمشاعر؛ فالإناث لديهن حاسة ليست من الحواس المصنفة، هن  
يستطعن الإحساس بها لدرجة مكتملة.. هولن يستطيع مشاطرتي هذا  
الاحساس، فأنا ببساطة.. أنثى.

غادرنا المطار وهو محتضن طفله.. أخذني لمنزلنا بعد رحلة شاقة،  
دخلت المنزل، ولم أر ملامحه كان نظري مغشيا في ذاك المساء، اتكأت  
على الفراش واذ بي استيقظ على صوت بكاء أمير، نمت لوقت طويل  
لكني لم أكتف أبدا.. كان وقتاً طويلاً لحدود ساعة تحتوي أرقاماً كثيرة،  
تختلف عن كل الساعات المرهقة..

توالت الايام بسرعة البرق، وتمكنت من الاستقرار في مدينتي  
الجديدة ومنزلي الجديد، وتأقلمت مع ظروف في الجديدة التي رسمها لي  
زوجي بمساعدة القدر..

الأمومة مسؤولية عظيمة أن يصبح لديك طفل أغلى من روحك  
أمر صعب جداً.. اليوم عيد ميلاد أمير أكمل سنة من عمره.. سعيدة  
لحدود لا تحتملها السعادة، سأقيم اليوم عيد ميلاد له، سيكون من  
أجمل الأعمال التي أقيم.. سنحتفل عبر شبكة الإنترنت مع عائلتي..

\*\*\*

لقد بدأت اليوم بكتابة روايتي الأولى ستكون رواية عشق مميزة،  
دوما ما يلجأ الكتاب للاحتماء بالعشق في ظل الروايات.. العشق هو  
أجمل ما يمكننا أن نتحدث عنه.. طفلي الآن يبلغ من العمر خمس  
سنوات، وقيم طفلي الآخر في منزله الصغير بداخلي فأنا حامل  
بطفلي الثاني.. سيصبح لدي طفلان؛ لم يعد ألم الغيرة يسكنني..  
اعتدت حبه لطفله، وأصبح في قائمة أولوياتنا.. كلانا يضعه أولاً في  
أي قائمة وأي حدث..

اليوم سيصطحبني سهيل للطبيب لنعرف جنس مولودنا.. أظن أن  
السعادة بدأت تعود لمسار درب التبانة، والحظ عاد بعد طول غياب يجرّ  
بعضه بعضاً.. الممالك تزدهر بمراحل معينة، وتعاود الانتكاس تماماً  
كما حياتنا.. هنالك مراحل تسير باصحبة الحظ تكون هائمة في بحر  
حبه ذائبة على أوتار نبرة تنير دروبنا بشموع الجمال..

جلست على الطاولة الحمراء، هذا المنزل لا يعجبني لكني أعتدت  
أثاته.. (مودرن) وأنا لا أحب هذا النوع من الأثاث.. أحضرت قهوتي  
المرّة، واحتسيت فتجاناً بنكهة الدخان لأول مرة أحمل سيجارة بيدي..  
عندما لا نعتاد شيئاً أو نأخذه بنظرة استهجان أو مقت سينتابنا شعور  
تأنيب الضمير.. من يؤنبه ضميره أفضل ممن يمضي حياته دون  
تأنيب.. لا أعلم ما سرّ شهوتي لتلك السيجارة.. الشهوة شعور يجبرك  
على فعل أي شيء..



شهوة الكتابة تجبرك على غزل الحروف، وشهوة الحبّ تجبرك على البقاء، شهوة الطعام تجبرك على الالتهام، أما شهوة النفس فتجبرك على التجريب؛ لذا قررت التجريب..

بدأت أكتب لم يتح لي من قبل أن كتبت سطوراً بهذا الكم، كلمات كثيرة استرسلت بكتابتها حتى ملأت ما يقرب الثلاثين صفحة. الكتابة مزاج والمزاج لا يتاح لنا دوماً.. لذا يجب أن نتدرب على حسن استغلال أمزجتنا الجيدة حتى نصل للنجاح..

النجاح هو ما يدعمني الآن.. فمبيعات ديواني الأخير حققت لي الكثير من الدخل.. أن تكون ناجحاً فهذا يعني أنك تقطن في أعلى ألوان طيف قزح.. وتدرجك في الطيف يجعلك متسع المدارك ملماً بالغرابات.. فكل غريب يجرك لأغرب منه حتى تصل لتحقيق مرتبة المرادات وأعلى..

الساعة الآن الثالثة عصراً.. سأذهب لاصطحاب أمير من المدرسة، أخذني الوقت ونسيت الموعد، حادثت المعلمة في الطريق.. أخذت طفلي واتجهت للمنزل.. سأعد الغداء، ثم أذهب برفقة سهيل للطبيب.. لدي صديقة عربية من فلسطين.. تسكن بالمنزل المجاور لي سأترك أمير معها ريثما أعود من عند الطبيب، لديها طفل بعمره وهي لطيفة، لن يؤذيها بقاؤه..

ذهبت مع زوجي للطبيب، مواعيدي الآن دخلنا لغرفة المعاينة، وفحصني على الجهاز.. نظر للشاشة، وقال بالسويدية:

- مولودكم أنثى..

رد سهيل بانفراج..

- أنثى ما أجمل هذا الخبر!!

كنا سعيدين حقاً بخبر الفتاة الجديدة.. منافسة ثانية لي، ستصبح هي بالمرتبة الأولى في قائمة أولوياته، وأنا لن أحسب ذاتي معهم فأنا صاحبة قائمة منفصلة لا تصلح لمقارنتها بأي قائمة أخرى..

احتضنتني زوجي، وغادرتنا العيادة والفرح يلفنا معا .. سعيدة بوجودي معه .. أجزم أنني أعشقه لحد الهذيان.. دوما تعشق النساء بإخلاص باذخ، لا أعلم سرّ تعلق أحدهن بالرجل لكنها تصبح دون قرار حينما تسلم قلبها له.. لاسلطة لها على عقاب نفسها وإبعادها عنه، لا سلطة لها على كرهه، ولا سلطة لها على حرمان روحها منه.. يصبح هو ماضيها وحاضرها ومستقبلها الخالد..

أخبرت الجميع نبأ البنت الجديدة، جميعهم فرحوا لنا، ما أجمل أن تطلع الجميع على أحداث حياتك منذ البداية، ما حصل بطفلي الأول لن يتكرر أبداً.. أن تكون مجبراً على الكتمان أمر صعب، وأن تجبرك ظروفك هو الأصعب..

البنات أجمل ما يمكنك أن تحظى به في الوجود.. أن تكون لديك فتاة جميلة هذا هو الكنز النادر الذي من الممكن أن تحظى به..

حتما سأدرك الآن معنى ألم والديّ لرحيلي.. اعتادا الابتعاد عني في  
الجسد، لكن روحيهما لم تعتادا ولن تعتادا أبداً حتى لو وارتنا الحياة  
يوماً ما..

ابنتي الجديدة ستكون جميلة مثلي.. سأعلمها الشعر مثلي.. ستصبح  
أنثى ناجحة مثلي.. سأهتم بها تماماً مثلما أهتم بي والديّ ستكون مثلي  
في كل شيء لكن ألوانها متعددة.. جميل أن تجد ما يشبهك حقاً في كل  
شيء..

حواء نعمة من نعم الله التي منّ بها على آدم.. فالإناث هن أغلى ما  
يمكن أن يوجد في زوايا الحياة هن أجمل شمعة تنير القلوب، وأجمل لمعة  
تكتسي الأجساد، وأجمل ابتسامة ترافق الوجه، ومن يحظى بإحداهن  
فقد ملك الكون بأسره.. ما أروعك يا حواء!!

بدأت أعتاد حياتي هنا، فزوجي سعيد، وهذا ما أريده. أمضيها وقتاً  
طويلاً في هذه البلاد، التي جلبت لنا السعادة.. أذكر عبارة مما قيل  
قديماً: (كعاب وعتاب)، والآن اتضح لي معنى هذا المفهوم.. فهذه  
البلد صاحبة وجه جميل علينا، لم تجلب لنا سوى السعادة، أما اليونان  
فجلبت لنا التعاسة..

أنا على وشك الإنجاب لذلك سنعود للأردن .. سهيل قرر أن يأخذ  
أجازة لمدة ستة شهور حتى أتمكن من الولادة هناك، حامل في الشهر  
التاسع سأعود لموطني بسعادة.. أحب بلادي.. سنغادر منزلنا صباحاً

متجهين للمطار، جهزت ملابس طفلي الجديدة، وبعض الهدايا  
للأهل.. وسنعود لظل بلادنا من جديد..

وها نحن على مشارف الرجوع بدأ نبضي ينهال ببطء، و أضلاعي  
تحن لوطن غاب منذ زمن.. أن تعود لوطنك من جديد هو شعور فائق  
الراقي، هو معنى لشيء جميل لم نتلمسه أبداً.. أن تعود لوطنك فهذا  
يعني أنك ستعود لتجربة ما هو مدهش لحد خارق.. الوطن نعمة من  
النعم التي أنعم الله بها علينا ... هو شعور يفوق أي شعور..

اتجهنا للبوابة المحددة، وصعدنا الطائرة..

عندما نظير هذا يعني أننا نمتلك نصف الحرية، فنحن معلقون فوق  
الأرض، وتحت السماء، ينقصنا فصل حرية واحد يدعى بالتححرر،  
فنحن أحرار ولسنا متحررين.. وهذا ما يدعى بالطلاق..

ترجلنا من الطائرة متجهين لبوابة القادمين..

- ممممممم ... ما أجمل رائحة الوطن!!

- برأيك جميل؟

هنالك مقولة لـرالف إمرسون تتردد في أذني دائماً تقول: (نسافر  
حول العالم لنعثر على الجمال، وإن لم نحمله بداخلنا فلن نجده). وهو  
حتماً لن يجده فهو لا يحمل أي نوع من الجمال تجاه الوطن..

- سهيل لا شأن لك ..

- لك الحرية .. يمكنك أن تحبي من تشائين دون الاقتراب من إطار  
الحبّ الخاص بي ..

- أحبك

غادرنا المطار متجهين لمنزل عائلة سهيل بصحبة اخوته .. سنبقى  
هناك قليلا من الوقت، ثم نغادر الى منزلنا الذي لم يتح لي تذوق طعم  
الحياة برفقته .. كان منزلنا الزاوية الأكثر روعة في حياتنا .. وكانت  
عائلتي جوهرة تضيء لي دربي ..

\*\*\*

أن تعيش حياتك برفقة حبيب هو شعور يفوق أي شعور، لذا أنا فرحة  
ومرتاحة رغم اختلاف ما نسعى إليه .. سأبقى تلك الأنثى العاشقة التي  
طوى الزمان صفحات شعرها سوى صفحة تتحدث عن العشق عسى  
أن تتساها في دروب النسيان، وتبقى نجمة حرة تضيء حباً في سماء  
الشعر ..

أن تصبحي أنثى بعائلة وطفلين فهذا لا يعني أنك مُقابلة من العشق ورغد  
الصبا .. فالنساء أول ما يهرم بهن جسدهن، وآخر ما يهرم بهن .. فعلي  
أن أعيش بما أوتيت من حب وأن أولد بنبض يفوق نبض اللقاء الأول، فكل  
رمقة من رمقات بحور الحبّ تولد اشتعالات يستحيل إطفائها ..

غادرنا متجهين لمنزلنا، وما إن وصلت المنزل حتى بدأ الألم يكتسحني..  
ألم كهذا لا يقتصر على جسدنا، بل يستطيع تجميد الفكر والحواس  
معاً؛ لنصبح متألمين من كل شيء تمد له الروح نبضاً.. أخذني سهيل  
للمستشفى مسرعاً، الآن موعد ولادتي..

في هذا المساء سأكون مدعوة للعشاء برفقة الحب، مع كل شخص  
جديد يرتمضي طريق قلبنا يدعونا الحب لنشرب النبيذ برفقته؛ وحب  
ابنتي اليوم سيولد على مائدة حمراء يكتحل بحرهما بالنبيذ الخالد..

- سهيل أسرع أرجوك..

- اقود بسرعة كبيرة أرجوك لا توتريني..

- أسرع.. مكتبة الرمحي أحمد ٩٥

وصلنا الى المستشفى غرفة الولادة تنتظرنى لكن انتظارها  
مختلف، في تلك المرة لم أتذوق طعم ألم كهذا كان الألم أقل حدة،  
لا أدري ما السر!! لكن كل مولود يحتاج طقوساً خاصة به كما كل  
مساء.. مولودتي العذراء طقسها طازج الارتواء.. ودوما ما تؤلمنا  
الإناث قبل الولادة وبعدها؛ لذا لا نفضل إنجابهن لما يحملنه لنا من  
إيلام عاطفي..

الوجع على أنثى أمر مهميت لحدود لا يستوعبها العقل.. فدوماً ما  
نحمل هموم حياتهن وحاضرهن ومستقبلهن.. نصيبهن وقدرهن..

مشاعرهن وألمهن.. باختصار الأنثى رغم جمالها إلا أنها مرهقة  
لدرجة الإشباع المكتوي بالحرقة.. سأستعد لتخطيط حياتها منذ  
البداية..

أن تضع خططاً للمستقبل فهذا لا يعني النجاح المحتم.. يمكنني  
شرحها بالمستوى ذاته لكن من ناحية مغايرة.. أن تنجح فهذا يعني أنك  
خططت بإتقان ناجح، أو فشل مؤكد بمداهمة الحظ.. فالحظ أفضل  
رفيق للمخططين الفاشلين.. يقال ان الفشل نبع وافر للنجاح، وأنا أؤيد  
مقولة من هذا النوع..

ابنتي الجديدة.. لأول مرة التمس فتاة بنعومتها.. اقتربت من سهيل  
مبتسمة، وقلت:

- أريد أن اسميها (لورا) أسمح لي؟

ابتسم، وقال:

- أ تشبه أختك؟

- كثيراً..

- إذا لك حرية تسميتها..

أن تحظي برجل لطيف يوافقك رأيك دوماً فهذا يعني أنك صاحبة  
حظ، لذا أحمد الله أن مملكة الحظ أقامت هياكلها وبنائها في

منتصف طريق قدرتي.. أن تمتلك شخصاً يشاطرك حياتك بالمشقة  
والسعادة، بالفكر والآراء، بالطموح والرغبة فأنت من ضمن أولئك  
الذين تكفلت السماء بحمايتهم من لسعات الشمس الحارقة.. أحمد  
الله أنني محظوظة لحدود كبيرة، فأغلب الإناث يحتجن ابتسامة  
كابتسامة زوجي، فما بالك لو كان متفهماً أيضاً..

\*\*\*

جلست بجانب سهيل مساءً بعدما انتهيت من عملي وكتابتي وأطفالي،  
وتحدثنا..

- حبيبي

- نعم حبيبتي

- أريد أن أطلب منك طلباً صغيراً..

- تفضلي

- أرجوك سهيل فكر قليلاً بأبنائنا وبي.. نحن مفتربون وهذا وطننا..  
أجمل ما في الوطن أنه يستطيع جمعنا أرجوك لنبقى هنا..

- أتفهم ما تقولين وأرغب أن أبقى هنا كما تريد.. لكنني أريد بناء  
المستقبل لأبنائنا، لن يضر الأمر إذا بقينا بالسويد لخمس سنوات  
أيضاً..



- خمس

- أربع كما تريدین..

- سهیل!

- أرجوك تفهمي واقعنا، أنا لن أستطيع البقاء هنا أنا بحار.. رولين  
لن أكرر، وفكرة العمل مع والدي أمر لا أريده بالتأكيد.. لكني مقتنع  
بحديثك

يقال إن أفضل وأسرع طريقة لجعل المرأة تغير رأيها هي أن توافقها  
الرأي لوأعتقد أن هذه المقولة صحيحة هوليس مقتنعا البتة، لكنه يحاول  
أن يرضيني بتجاهل محترف.. وكأنتى متمكنة من التماس المشاعر  
بطابع أنى شاعرة، وأستطيع كتابة أحاسيس البشر فسأستطيع كشف  
نوايا أحدهم من نظرة عينيه.. لذا يحسد الشاعر على بصيرته دوماً..

سنعود لوطننا البديل كما اسميه، بعد مضي ثلاثة شهور، وهكذا  
سنكون قد أكملنا عاماً هنا لتسديد رغبتى بالبقاء.. أن تترجل موضعاً  
أنحنى كذليل لأجلك وبادلته احترام الانحناء هذا ما حصل عند مفادرة  
منزلي، كان الحزن مخيماً على سمائي، وكهولة الجسد تكتسبني  
كالعباءة.. خرجت من ذاك الباب، وأنا متأكدة من أنى لن أعود إليه إلا  
للزيارة فقط، فأنا كما قلت سابقاً لن أستطيع البقاء بمنزل ليس ملكي  
مهما حصل.. وهذا بحكم القدر..

مضت تلك الشهور الثلاثة، وسأعود مرة أخرى للسويد، اتخذت قراراً ربما سيبدل حياتي سلباً بمشاريع كثيرة، سأنشئ معرض رسم بحكم أنني ماهرة بالرسم، وسأنتمي لجمعية مساعدات خيرية، سأتعلم العزف، والكثير من الحاجات سأتقنها.. سأغلب على الظروف بما أوتيت من قوة.. وحتماً سأتمكن من النجاح هذه المرة..

اتجهنا للمطار جلست في زاوية جميلة وارتشفت بعض القهوة من فتجاني الأبيض وبدأت بالكتابة، زوجي منشغل بأطفالنا فهو يعشق الأطفال.. هو دوماً يخفف من أعبائي، فهو رجل لطيف ودود.. لم أذكر له لحظة إزعاج لي طوال حياتي، دائماً ما يكون هادئاً.. يحترم تفاصيل كل شيء.. لكل وقت تفصيل خاص لا يسمح لأحد بإخلاله..

بدأت أكتب..

أن تترجل الدرب..

كراجل معبد لشوارع الزمن

كعابد تخلى عن مصاحف الحياة

كسالك دروب شوق ساع للعدم

\*\*\*

مكتبة الرمحي أحمد

تحلق بلا هوى، بلا جناح حبّ  
كساقٍ لجذور البعد تملأُ التراب بالرحيل  
كل العقارب من ضباب الشوق ترحل  
لم يبق إلا بندول مشنوق في الصمت  
كل المحابس من ضحايا الموت تولد  
كل المحطات تغادر المكان..

\*\*\*

تتولى فيك تلك الخطوات بحثاً عن عبير  
عن لون يانع يلون السمار  
عن فقاعة هواء تولد انتشارات الربيع  
عن حبّ عارض الوجود للحياة  
عن شرقٍ أو غربٍ أثر سماع الأغنيات  
عن جنح طيفٍ من منابت الطفولة  
أمل يعبد محراب الأنوثة  
وصهيل صوت ناسك يطوف في المساء

\*\*\*

عن جرعة من كحل أزر الخريف  
عن أمنية تخلقت في ضلع خيمة الصقيع  
عن نبض طير سافر لأعمق البحار  
عن موج تسارع في ارتطام من جديد  
وشظايا سمك عالق في مقلب الطريق  
وحطام رمل أزر الأصابع المعتقة  
تلك الخطوط الضيقة  
تلك المناجل البيض في الحقول

\*\*\*

حروف أبجدية تتناول حكاية الرحيل  
جسد معلق بالحقائب  
مقل تلاقت كالجدائل  
ورحيل وطن ملّ من حدوده

\*\*\*

تلك التقاسيم التي تبادلت الصراخ

كصوت صغير حرم الكسرات

كساحة خالية ليس لها طريق

جميعهم رحلوا كمياه المطر

ولم يبق إلا قطرة من جسد الرحيل

حروف الأبجدية هي الوحيدة التي يمكنها تخديري، اقتحامي،  
إذلاي، أن تشدد التحكم بنبضي، أن تلقي بي في البحور بصمت..  
تستلني من الوعي للاوعي..

وحدها الحظوظ التي تحكم إغلاق دفاتر الشعر.. وحدها الحظوظ  
عاشقة القدر التي تبعد في اللعب على طاولة المقامرة لصالحك  
أوضدك.. الأقدار دوماً ما تأتي زائرة لمدينتنا مصطحبة جواريتها  
وبناتها، تركع ساجدة في بحر دروب السماء، أليست السماء درباً  
خصباً تتقبل الشر والخير؟

تماماً كما تتقبل أرواحنا جميع مساقط القدر.. وها أنا متقبلة الآن  
جميع زلات الحياة وجميع هفوات زوجي، وهذا ما يدعى بتمكن التعلق..  
هو تمكن مني، أصبحت أسيرة قضبان الزوجية.. يقال إن الزوجين  
يجبسان في قفص الزوجية، وأنا الآن مدركة لوقع هذه العبارة، وحدهن

الإناث من يؤسرن رغم سلطتهن، رغم مكانتهن، رغم عظمة حضورهن..  
وحدنا من يبزع القدر بالتحكم فينا، ويبزع الأزواج بالتسلط علينا..

بينما كانت مقلتي معلقتين بالنافذة متصفحتين لهواء الوطن  
ترتشفان عطر ألوانه التفتت ذاكرتي لمقطع موسيقي كان منبعثاً من  
إحدى الطاولات استمعت له رغم ضجيج العوام هذه الأغنية دوماً ما  
تحملني للسماء..

حيران أينظر؟ والقلب به ضجر.. ما التلة ما القمر ما النشوة ما  
السهر.. إن عدت إلى القلق هائمة في الأفق.. سابعة في الشفق  
فهيامك لن يجدي..

\*\*\*

يا عاشقة الورد إن كنت على وعد.. فحبيبك منتظر يا عاشقة الورد

\*\*\*

نجم في الأفق بدا فرحاً يشدو رغدا.. اليوم ليس غدا فليصدق من  
وعد..

يا منعمة النجوى لا تنفك الشكوى.. فحبيبك لا يهوى إلا ورد الخد

\*\*\*

يا عاشقة الورد إن كنت على وعدي.. فحبيبك منتظر يا عاشقة...

وما إن سمعت صوتاً يطلب منا الاتجاه نحو البوابة الخامسة للتفتيش  
حتى استيقظت من غفوتي بالسماء.. دوما ما تحملني الأبجدية للسماء،  
لتراب ليس من التراب، لحنين ليس له مثل، وحب وصل للكمال..

غادرت برفقة عائلتي المطار متجهين للطائرة، وعدنا لحيث أتينا؛  
(للأوطان البديلة).. مهما كانت الدول شرقية غربية شمالية جنوبية؛  
تبقى بدائل لتراب الوطن.. ومهما كانت القارات، آسيا.. إفريقيا..  
أوروبا.. أمريكا.. استراليا؛ ستبقى محاريب بديلة لمحرابي..

أن تحرم وطنك هو شعور يتشاطر، وشعور حرمان العائلة فيك..

وتبقى ازدواجية الزمن واحدة!

ربا قنديل

عمان، شباط ٢٠١٤

للمزيد والجديد من الكتب والروايات زوروا صفحتنا على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

<https://t.me/ktabpdf>

## نبذة عن ربا قنديل

هي ربا حسن عبد القادر قنديل، روائية صاحبة نصوص نثرية وشعرية وكاتبة مقال بعدد كبير من الصحف الإلكترونية والورقية العربية، ولدت في التاسع والعشرون من شهر آب/ أغسطس سنة اثنان وتسعين وتسعمائة وألف للميلاد ١٩٩٢/٨/٢٩ م عمان - الأردن.

حاصلة على لقب أصغر روائية في الأردن لعام ٢٠١٤، حاصلة على العديد من الجوائز والشهادات ومنها شهادة كفاءة وتميز من مجلس الكتاب والأدباء والمثقفين العرب.

عضو في مجلس الكتاب والأدباء والمثقفين العرب، عضو في ملتقى تاج الثقافة.

من مؤسسي مبادرة "إبداع الكلمات" الشعرية في الجامعة الأردنية، أحييت عدد من الأمسيات الشعرية.



مكتبة الريحى أحمد

<https://t.me/ktabpdf>

علمني علماً غريباً ليس بطابعه الأدبي وحروفاً من خط  
العربي؛ لا تُشكّل بقوافي العربي.. علمني طرباً  
وغناءً؛ ليس بلحن أو كلمات أو حتى سلم موسيقى..

\*\*\*

نحكم بالدموع لمجرد أن لا ذنب لنا.. أن لا تظلم فهذا  
يصنف من ضمن الضرائب الباهظة الثمن.. أوليست  
الحياة تشترك مع الجباة بجمع الألم؛ هم يجمعون  
المال ويخلقون الألم، وهي تجمع الألم وتطرحة دون  
مقابل..

\*\*\*

مهما كانت الدول شرقية غربية شمالية جنوبية؛ تبقى  
بدائل لتراب الوطن.. ومهما كانت القارات، آسيا..  
إفريقيا.. أوروبا.. أمريكا.. استراليا؛ ستبقى محارِب  
بديلة لمحاربي..

ربا قنديل



شركة دار البيروني للنشر والتوزيع

الأرض - عمان - وسط البلاد - شارع المسقط - بناية رقم (٢٢)

ص.ب. ١٨٢٢١٦ عمان ٢٠١١٦ - تليفون: ٩٥٥٢٢٨٤٠ - ٤

Email: beyrouni\_publisher@gmail.com

